دروس وعبر من حياة الزرقاوي حفظه الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين
أما بعد :
لقد حضرتني قصة قبل حديثنا عن أمير المجاهدين في العراق أبي مصعب الزرقاوي حفظه الله
وهي :
وغل قتيبة (بن مسلم الباهلي) حتى قرب من الصين ، قال : فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا رجل من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم
فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلا وقال بعضهم : عشرة من أفناء القبائل لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس بعدما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه فكلمهم قتيبة وفاطنهم فرأى عقولا وجمالا فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخز والوشي واللين من البياض والرقيق والنعال والعطر وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم ودواب يركبونها
قال : وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوها بسيط اللسان فقال: يا هبيرة كيف أنت صانع؟
قال :
أصلح الله الأمير قد كفيت الأدب وقل ما شئت أقله وآخذ به
قال : سيروا على بركة الله وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم
قال :
فساروا وعليهم هبيرة بن المشمرج فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوهم فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل ثم مسوا الغالية وتدخنوا ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا
فقال الملك لمن حضره :
كيف رأيتم هؤلاء ؟
قالوا:
رأينا قوما ما هم إلا نساء ما بقي منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده

قال :
فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا عليه قيل لهم ارجعوا ، فقال لأصحابه :
كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى وهم أولئك 0
فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح وتنكبوا القسي وركبوا خيولهم وغدوا فنظر إليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوهم مشمرين فقيل لهم قبل أن يدخلوا :
ارجعوا لما دخل قلوبهم من خوفهم
قال :
فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها
فقال الملك لأصحابه :
كيف ترونهم ؟
قالوا :
ما رأينا مثل هؤلاء قط
فلما أمسى أرسل إليهم الملك أن ابعثوا إلي زعيمكم وأفضلكم رجلا فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له حين دخل عليه :
قد رأيتم عظيم ملكي وإنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في بلادي ، وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي وأنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتكم ،
قال : سل
قال :
لم صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول والثاني والثالث ؟
قال :
أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم
وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا
وأما اليوم الثالث فزينا لعدونا فإذا هاجنا هيج وفزع كنا هكذا
قال :
ما أحسن ما دبرتم دهركم فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه
قال له :
كيف يكون قليل الأصحاب من خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟

وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك ؟
وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه
قال :
فما الذي يرضي صاحبك ؟
قال :
إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية
قال :
فإنا نخرجه من يمينه نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاها
قال :
فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن جوائزهم فساروا فقدموا بما بعث به فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمة وردهم ووطىء التراب فقال سوادة بن عبد الله السلولي :
لا عيب في الوفد الذين بعثتهم للصين إن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى حاشا الكريم هبيرة بن مشمرج
لم يرض غير الختم في أعناقهم ورهائن دفعت بحمل سمرج
أدى رسالتك التي استرعيته وأتاك من حنث اليمين بمخرج
تاريخ الطبري

****

إن الذي أجب مثل القائد المظفر قتيبة بن مسلم الباهلي رحمه الله قادر على أن ينجب مثله الكثيرين اليوم وغدا بإذن الله تعالى وأحسب الزرقاوي حفظه الله من هؤلاء الذين سيكتب تاريخهم بأحرف من نور إن شاء الله تعالى

****

قال تعالى :
إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (20)كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) المجادلة
وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون على الرغم مما قد يبدو أحيانا من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق .

فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك . واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض ; ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية , وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد .

وإذا كانت هناك فترات عاد فيها الإلحاد أو الشرك إلى الظهور في بعض بقاع الأرض - كما يقع الآن في الدول الملحدة والوثنية - فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة . فضلا على أن فترات الإلحاد والوثنية إلى زوال مؤكد , لأنها غير صالحة للبقاء .

والبشرية تهتدي في كل يوم إلى أدلة جديدة تهدي إلى الاعتقاد في الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد .

والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة . فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة , فهذا الواقع هو الباطل الزائل . الذي يوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة . لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم .

وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان في صورها المتنوعة , من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود متطاولة , بلغ في بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قتلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع النكاية . ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين , يحميهم من الانهيار , ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها , ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تنقض عليه وتحطمه . .

حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى .

يجده في هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل !!

وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود , وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون , وأن الله ورسله هم الغالبون . وأن هذا هو الكائن والذي لا بد أن يكون . ولتكن الظواهر غير هذا ما تكون !

****

لقد كنت أسمع عن الزرقاوي حفظه منذ مدة ولم يكن بين يدي أية ترجمة أو معلومات عنه

وظهر نجمه بعد احتلال العراق

فتابعت أخباره عن كثب وأنا بشوق كبير لمعرفة المزيد منها

وأخيرا رأيت الفلم الذي أعد عن حياة الزرقاوي حفظه الله وقد رأيته أكثر من مرة
وهو فلم وثائقي ودقيق جدا جدا عن حياة الزرقاوي من هيرات إلى العراق وفيها شهادة العدو الصديق
وقد لفت انتباهي الأمور التالية والتي علقت عليها جميعا وهي :
أولا- نشأة الزرقاوي كانت نشأة طيبة طاهرة كريمة قائمة على الاستقامة
ثانيا – قرب المسجد ((مسجد الشيخ حسن)) من بيته حيث صار بيته الثاني
ثالثا – قرب بيته من المقبرة حيث كانت تذكره بالموت الذي لا مفر منه
لقد أيقن أنه لن يموت إلا في الوقت الذي حدده الله تعالى
رابعا – نظرته البعيدة إلى فلسطين الحبيبة المغتصبة والتي لا يفصل بينه وبينها سوى نهر صغير من السهل جدا عبوره
خامسا – وفي المسجد تلقن العلم وبدأ الفكر الجهادي ينضج رويدا رويدا ولا سيما أنه يسمع بأخبار المجاهدين ولا سيما في أفغانستان فتمنى أن يكون بينهم
سادسا- ومن صفاته التي ذكرت الصمت الطويل
سابعا –ذهابه للجهاد في سبيل الله في أفغانستان وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره فيشارك في الجهاد في سبيل الله لمحاربة أعداء الله تعالى وهناك يلتقي بخيرة الخبرات الجهادية والفكرية في العالم الإسلامي فينهل من معينهم ، ويتدرب على فنون القتال والنزال
ثامنا – وفي أفغانستان يزوج أحد المجاهدين الذين فقدوا ساقهم في الجهاد يزوجه إحدى أخواته وهذا يدل على حسه الإسلامي المرهف فهو يريد أن يكافئه على عمله الجهادي ويقتدي بالسلف الصالح وأنعم به من اقتداء نحن بأمس الحاجة إليه
تاسعا- تميزت شخصية الزرقاوي منذ البداية بحب الحرية والبحث عن الحقيقة ومن ثم كان يكره التبعية العمياء
عاشرا – الزرقاوي يحب الأولاد كثيرا ويتمنى أن يأتيه كل يوم ولد
الحادي عشر – لما توقف الجهاد الأفغاني وأوقع أعداء الإسلام بين المجاهدين واستلم أفغانستان من لم يكن له باع في الجهاد ضد الشيوعيين اضطر لترك أفغانستان والرجوع إلى الأردن
وكان مما استفاده من السجن :
1- التضلع من العلوم الشرعية ولا سيما من شيخه المقدسي
وكذلك حفظ كتاب الله تعالى الذي هو أساس سعادة هذه الأمة في الدارين

2- السجن قد يكون نعمة على قوم نقمة على آخرين ولقد كان نعمة عظيمة على الزرقاوي حيث أيقن أنه لا حل إلا بالإسلام وأن الجميع يتآمر على الإسلام والمسلمين سواء أكانوا في الداخل أو في الخارج وهم أعدى أعداء البشرية على الإطلاق
3- كان الزرقاوي والمقدسي نشطين جدا داخل السجون
4- صار السجانون يحسبون له وللمقدسي ألف حساب
5- كان صداعا بالحق لا يخاف في الله لومة لا ئم
6- حنينه إلى أمه التي ربته بعد وفاة أبيه حيث كان يحبها حبا جما وقد قال فيها كثيرا من قصائد الشعر وكان يتجمل لها إذا زارته وكأن يأمرها بطاعة الله تعالى لأنه يخاف عليها النار
7 – مرافعته هو و المقدسي أثناء المحاكمة فبدلا من أن توجه لهما أصابع الاتهام فقد قاما هما بتوجيه الاتهام المباشر لرئيس المحكمة ولطاغوت الأردن واتهموهما بالكفر والردة والمروق من الدين لأنهم بدلوا شرع الله وأباحوا ما حرم الله تعالى وحكموا بغير ما أنزل الله تعالى وأمرهم بالعودة إلى الله والتوبة من الكفر والردة
8- تحذير الداعية الإسلامي ليث شبيلات في السجن النزلاء من الجلوس مع الزرقاوي والمقدسي
9- لقد أيقن الزرقاوي خلال هذه السنوات الخمس أن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار ، إنما هو الإيمان . أو . . فلا إيمان . .
الثاني عشر – كان يتطلع إلى الخلاص من هذا السجن الظالم أهله وبمجرد خروجه من السجن هاجر إلى أرض الله الواسعة
الثالث عشر – كان الطغاة في الأردن قد أوحوا إليه بالخروج منها لكونه يشكل خطرا كبيرا على الطغاة ويقض مضاجعهم ولا سيما أنه قد اكتسب شعبية واسعة بسبب ثباته وجرأته في قول الحق
ومن هنا يجب أن ندرك أننا أمام ثلاث خيارات
الرابع عشر – لقد كان يريد أن يذهب إلى الشيشان لمساعدة إخوانه هناك بسبب قلتهم
الخامس عشر – الله تعالى لم يقدر له الوصول إلى الشيشان فقد ذهب إلى باكستان كي يجد السبيل ولكن الطريق أوصد أمامه وتقوم جلاوزة النظام الباكستاني بإلقاء القبض عليه وسجنه لأنه لا يملك وثيقة !!!
السادس عشر – اضطر للخروج من باكستان مقيدا بالأغلال ولم يكن أمامه سوى الذهاب لأفغانستان والتي كان يحكمها الطالبان وهنا التقى مرة أخرى بزعماء الجهاد في العالم الإسلامي

وأخذ يعمل معهم بل وصار له جماعة ((الفاروق)) يدربهم كذلك ولكن الزرقاوي الذي كان يتعطش للجهاد في سبيل الله قد خالف أسلوب تنظيم القاعدة ببعض الأشياء والخلاف بينهما كان خلافا مرحليا

السابع عشر – وفي هيرات كان يدرب أتباعه ليل نهار ويعبئهم ليوم لا ريب فيه

الثامن عشر – الحصار في هيرات وفيه أمور :

1- لقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية ومعها جل دول العالم للقضاء على دولة طالبان المسلمة بحجة عدم تسليمها الشيخ المجاهد أسامة بن لادن حفظه الله ولو كان في أية دولة عربية لأسلمته على طبق من ذهب لأمريكا لترضى عنهم ولو غضب الله عليهم لأنهم لا يؤمنون بلقائه أصلا

2- لقد قام تحالف الشمال ورافضة إيران بحصار هيرات فصار الزرقاوي وجماعته بين فكي كماشة

3- لقد صار كثير منهم تحت الأسر نتيجة لذلك حيث لا يملكون أسلحة ثقيلة ليردوا على أولئك الفجار فماذا فعل أبو مصعب وهو في أحلك الظروف ؟؟

4- عبقريته العسكرية حيث قال لهم بعد الدعاء أبشر بالفرج

5- وكذلك دفاعه المستميت ومن معه في قندهار

التاسع عشر – فكره الحركي التنظيمي

1-أنه لا بد من الجماعة

2- ما هي أهم صفات هذه الجماعة ؟ :

العشرون - الزرقاوي في العراق وهنا لا بد من التفصيل في أمور كثيرة منها :

1- لماذا اختار العراق ؟

2- ماذا فعل الزرقاوي قبل اجتياح العراق ؟

3- بعد الاجتياح الأمريكي البغيض على العراق فقد قصف الأمريكان معسكرات أنصار الإسلام ومن ثم فقد استشهد بعض من جماعة الزرقاوي

4- بعد أن صار الاحتلال واقعا وسقطت الحكومة العراقية وتركت كل شيء استفاد الزرقاوي من الأسلحة التي تركت وهي كثيرة

5- لقد كان للزرقاوي في قتال المحتلين أساليب عديدة ومنوعة حيث اكتسب خبرات عسكرية عالية في أفغانستان

* أولا - عمليات نحر العلوج الكفار والمتعاونين مع المحتل

• ثانيا – عمليات الاختطاف فقد كان من أسلوب المجاهدين في العراق عمليات اختطاف عديدة وما زالت وذلك لأن فيها نكاية عظيمة بالعدو

• -ثالثا- العلميات الاستشهادية وكان لها دور كبير جدا في النكاية بالعدو وهذه لا تستطيع قوة في الأرض أن تقف في طريقها
• - رابعا – عمليات الاغتيال
• -خامسا- موقف الزرقاوي من الرافضة
• سادسا- موقفه من البرزاني وطالباني الكرديين
• سابعا – ضم أجنحة الجهاد تحت راية واحدة بعنوان ((جماعة التوحيد والجهاد))
• ثامنا - يحاول أعداء الإسلام والمنافقين التقليل من شأن أبي مصعب الزرقاوي ويقولون كيف يستطيع أن يفعل كل هذا الذي ينسب إليه ؟؟
• تاسعا- لماذا ينكر بعض أهل العراق وجود الزرقاوي بينهم ؟؟
عاشرا – سرعة الحركة عند الزرقاوي
• - الحادي عشر – أين المقاومة العراقية إذن ؟؟
• - الثاني عشر – لماذا القائم مثلا ؟؟
• - الثالث عشر – ماذا قدمت المقاومة الإسلامية في العراق ؟؟
• الرابع عشر- مهما شوه الأعداء الحقيقة فلن يستطيعوا ذلك
• الخامس عشر - رأيه في الحكومة العراقية
• السادس عشر – هل هيئة علماء المسلمين في العراق تمثل المجاهدين ؟؟
• السابع عشر - من يمثل المقاومة الإسلامية في العراق ؟؟
• الثامن عشر –ما هو برنامج المقاومة الإسلامية إذن ؟؟
فغايتهم أولا أن يكون الدين كله لله ومن أجل إقامة منهج الله تعالى في الأرض
فطرد العدو الغازي أولا بلا شك وقد وعد الله المؤمنين بالنصر على الكفار
وهم يعلمون أن النصر له ثمن باهض ومن ثم فإنهم يقدمون هذا الثمن
وهم يعلمون أنه قد يندس بينهم من يقول الله تعالى عنهم :
• التاسع عشر - ومن أهدافهم إقامة الخلافة الإسلامية في الأرض التي وعدنا الله تعالى بها • العشرون -ووعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
إنّ شرعيّة جماعات الجهاد في العالم قامت على عمد، كلّ واحدة منها تكفي لوجوب الاجتماع لإحياء الجهاد والعمل به دون تردّد أو مواربة، وتجعل الخارج عن هذه الجماعات المجاهدة واقع لا شكّ في إثم ووِزرٍ لتقصيره في العمل في إدراك هذه العمد، والإعانة على إحيائها وتنميتها.
لماذا جماعات الجهاد المقاتلة؟.

• الحادي و العشرون - لا يمكن إقامة الخلافة الإسلامية بغير الجهاد في سبيل الله
الدّولة المنشودة التي ستقوم عن طريق الجهاد، هي الدّولة الوحيدة التي تملك الشّرعيّة، وهي الدّولة التي ستعبّر بحقّ عن حقيقة هذا الدّين، وذلك للأسباب التّالية:
إنّ الدّولة الوحيدة التي تملك الشّرعيّة وتمثّل صورة الإسلام الصّحيح، وتنطوي على جوهره هي الدّولة التي تقوم عن طريق الجهاد (القتال).
شبهة وردها
يتّهمنا خصومنا أنّنا أصحاب أوهام وأحلام، وأنّنا حين نتحدّث عن دولة الإسلام القادمة، وأنّها دولة هجرة وعزّة أنّنا نتحدّث عن أضغاث أحلام
• الثاني والعشرون ت تصوري للأمر
هو أن تتحرر العراق من المحتل الغازي ويخرج مذموما مدحورا و في هذا بداية أفول الحضارة الغربية النجسة والعفنة
وتقوم خلافة في العراق أو الشام أو مصر مثلا ولا تتعداها لأنها دول المواجهة والصراع عبر التاريخ الإسلامي كله ثم تجاهد هذه الدويلات العميلة حتى تطهر الأرض من رجسها وتصبح خلافة الإسلام حول فلسطين المغتصبة ثم تكون المعركة الفاصلة بيننا وبين اليهود ثم النصر
تصوري لتحرير فلسطين كيف سيتم ؟
***الثالث والعشرون – لماذا لا يظهر الزرقاوي على شاشات التلفزة ؟؟**
*** الرابع والعشرون – رسالته الأخيرة للشيخ المجاهد أسامة بن لادن حماه الله من الكيد فيها أعظم أنواع الحب والوفاء والولاء الذي نحن بأمس الحاجة إليه**
***الخامس والعشرون - نحن مع موكب الإيمان . .**
***السادس والعشرون – هذا هو الطريق أيها الناس**

وأخيرا أقول لأبي مصعب حماه الله من كيد الكائدين وشر الأشرار:
سر على بركة الله وعين الله ترعاك
****
هذا وأسأل المولى سبحانه وتعالى أن يهدينا سواء السبيل وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والدال عليه
إنه نعم المولى ونعم النصير
الشهاب الثاقب

ليلة الاثنين 13 جمادى الأولى 1426 هـ
الموافق ل 19 / 6/2005 م

****

أولا- نشأة الزرقاوي كانت نشأة طيبة طاهرة كريمة قائمة على الاستقامة

وهذه نقطة هامة جدا في حياة الزرقاوي
فأبشر يا أبا مصعب سيظلك الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله
ففي البخاري 660 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِى خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » . أطرافه 1423 ، 6479 ، 6806 - تحفة 12264
****

ثانيا – قرب المسجد ((مسجد الشيخ حسن)) من بيته حيث صار بيته الثانى
ومن كان بيته المسجد فأنعم به من بيت
فأبشر يا أبا مصعب بالنور التام يوم القيامة
ففي سنن أبي داود 561 حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ الْحَدَّادُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْكَحَّالُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».
وكذلك نحن نشهد لك بالإيمان
ففي سنن الترمذي 2826 حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى عُمَرَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ عَنْ دَرَّاجٍ أَبِى السَّمْحِ عَنْ أَبِى الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ) ». الآيَةَ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ حَسَنٌ.
وقال تعالى :
فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ

الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (37) سورة النــور
تلك البيوت (أذن الله أن ترفع) - وإذن الله هو أمر للنفاذ - فهي مرفوعة قائمة , وهي مطهرة رفيعة . يتناسق مشهدها المرفوع مع النور المتألق في السماوات والأرض . وتتناسق طبيعتها الرفيعة مع طبيعة النور السني الوضيء . وتتهيأ بالرفعة والارتفاع لأن يذكر فيها اسم الله:
(ويذكر فيها اسمه) . وتتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة , المسبحة الواجفة , المصلية الواهبة . قلوب الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) . . والتجارة والبيع لتحصيل الكسب والثراء . ولكنهم مع شغلهم بهما لا يغفلون عن أداء حق الله في الصلاة , وأداء حق العباد في الزكاة:
(يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) . .
تتقلب فلا تثبت على شيء من الهول والكرب والاضطراب . وهم يخافون ذلك اليوم فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .
وهم مع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله:
(ليجزيهم الله أحسن ما عملوا , ويزيدهم من فضله) . .
ورجاؤهم لن يخيب في فضل الله: (والله يرزق من يشاء بغير حساب) من فضله الذي لا حدود له ولا قيود (الظلال)

****

ثالثا – قرب بيته من المقبرة حيث كانت تذكره بالموت الذي لا مفر منه
فيها القريب والبعيد وفيها الصالح والطالح
إن تذكر الموت يجعل المرء مرهف الحس بعيدا عن معصية الله تعالى
قال تعالى :
{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} (185) سورة آل عمران
وكل نفس ذائقة الموت على كل حال . إنما الجزاء هناك , والكسب والخسارة هناك . (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) . .
وهم مبتلون في أموالهم وأنفسهم , والأذى سينالهم من أعدائهم المشركين وأهل الكتاب . فلاعاصم لهم إلا الصبر والتقوى , والمضي مع المنهج , الذي يزحزحهم عن النار !

وهذا التوجيه الإلهي للجماعة المسلمة في المدينة ما يزال هو هو , قائما اليوم وغدا , يبصر كل جماعة مسلمة تعتزم سلوك الطريق , لإعادة نشأة الإسلام ولاستئناف حياة إسلامية في ظل الله . .
يبصرها بطبيعة أعدائها - وهم هم مشركين وملحدين وأهل كتاب - الصهيونية العالمية والصليبية العالمية والشيوعية !
- ويبصرها بطبيعة العقبات والفخاخ المرصودة في طريقها , وبطبيعة الآلام والتضحيات والأذى والابتلاء . ويعلق قلوبها وأبصارها بما هنالك . بما عند الله . ويهون عليها الأذى والموت والفتنة في النفس والمال . ويناديها - كما نادى الجماعة المسلمة الأولى -:
(كل نفس ذائقة الموت , وإنما توفون أجوركم يوم القيامة . فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . لتبلون في أموالكم وأنفسكم ; ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا . وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) . .
والقرآن هو القرآن . كتاب هذه الأمة الخالد . ودستورها الشامل . وحاديها الهادي . وقائدها الأمين .
وأعداؤها هم أعداؤها . .
والطريق هو الطريق . . (الظلال)

لقد أيقن أنه لن يموت إلا في الوقت الذي حدده الله تعالى

قال تعالى :
{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} (145) سورة آل عمران
إن لكل نفس كتابا مؤجلا إلى أجل مرسوم . ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم . فالخوف والهلع , والحرص والتخلف لا تطيل أجلا . والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرا . فلا كان الجبن , ولا نامت أعين الجبناء . والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد !
بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس , فتترك الاشتغال به , ولا تجعله في الحساب , وهي تفكر في الأداء والوفاء بالالتزامات والتكاليف الإيمانية . وبذلك تنطلق من عقال الشح والحرص , كما ترتفع على وهلة الخوف والفزع . وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزاماته , في صبر وطمأنينة , وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده .

ثم ينتقل بالنفس خطوة وراء هذه القضية التي حسم فيها القول . .
فإنه إذا كان العمر مكتوبا , والأجل مرسوما . .
فلتنظر نفس ما قدمت لغد ; ولتنظر نفس ماذا تريد . . أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان , وأن تحصر همها كله في هذه الأرض , وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها ? أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى , وإلى اهتمامات أرفع , وإلى حياة أكبر من هذه الحياة ? . .
مع تساوي هذا الهم وذاك فيما يختص بالعمر والحياة ?!
(ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها . ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) .
وشتان بين حياة وحياة !
وشتان بين اهتمام واهتمام ! - مع اتحاد النتيجة بالقياس إلى العمر والأجل - والذي يعيش لهذه الأرض وحدها , ويريد ثواب الدنيا وحدها . .
إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام ! ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب . والذي يتطلع إلى الأفق الآخر . .
إنما يحيا حياة "الإنسان" الذي كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب . .
(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) . .
(وسنجزي الشاكرين) . .
الذين يدركون نعمة التكريم الإلهي للإنسان , فيرتفعون عن مدارج الحيوان ; ويشكرون الله على تلك النعمة , فينهضون بتبعات الإيمان . .
وهكذا يقرر القرآن حقيقة الموت والحياة , وحقيقة الغاية التي ينتهي إليها الأحياء , وفق ما يريدونه لأنفسهم , من اهتمام قريب كاهتمام الدود , أو اهتمام بعيد كاهتمام الإنسان !
وبذلك ينقل النفس من الإنشغال بالخوف من الموت والجزع من التكاليف - وهي لا تملك شيئا في شأن الموت والحياة - إلى الإنشغال بما هو أنفع للنفس , في الحقل الذي تملكه , وتملك فيه الاختيار . فتختار الدنيا أو تختار الآخرة . وتنال من جزاء الله ما تختار ! (الظلال)

****

رابعا – نظرته البعيدة إلى فلسطين الحبيبة المغتصبة والتي لا يفصل بينه وبينها سوى نهر صغير من السهل جدا عبوره

ولكن رأى بأم عينه كيف يحمي الطواغيت حدود دولة اليهود ويمنعون أية عملية يمكن أن يقوم بها المجاهدون ضد اليهود ولا سيما طاغية الأردن التي تعتبر حدودها مع فلسطين أطول الحدود

ولا شك أنه عاد إلى الوراء وتساءل لماذا طرد الفدائيون من الأردن كل ذلك لإرضاء اليهود
من هنا بدأ يتساءل ما دور هؤلاء الحكام اليوم ؟؟
إنه يرنو إليها ببصره ليل نهار ولكن ليس بوسعه عمل شيء فالحدود مغلقة والقيود كثيفة
هذه الأرض التي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم كما في مسند أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ قَالَ «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ».

****

خامسا – وفي المسجد تلقن العلم وبدأ الفكر الجهادي ينضج رويدا رويدا ولا سيما أنه يسمع بأخبار المجاهدين ولا سيما في أفغانستان فتمنى أن يكون بينهم
والتربية الجهادية مهمة جدا
لأن الذي يتربى على الذل والخنوع لن يجاهد في سبيل الله كما حصل مع بني إسرائيل في ظل الاضطهاد الفرعوني
قال تعالى :
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21)قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22)قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (23)قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24)قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) سورة المائدة
وهكذا أسلمهم الله - وهم على أبواب الأرض المقدسة - للتيه ; وحرم عليهم الأرض التي كتبها لهم . .
والأرجح أنه حرمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة ; وحتى ينشأ جيل غير هذا الجيل . جيل يعتبر بالدرس , وينشأ في خشونة الصحراء وحريتها صلب العود . .

جيل غير هذا الجيل الذي أفسدة الذل والاستعباد والطغيان في مصر , فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل !
والذل والاستعباد والطغيان يفسد فطرة الأفراد كما يفسد فطرة الشعوب .
ويتركهم السياق هنا - في التيه لا يزيد على ذلك . .
وهو موقف تجتمع فيه العبرة النفسية إلى الجمال الفني , على طريقة القرآن في التعبير .
ولقد وعى المسلمون هذا الدرس - مما قصه الله عليهم من القصص - فحين واجهوا الشدة وهم قلة أمام نفير قريش في غزوة بدر , قالوا لنبيهم صلى الله عليه وسلم إذن لا نقول لك يا رسول الله ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم . (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) لكن نقول:
اذهب أنت وربك فقاتلا فإننا معكما مقاتلون . .
وكانت هذه بعض آثار المنهج القرآني في التربية بالقصص عامة ; وبعض جوانب حكمة الله في تفصيل قصة بني إسرائيل . . (الظلال)

****

سادسا- ومن صفاته التي ذكرت الصمت الطويل
فهذا الصمت الطويل ينم عن تفكير حاد إنه يفكر بهموم أمته
وفي مسند أحمد عَنْ سِمَاكٍ قَالَ قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم قَالَ نَعَمْ فَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ الضَّحِكِ وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشِّعْرَ وَأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ فَيَضْحَكُونَ وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ.

****

سابعا –ذهابه للجهاد في سبيل الله في أفغانستان وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره فيشارك في الجهاد في سبيل الله لمحاربة أعداء الله تعالى وهناك يلتقي بخيرة الخبرات الجهادية والفكرية في العالم الإسلامي فينهل من معينهم ، ويتدرب على فنون القتال والنزال
وكان من الشخصيات التي أثرت فيه فكريا الشيخ العلامة أبو محمد المقدسي حفظه الله الذي وصفه من جالسه بأنه موسوعة شاملة ودمث الخلق رحب الصدر فرسخت باع الزرقاوي في العلوم الإسلامية ولا سيما الفكر الجهادي الذي يعتبر أبو محمد المقدسي أحد أركانه
ونهل من معين العلماء السابقين ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والشهيد سيد قطب رحمه الله

****

ثامنا – وفي أفغانستان يزوج أحد المجاهدين الذين فقدوا ساقهم في الجهاد يزوجه إحدى أخواته وهذا يدل على حسه الإسلامي المرهف فهو يريد أن يكافئه على عمله الجهادي ويقتدي بالسلف الصالح وأنعم به من اقتداء نحن بأمس الحاجة إليه

****

تاسعا- تميزت شخصية الزرقاوي منذ البداية بحب الحرية والبحث عن الحقيقة ومن ثم كان يكره التبعية العمياء

يعني أن صفات القيادة كانت متوفرة فيه منذ البداية فالذي يحب التبعية لن يكون قائدا ناجحا في يوم من الأيام

فقد كانت له شخصيته المستقلة منذ البداية سواء مع شيخه المقدسي أو مع أمير المجاهدين الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله والتبعية العمياء من المصائب الكبرى التي منينا بها في هذه الأيام حيث ساد فكر الاستبداد ((لا تعترض فتنطرد))

أنت أفهم من الشيخ أو الأمير ؟؟

ونحو ذلك من عبارات ما أنزل الله بها من سلطان كنا نعاني منها أشد المعاناة

وكثير من الأمم والشعوب سوف تدخل النار بسبب هذا التقليد الأعمى

قال تعالى :

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (47)قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48) سورة غافر

****

عاشرا – الزرقاوي يحب الأولاد كثيرا ويتمنى أن يأتيه كل يوم ولد لأن الإسلام قد حث على كثرة النسل

ففي سنن أبي داود عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم فَقَالَ إِنِّى أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لاَ تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا قَالَ « لاَ ».ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّى مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ ».

والأمة المسلمة أمة مجاهدة ومن ثم فإن الجهاد في سبيل الله يتطلب وجود شباب يضحون من أجل هذه الرسالة العظيمة بالغالي والنفيس

يقول السباعي رحمه الله في كتابه النفيس السيرة النبوية تعليقا على حادث الهجرة :

في موقف عبد الله بن أبي بكر ما يثبت أثر الشباب في نجاح الدعوات، فهم عماد كل دعوة إصلاحية، وباندفاعهم للتضحية الفداء، تتقدم الدعوات سريعا نحو النصر والغلبة. ونحن نرى في المؤمنين السابقين إلى الإسلام كلهم شبابا، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمره أربعين سنة عند البعثة، وأبو بكر رضي الله عنه كان أصغر منه بثلاث سنين، وعمر رضي الله عنه أصغر منهما، وعلي رضي الله عنه أصغر الجميع، وعثمان رضي الله عنه كان أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا كان عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، والأرقم بن أبي الأرقم، وسعيد بن زيد، وبلال بن رباح، وعمار بن ياسر، رضي الله عنهم، وغيرهم، كل هؤلاء كانوا شبابا، حملوا أعباء الدعوة على كواهلهم، فتحملوا في سبيلها التضحيات، واستعذبوا من أجلها العذاب والألم والموت، وبهؤلاء انتصر الإسلام، وعلى جهودهم وجهود إخوانهم قامت دولة الخلفاء الراشدين، وتمت الفتوحات الإسلامية الرائعة، وبفضلهم وصل إلينا الإسلام الذي حررنا الله به من الجهالة والضلالة والوثنية والكفر والفسوق.

****

الحادي عشر – لما توقف الجهاد الأفغاني وأوقع أعداء الإسلام بين المجاهدين واستلم أفغانستان من لم يكن له باع في الجهاد ضد الشيوعيين اضطر لترك أفغانستان والرجوع إلى الأردن

حيث أدرك بعد المؤامرة التي كانت تحاك ضد المجاهدين في سبيل الله

ففي البداية كان علماء الجزيرة يحثون على الجهاد في سبيل الله ضد الشيوعيين ويشحذون همم الشباب للمشاركة فيه وذلك إرضاء لأعداء الإسلام الأمريكان وإرضاء للطغاة كذلك حيث يضربون بهذا عدة عصافير بآن واحد

فهم من جهة يتخلصون من هؤلاء الشباب المندفع الغيور على دينه وحرماته حيث إن بقاءهم يشكل خطرا ما بعده خطر على عرش الطواغيت بعد أن بدأت ريحهم ونتنهم تظهر للعيان فبهذه الطريقة يتخلصون منهم

ومن جهة أخرى يكسبون التأييد الشعبي حيث إنهم يحثون على الجهاد و يساعدون المجاهدين بالمال

ومن جهة أخرى ليرضوا أعداء الإسلام من الأمريكان وغيرهم حيث كانت لهم مصلحة كبيرة في القضاء على الدب الروسي فيتخلصون منه دون أن يكلفهم ذلك شيء

ولم يكتشف المجاهدون هذا إلا بعد عودة من قدر الله تعالى له الحياة إلى بلاده فيلقى القبض عليهم ويدكون في سجون الطواغيت بدلا من الثناء عليهم وصاروا يسمون الأفغان العرب والإرهابيين والمتطرفين وكانوا قبل قليل يسمون المجاهدين في سبيل الله !!!!

ومن ثم دك الزرقاوي والمقدسي في سجون طاغية الأردن صنيعة أعداء الإسلام

وعانى الزرقاوي الأمرين في سجون الأردن مدة خمس سنوات

وفي هذه السجون تألقت شخصية الزرقاوي أكثر وتأصلت كما تألقت شخصية الشهيد سيد قطب رحمه الله في سجن الطاغوت عبد الناصر

وكان مما استفاده من السجن :

1- التضلع من العلوم الشرعية ولا سيما من شيخه المقدسي

وكذلك حفظ كتاب الله تعالى الذي هو أساس سعادة هذه الأمة في الدارين

هذا الكتاب الذي فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِى غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الَّذِى لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلاَ تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِى لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ) مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

هذا الكاتب الذي يقول الله تعالى عنه :

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (9) سورة الإسراء

يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور , بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض , والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة , وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء , وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه , وبين مشاعره وسلوكه , وبين عقيدته وعمله , فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم , متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض , وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله , ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة .

ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة , فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء . ولا تسهل وتترخص حتى تشبع في النفس الرخاوة والاستهتار . ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .
ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض:أفرادا وأزواجا , وحكومات وشعوبا , ودولا وأجناسا , ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى , ولا تميل مع المودة والشنآن ; ولا تصرفها المصالح والأغراض . الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه , وهو أعلم بمن خلق , وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل , فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان .
ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها , وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام .
(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) . .
(ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا , وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) فهذه هي قاعدته الأصيلة في العمل والجزاء . فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه . فلا إيمان بلا عمل , ولا عمل بلا إيمان . الأول مبتور لم يبلغ تمامه , والثاني مقطوع لا ركيزة له . وبهما معا تسير الحياة على التي هي أقوم . .
وبهما معا تتحقق الهداية بهذا القرآن . (الظلال)

2- السجن قد يكون نعمة على قوم نقمة على آخرين ولقد كان نعمة عظيمة على الزرقاوي حيث أيقن أنه لا حل إلا بالإسلام وأن الجميع يتآمر على الإسلام والمسلمين سواء أكانوا في الداخل أو في الخارج وهم أعدى أعداء البشرية على الإطلاق
وهذه السجون لا تتوفر فيها أبسط حقوق الحيوانات وقد تحدثت عن شيء من ذلك في مقالي
((سجن أبي غريب وعفن الحضارة الغربية))
https://www.al-qal3ah.net/vb/showthread.php?t=127187

3- كان الزرقاوي والمقدسي نشطين جدا داخل السجون مما شكل تيارا يحسب له ألف حساب بل أصبح الزرقاوي هو أمير هذه المجموعة الطيبة من السجناء يأتمرون بأمره ويحاول أن يضمهم إلى جناحه ويرعى شؤونهم ويسهر على أحوالهم

فكان بحق نعم القائد الفذ

4- صار السجانون يحسبون له وللمقدسي ألف حساب حيث وصفا بأنهما صعبا المراس لا تلين لهما قناة

5- كان صداعا بالحق لا يخاف في الله لومة لا ئم

ومن ذلك فقد كان يقول للسجانين أنتم بعملكم هذا مع الطاغوت كفار مثله فيجب عليكم أن تتوبوا إلى الله تعالى قبل فوات الأوان بل كان يقول ذلك لأي مسئول يزور السجن دون خوف ولا وجل إلا من الله تعالى
حتى صاروا يهابون الدخول إلى غرفته وغرفة المقدسي
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كما في مسند أحمد عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ أَمَرَنِى خَلِيلِى -صلى الله عليه وسلم- بِسَبْعٍ أَمَرَنِى بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ وَأَمَرَنِى أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِى وَلاَ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِى وَأَمَرَنِى أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ وَأَمَرَنِى أَنْ لاَ أَسْأَلَ أَحَداً شَيْئاً وَأَمَرَنِى أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا وَأَمَرَنِى أَنْ لاَ أَخَافَ فِى اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ وَأَمَرَنِى أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ.
بل هو أعظم الجهاد على الإطلاق ففي سنن النسائي عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِى الْغَرْزِ أَىُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ قَالَ «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ».
وقال تعالى :
{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (104) سورة آل عمران
فلا بد من جماعة تدعو إلى الخير , وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر لا بد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . والذي يقرر أنه لا بد من سلطة هو مدلول النص القرآني ذاته . فهناك "دعوة " إلى الخير . ولكن هناك كذلك "أمر" بالمعروف . وهناك "نهي" عن المنكر . وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذي سلطان , فإن "الأمر والنهي لا يقوم بهما إلا ذو سلطان . .
هذا هو تصور الإسلام للمسألة . .
إنه لا بد من سلطة تأمر وتنهى . .
سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر . .
سلطة تتجمع وحداتها وترتبط بحبل الله وحبل الأخوة في الله . .

سلطة تقوم على هاتين الركيزتين مجتمعتين لتحقيق منهج الله في حياة البشر . .
وتحقيق هذا المنهج يقتضي "دعوة " إلى الخير يعرف منها الناس حقيقة هذا المنهج . ويقتضي سلطة "تأمر" بالمعروف "وتنهى " عن المنكر . .
فتطاع . .
والله يقول: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) . .
فمنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان . فهذا شطر . أما الشطر الآخر فهو القيام بسلطة الأمر والنهي , على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية , وصيانة تقاليد الجماعة الخيرة من أن يعبث بها كل ذي هوى وكل ذي شهوة وكل ذي مصلحة , وضمانة هذه التقاليد الصالحة من أن يقول فيها كل امرىء برأيه وبتصوره , زاعما أن هذا هو الخير والمعروف والصواب !
والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من ثم - تكليف ليس بالهين ولا باليسير , إذا نظرنا إلى طبيعته , وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم , ومصالح بعضهم ومنافعهم , وغرور بعضهم وكبريائهم . وفيهم الجبار الغاشم . وفيهم الحاكم المتسلط . وفيهم الهابط الذي يكره الصعود . وفيهم المسترخي الذي يكره الاشتداد . وفيهم المنحل الذي يكره الجد . وفيهم الظالم الذي يكره العدل . وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة . .
وفيهم ممن ينكرون المعروف , ويعرفون المنكر . ولا تفلح الأمة , ولا تفلح البشرية , إلا أن يسود الخير , وإلا أن يكون المعروف معروفا , والمنكر منكرا . .
وهذا ما يقتضي سلطة للخير وللمعروف تأمر وتنهى . .
وتطاع . .
ومن ثم فلا بد من جماعة تتلاقى على هاتين الركيزتين:
الإيمان بالله والأخوة في الله . لتقوم على هذا الأمر العسير الشاق بقوة الإيمان والتقوى ثم بقوة الحب والألفة , وكلتاهما ضرورة من ضرورات هذا الدور الذي ناطه الله بالجماعة المسلمة , وكلفها به هذا التكليف . وجعل القيام به شريطة الفلاح . فقال عن الذين ينهضون به:
(وأولئك هم المفلحون) . .
إن قيام هذه الجماعة ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي ذاته . فهذه الجماعة هي الوسط الذي يتنفس فيه هذا المنهج ويتحقق في صورته الواقعية . هو الوسط الخير المتكافل المتعاون على

دعوة الخير . المعروف فيه هو الخير والفضيلة والحق والعدل . والمنكر فيه هو الشر والرذيلة والباطل والظلم . .
عمل الخير فيه أيسر من عمل الشر . والفضيلة فيه أقل تكاليف من الرذيلة . والحق فيه أقوى من الباطل . والعدل فيه أنفع من الظلم . .
فاعل الخير فيه يجد على الخير أعوانا . وصانع الشر فيه يجد مقاومة وخذلانا . . ومن هنا قيمة هذا التجمع . .
إنه البيئة التي ينمو فيها الخير والحق بلا كبير جهد , لأن كل ما حوله وكل من حوله يعاونه . والتي لا ينمو فيها الشر والباطل إلا بعسر ومشقة , لأن كل ما حوله يعارضه ويقاومه .
والتصور الإسلامي عن الوجود والحياة والقيم والأعمال والأحداث والأشياء والأشخاص . .
يختلف في هذا كله عن التصورات الجاهلية اختلافا جوهريا أصيلا . فلا بد إذن من وسط خاص يعيش فيه هذا التصور بكل قيمه الخاصة لا بد له من وسط غير الوسط الجاهلي , ومن بيئة غير البيئة الجاهلية .
هذا الوسط الخاص يعيش بالتصور الإسلامي ويعيش له ; فيحيا فيه هذا التصور , ويتنفس أنفاسه الطبيعية في طلاقة وحرية , وينمو نموه الذاتي بلا عوائق من داخله تؤخر هذا النمو أو تقاومه . وحين توجد هذه العوائق تقابلها الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وحين توجد القوة الغاشمة التي تصد عن سبيل الله تجد من يدافعها دون منهج الله في الحياة .
هذا الوسط يتمثل في الجماعة المسلمة القائمة على ركيزتي الإيمان والأخوة . الإيمان بالله كي يتوحد تصورها للوجود والحياة والقيم والأعمال والأحداث والأشياء والأشخاص , وترجع إلى ميزان واحد تقوم به كل ما يعرض لها في الحياة , وتتحاكم إلى شريعة واحدة من عند الله , وتتجه بولائها كله إلى القيادة القائمة على تحقيق منهج الله في الأرض . .
والأخوة في الله . كي يقوم كيانها على الحب والتكافل اللذين تختفي في ظلالهما مشاعر الأثرة , وتتضاعف بهما مشاعر الإيثار . الإيثار المنطلق في يسر , المندفع في حرارة , المطمئن الواثق المرتاح .
وهكذا قامت الجماعة المسلمة الأولى - في المدينة - على هاتين الركيزتين . .
على الإيمان بالله:ذلك الإيمان المنبثق من معرفة الله - سبحانه - وتمثل صفاه في الضمائر ; وتقواه ومراقبته , واليقظة والحساسية إلى حد غير معهود إلا في الندرة من الأحوال . وعلى

الحب . الحب الفياض الرائق , والود . الود العذب الجميل , والتكافل . التكافل الجاد العميق . .
وبلغت تلك الجماعة في ذلك كله مبلغا , لولا أنه وقع , لعد من أحلام الحالمين !
وقصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قصة من عالم الحقيقة , ولكنها في طبيعتها أقرب إلى الرؤى الحالمة !
وهي قصة وقعت في هذه الأرض . ولكنها في طبيعتها من عالم الخلد والجنان !
وعلى مثل ذلك الإيمان ومثل هذه الأخوة يقوم منهج الله في الأرض في كل زمان . . (الظلال)

6- حنينه إلى أمه التي ربته بعد وفاة أبيه حيث كان يحبها حبا جما وقد قال فيها كثيرا من قصائد الشعر وكان يتجمل لها إذا زارته وكأن يأمرها بطاعة الله تعالى لأنه يخاف عليها النار
قال تعالى :
وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (23)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) سورة الإسراء
بهذه العبارات الندية , والصور الموحية , يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء . ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء , توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام . إلى الذرية . إلى الناشئة الجديدة . إلى الجيل المقبل . وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء . إلى الأبوة . إلى الحياة المولية . إلى الجيل الذاهب ! ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف , وتتلفت إلى الآباء والأمهات .
إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد . إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات . وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات , ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر ; كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلهما الأجل - وهما مع ذلك سعيدان !
فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله , ويندفعون بدروهم إلى الأمام . إلى الزوجات والذرية . . وهكذا تندفع الحياة .
ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء . إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف !

وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد , بعد الأمر المؤكد بعبادة الله .
ثم يأخذ السياق في تظليل الجو كله بأرق الظلال ; وفي استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان:
(إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) . .
والكبر له جلاله , وضعف الكبر له إيحاؤه ; وكلمة(عندك) تصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف . .
(فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضيق , وما يشي بالإهانة وسوء الأدب . .
(وقل لهما قولا كريما) وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشي بالإكرام والاحترام . .
(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) وهنا يشف التعبير ويلطف , ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان . فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينا , ولا يرفض أمرا . وكأنما للذل جناح يخفضه إيذانا بالسلام والاسستسلام . (وقل:رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) فهي الذكرى الحانية . ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الولدان , وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان . وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع , ورعاية الله أشمل , وجناب الله أرحب . وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء .
قال الحافظ أبو بكر البزار - بإسناده - عن بريدة عن أبيه:أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أديت حقها ? قال لا . ولا بزفرة واحدة .
ولأن الانفعالات والحركات موصولة بالعقيدة في السياق , فإنه يعقب على ذلك برجع الأمر كله لله الذي يعلم النوايا , ويعلم ما وراء الأقوال والأفعال:
(ربكم أعلم بما في نفوسكم , إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا) .
وجاء هذا النص قبل أن يمضي في بقية التكاليف والواجبات والآداب ليرجع إليه كل قول وكل فعل ; وليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطئ أو يقصر , ثم يرجع فيتوب من الخطأ والتقصير .
وما دام القلب صالحا , فإن باب المغفرة مفتوح . والأوابون هم الذين كلما أخطئوا عادوا إلى ربهم مستغفرين . (الظلال)
وقد ماتت ولم يرها وكانت تدعو له بحرقة الأم أن يحفظه الله تعالى بملائكة السماء والأرض

ونحن ندعو له كذلك أن يحفظه الله تعالى بملائكة السماء والأرض وأن يبقيه ذخرا للإسلام والمسلمين

7 – مرافعته هو و المقدسي أثناء المحاكمة فبدلا من أن توجه لهما أصابع الاتهام فقد قاما هما بتوجيه الاتهام المباشر لرئيس المحكمة ولطاغوت الأردن واتهموهما بالكفر والردة والمروق من الدين لأنهم بدلوا شرع الله وأباحوا ما حرم الله تعالى وحكموا بغير ما أنزل الله تعالى وأمرهم بالعودة إلى الله والتوبة من الكفر والردة

في الوقت الذي كانت الحركة الإسلامية في الأردن تسبح بحمد ذلك الطاغية ليل نهار من أجل الحصول على لعاعة من الدنيا

وهذا نص مرافعته كاملا :

كلمة أبي مصعب الزرقاوي ألقاها امام المحكمة العسكرية في الأردن

أبي مصعب الزرقاوي يتحدث اليكم

بسم الله الرحمن الرحيم

ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، إله المرسلين ، الذي أنزل الكتاب المبين على قلب نبيه ليكون نذيرا للعالمين ، مالك يوم الدين ، الذي له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون .

ثم الصلاة على خير من بعث فأدى ، وبلغ فأوفى ، ورادوه المشركون للتنازل عن دينه فأبى ، فصلوات الله وسلامه عليه تترى ، حتى يتقبل ويرضى .

أما بعد ..

نحن قوم كنا في جاهلية جهلاء، في وقت عطلت فيه أحكام الله المطهرة ونسي كتاب الله جانبا ، واستبدل بشرائع شتى من اذهان وحثالات البشر ، فأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، وأشيعت الفاحشة بين الناس ، وفشى الزنا في أشراف القوم وعامتهم ، وأصبح الربا والخمر يسميان بغير أسميهما تغطية للحق وتجميلا لصورة الباطل ، وصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم إذ يقول في الحديث الصحيح : ((يشرب اناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها)) ، وقطعت الأرحام ، واستبيحت الحرم ، وأزهقت الأنفس ، وسالت الدماء بغير حق ، كل ذلك سببه غياب حكم الله عز وجل الذي فيه السعادة الأبدية ، قال تعالى : { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يؤمنون } . . .

فمن الله علينا بأن أنار لنا طريق الهداية بعد ظلام دامس خيم عليه الشرك والفسوق والعصيان ، وبصر أعيننا وأفئدتنا إلى الحق ، في وقت أصبحت فيه عيون كثير من الناس مصابة بالعشى - فنسأل الله العافية - قال تعالى : { أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها } ، وقال تعالى : { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء } . .
فنهضنا بفضل الله عز وجل ندعو الناس للرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وإلى متابعة أمره ونهيه والتحذير من عصيانه ومخالفة أمره ، قال تعالى : { يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد * يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار } ، فلا سبيل للرشاد إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلا يطاع غيره ، ولا يعبد غيره ، ولا يحكم سواه في قليل ولا كثير ، قال تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } ، وقال تعالى : { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين } . .
ولكن سنة الله ثابتة في أن الحق والباطل يصطرعان إلى يوم القيامة ، فما راق لأصحاب الباطل أن يروا أصحاب الحق يدعون الناس إلى التوحيد، وما طاب لأهل الشرك والتنديد أو يروا أهل التوحيد يخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، قال تعالى : { وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون } .
فرجوع الناس إلى ربهم معناه انتهاء جولة الباطل وانتهاء حكمهم وفقدانهم لملذاتهم وشهواتهم ، فكيف يعيش رؤوس القوم سواسية مع المساكين والضعفاء ، لهم ما للمساكين وعليهم ما على المساكين ، قال تعالى : { فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم اراذلنا بادي الامر } ، وقال تعلى : { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يرديون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا } .
روى الإمام احمد وغيره في سبب نزول هذه الآية : أنه مر ملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم - وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار - فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء ؟! أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟! لو طردت هؤلاء لاتبعناك !

فارادوا أن يوقفوا هذا السيل الجارف للباطل ، المطهر للأرض من الشرك ، فعملوا على محاربتنا بشتى الوسائل ، قال تعالى : { وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد } .
فهذه الدعوة نحملها لنزفها إلى الناس مبشرين بجنة عرضها السموات والأرض إن أطاعوا ، ومحذريهم من عقاب الله إن خالفوا واتبعوا أهواءهم
أيها القاضي بغير ما أنزل الله :
تعلم ان خلاصة دعوتنا متمثلة بقوله تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } ، فإن أول وأهم ما افترض الله على عباده تعلمه والعمل به هو التوحيد - أي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله - قال تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } ، قال المفسرون : أي ليوحدوني وحدي .
وقد تظنون أيها القضاة أن العبادة إنما هي الصلاة والصيام والزكاة فقط ، فتقولون : نحن نعبد الله ، وهل ترانا نعبد غيره ؟! فنصلي ونسجد ونصوم ونذبح لله ! ، فأقول لكم : إن العبادة ليست كما تفهمونها بهذا الفهم الضيق ، بل هي أوسع واشمل مما تظنون ، فكلمة التوحيد التي خلق الله من اجلها الخلق وأرسل الرسل وانزلت عليهم الكتب هي : " لا إله إلا الله " .
وتنقسم إلى شقين :
شق النفي ، وهو " لا إله " أي لا معبود بحق سوى الله ، فتنفي الإلوهية عن غير الله ، فلا يعبد غيره في صيام ولا صلاة ولا حج ولا تشريع .
والشق الآخر ، الإثبات ، وهو : إلا الله " أي إثبات الإلوهية لله وحده ، فلا يطاع غيره في كل كبيرة وصغيرة .
فجاءت هذه الكلمة العظيمة - كلمة التوحيد - التي لا ينجو العبد من النار إلا بتحقيقها وبالإتيان بشروطها ومقتضياتها ، فقول الله عز وجل : { فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها } جاءت مفسرة لهذه الكلمة العظيمة ، فقوله : { فمن يكفر بالطاغوت } اي ينفي الإلوهية والعبودية عن غير الله ، وقوله : { يؤمن بالله } إقرار وإثبات لعبودية الله وحده .
وقد ضمن الله لمن آمن به وحده وكفر بالطاغوت بأنه المتمسك بالعروة الوثقى ، تلك العروة التي لا نجاة إلا بالتشبث بها ، فالصلاة عروة والزكاة عروة والحج عروة وأعمال البر عرى كلها ، ولكن من تمسك بأي عروة من هذه العرى ولم يستمسك بعروة التوحيد ، لا شك أنها تنفصم ولن تنفعه عند الله ، قال تعالى : { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا } لأنها لم تؤسس على التوحيد الخالص ، قال تعالى : { وجوه يؤمئذ خاشعة عاملة ناصبة } .

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدير راهب ، فناداه : ياراهب ، فأشرف ، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قوله عز وجل : { عاملة ناصبة تصلى نارا حامية } فذاك الذي أبكاني ، عملت كثيرا ونصبت فيه ، وصليت يوم القيامة نارا حامية .
فلذلك أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن توحيده ، وتحقيقه لعبودية الله وحده ، ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن أبن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن ، قال : ((إنك تقدم قوما أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله - وفي رواية أن يوحدوا الله - فإن هم أجابوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم . .)) ، فلم يدعوهم بداية إلى الصلاة والزكاة والحج وغيرها من شرائع الإسلام ، ولكن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده .
قال تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } .
والطاغوت لغة : كل ما زاد عن حده ، قال تعالى : { إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية } أي عندما زاد الماء عن حده حملناكم في السفينة .
والطاغوت اصطلاحا : هو كل ما عبد من دون الله ، وهو راض بالعبادة .
وتتنوع أشكال الطاغوت ، فتارة يكون الطاغوت صنما ، وتارة قبرا أو إنسانا أو قانونا ، ولقد كانوا في الجاهلية الأولى يعبدون الأصنام ويذبحون عندها ويدعونها ، وجاء بعدهم من عبد القبور فيذبحون لها ويتبركون بها ويتخذونها آلهة واربابا تعبد من دون الله ، ولكن ابتلي الناس في هذا العصر باتخاذهم لونا آخر من الآلهة يعبدونها ، وهي طاعة أشخاص تابعوهم بالتحريم والتحليل ، فيشرعون لهم ما يوافق أهواءهم ، فيحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال ، فمن تابعهم على ذلك اتخذهم أربابا من دون الله ، قال تعالى : (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه).
روى الإمام أحمد وغيره عن عدي بن حاتم - كان نصرانيا ثم أسلم - : دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ قول الله عز وجل : { اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله } ، فقال : يارسول الله ما عبدوهم - وكان يظن أن العبادة إنما هي الركوع والسجود - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألم يكونوا يحلوا لهم الحرام ويحرموا عليهم الحلال فيتبعونهم ؟)) قال : نعم ، قال : ((فتلك عبادتهم)) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، إن علموا أنهم بدلوا دين الله فتابعوهم على التبديل فهذا كفر ، فقد جعله الله ورسوله شركا ، وإن لم يكونوا يصلون ويسجدون لهم) . أهـ
ويقول في موضع آخر : (ومتى ترك العلم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله ، كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة) . اهـ
قال تعالى : { المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون } ، ويقول تعالى : { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلونكم وإن أطعتموهم إنكم إذا لمشركون } ، روى الطبراني عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية ، أرسلت فارس إلى قريش ان خاصموا محمدا ، وقولوا له : تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله عز وجل فهو حرام ؟!
أيها القاضي بغير ما أنزل الله :
إذا عرفت هذا ، وظهر لك أن الكفر البواح والشرك الصراح إتخاذ غير الله مشرعا - سواء كان هذا المشرع عالما او حاكما أو نائبا أو شيخ عشيرة - وعلمتم أن الله قد حكم على الشرك في كتابه ، فقال : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } .
ثم علمتم أن المادة "26" من دستوركم الوضعي تنص على :
(أ- السلطة التشريعية تناط بالملك واعضاء مجلس الامة .
ب- تمارس السلطة التشريعية وغيرها صلاحياتها ومهامها وفقا لمواد الدستور) .
عرفتم أن كل من قبل بهذا الدين المحدث والكفر البواح المناقض لدين الله تعالى وتوحيده ، أنه قد اتخذ هؤلاء المشرعين اربابا من دون الله تعالى ، يشركهم مع الله في عبادته .
قال الشيخ احمد شاكر رحمه الله تعالى - وكان قاضي المحاكم الشرعية في بداية تحكيم مصر للقوانين الوضعية - : (هذه القوانين التي فرضها على المسلمين اعداء الإسلام هي في حقيقتها دين آخر جعلوه دينا للمسلمين بدلا من دينهم السامي النقي ، لانهم اوجبوا عليهم طاعتها وغرسوا في قلوبهم حبها وتقديسها والعصبية لها . . . حتى جرى على الألسنة والأقلام -كثيرا - كلمات " تقديس القانون " و " قدسية القانون " و " حرمة المحكمة " وأمثال ذلك من الكلمات التي يأبون أن توصف بها الشريعة

الإسلامية واراء الفقهاء ، بل حينئذ يصفونها بـ " الرجعية " و " الجمود " و " شريعة الغاب " إلى امثال ما ترى في الصحف والمجلات والكتب المدرسية التي يكتبها اتباع أولئك الوثنيين . . . - ثم بين كيف تدرج الأمر بالمسلمين فصاروا يطلقون على هذه القوانين ودراستها " الفقه " و " الفقيه " و " التشريع " و " المشرع " وما إلى ذلك من الكلمات التي تطلق على الشريعة وعلمائها ، ثم بين كيف وصل الحال بهم إلى الدرك الأسفل ، فنفوا شريعتهم الإسلامية عن كل شيء ، وصرح كثير منهم في كثير من أحكامها القطعية الثبوت والدلالة بأنها لا تناسب هذا العصر ، وإنما شرعت لقوم بدائيين غير متمدنين ، فلا تصلح لهذا العصر الإفرنجي الوثني خصوصا في الحدود المنصوصة في الكتاب ، والعقوبات الثابتة في السنة . . .- إلى أن قال : ولقد ربى لنا المستعمرون من هذا النوع طبقات ارضعوهم لبان هذه القوانين حتى صار منهم فئات عالية الثقافة واسعة المعرفة بهذا اللون من الدين الجديد الذين نسخوا به شريعتهم ، ونبغت فيه نوابغ يفخرون بها على رجال القانون في أوربا ، فصار المسلمون من أئمة الكفر ما لم يبتل به الإسلام بأي زمن آخر . . . - وانتهى بقوله : وصار هذا الدين الجديد والقواعد الأساسية التي يتحاكم إليها المسلمون في أكثر بلاد الإسلام فسواء منها ما وافق في بعض احكامه شيئا من أحكام الشريعة أو ما خالفها) . اهـ
وأنظروا إلى مشرعيكم أمثال محمد فاضل والسنهوري أين هم الآن ؟ ، إنهم تحت أطباق الثرى . . . ياالله ويا للعجب ! مشرعيكم يموتون ! ولكن ربنا ومشرعنا وحاكمنا حي لا يموت .
قال تعالى : { افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون } ، قال ابن كثير : (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الاراء والأهواء والإصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير . .) .
ايها القاضي بغير ما انزل الله :
من أجل هذا عادانا قومنا ، ورمونا عن قوس واحدة ، وظاهرونا بالعداء الصريح ، وبذلوا الغالي والرخيص من اجل القضاء على هذه الدعوة العظيمة ، ولكن انى لهم ؟ والله جل ذكره يقول : { يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون } ، وقال تعالى : { وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا } .
فالقضية ليست قضية " قنابل وسلاح ومتفجرات " وإنما قضية دعوة توحيد ودين . . . فلقد طوردنا منذ مدة طويلة ، وكان السبب لأن اخواننا بدأوا ينشرون هذه الدعوة الكريمة - دعوة الأنبياء - بين الناس ، وقاموا بعقد حلقات الدروس في المساجد والبيوت ، من اجل إخراج الناس من الشرك إلى التوحيد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن الجور والظلم إلى العدل والأمن ، ومن نار جهنم إلى جنات عدن ، قال تعالى : { يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم } ، وقد كنا سمعنا وقرأنا عما يفعله زبانية المخابرات في ساحات التعذيب ، وما اقترفوه بحق إخوان لنا سموا بـ " قضية مؤتة " ، وما فعله زبانية المخابرات من تعذيب جسدي ومحاولة إهانة وتدنيس لكرامة هؤلاء الفتية .
وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه جاء رجل فقال : يا رسول الله أرايت إن جاء رجل يريد أن يأخذ مالي ، أفأعطيه ؟ ، قال : ((لا ، لا تعطيه)) ، قال : أفرأيت إن قاتلني ، أفأقتله ؟ ، قال : ((نعم)) ، قال : أفرأيت إن قتلته ؟ ، قال : ((هو في النار)) ، قال : أفرأيت إن قتلني ؟ ، قال : ((أنت شهيد)) .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والعدو الصائل الذي يفسد الدين ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه) ، ونحن بفضل الله أصحاب دعوة عظيمة حملها قبلنا الأنبياء والصالحون ، فلا بد لحامل هذه الدعوة أن يكون صاحب انفة وعزة وكرامة ، فوالله إن الموت أحب إلينا من أن يدنس عرض أحدنا ، والموت أحب إلينا من أن يداهم جنود الطاغوت بيوتنا فيقودونا من بين أهالينا وأطفالنا . .
نحن - أيها القاضي لا نقول هذا حتى نعلمك بحالنا ، ولكن نقول هذا من باب قول الله عز وجل : { وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين } ، فنحن نعلم - بفضل الله - ما هي تكاليف هذه الدعوة العظيمة وما يتبعها من أذى بجميع اشكاله ، قال تعالى : { لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور } .
فنبين لك - ولا يخفى عليك - مناداتكم بالديمقراطية - ذلك الدين الكفري المحدث- فتقتلون الناس باسم الديمقراطية ، وتبيحوا الخمر والزنا والفساد باسم الديمقراطية ، وتزعق أبواقكم الإعلامية بشتى وسائلها تزين صورة هذا الدين المحدث وتصفه بالعدل والإتزان ، وحرية الفرد وكرامة المواطن - وما قتل محمود

العوالمة إلا دليل على كرامة المواطن عندكم - فها أنتم تزجون باسم الديمقراطية الكافرة الناس في غياهب السجون أسرابا إثر أسراب ، تهمهم شتى ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ومنها التهمة المضحكة المسماة " إطالة اللسان " فكل إنسان يقف في وجوهكم ليصدع بكلمة الحق تعاقبونه لأنه أطال اللسان على النظام وطواغيته ! فما هي إطالة اللسان في شرعكم وقانونكم الوضعي ؟! . .

يقول الله عز وجل في كتابه : { ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم } ، يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره هذه الآية : (فالسب المجرد في ديننا إن كان يترتب عليه مفسدة أعظم ينهى عنه) .

ولكن هذه الدعوة العظيمة التي فصلناها لكم والتي تسمونها أنتم في شرعكم " إطالة لسان " ، هي في شرعنا المطهر حق وواجب ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)) ، فقول الحق وتعرية الباطل مطلوب في شرعنا ، قال الصحابي في الحديث الصحيح : (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأن نقول الحق ولا نخشى في الله لومة لائم) .

قال تعالى مادحا هؤلاء : { الذين يبلغون رسالات ربهم ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا } ، فعندما يقف الموحد يتكلم بما يعتقد من كتاب الله وسنة نبيه ، داعيا الناس إلى التوحيد ، محذرا إياهم من الشرك والمشركين ومن متابعتهم ، موضحا ذلك بالدليل النقلي من كتاب الله وسنة نبيه ، والعقلي مما جبلت عليه فطرة المؤمن كقول الله عز وجل : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } فمن يقف ينكر أن من لم يحكم بما انزل الله ، معطلا لشرعه ، مستبدلا لحكمه ، غير كافر ؟! .

فهل تبيين ما في كتاب الله عن الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، يعتبر في شرعكم الوضعي إطالة لسان ؟!

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : ((يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة ، فمن أدرك ذلك الزمان فلا يكون لهم جابيا ولا عريفا ولا شرطيا)) ، وهذا حديث صحيح إذا ذكرناه نصحا لكم ، قلتم " إطالة لسان " . .

وهذا زمان انقلب فيه الحق باطلا والباطل حقا .

فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقبله الأنبياء - يعرون اصنام القوم وألهتهم المدعاة ، ويسفهون أحلامهم ، قال تعالى ذاكرا إبراهيم : (قال اتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم

أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) ، وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله صناديد قريش وطواغيتهم : أأنت الذي تسب ألهتنا وتسفه أحلامنا ؟ ، قال : (نعم) ، مع أن دعوته لم يكن فيها شتم ولا سب ولا فحش . . .
فهذه سنة انبيائنا عليهم السلام وعلى خطاهم نسير إن شاء الله تعالى .
بينما الذي يسب خالق كل شيء يحاكم - في شرعكم - بايام قليلة أقل ممن يسب حاكمكم ! بالله عليك أيها القاضي بغير ما أنزل الله من هو ربكم إذا ؟!
انتم تقولون في شعاراتكم (الله ، الوطن ، الملك) ، فالله كتابه مقدم على الوطن والملك ، ثم عقوبة من " أطال لسانه " على الملك أكبر من عقوبة من أطل اللسان على الله عز وجل ، فمن هو الإله الحق في شرعكم ؟!
أيها القاضي بغير ما أنزل الله :
قال تعالى : { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما * واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا * ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل عنهم يوم القيامة أمن يكون عليهم وكيلا } . .
ولا يكون الحق إلا في كتاب الله . .
أذكركم ايها القضاة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
((القضاة ثلاثة ، قاضيان في النار وقاض في الجنة ، اما القاضيان اللذان في النار ، فقاض علم الحق وحكم بغيره فذلك في النار ، وقاض جاهل لم يعرف الحق وحكم بغيره فذلك ايضا في النار ، وقاض عرف الحق وحكم به فذلك في الجنة)) ، والحق ما وافق الشرع وحده .
فوالله إننا على هدايتكم لحريصون ، وإنها والله ايام قلائل وتنقضي هذه الحياة الدنيا ، فربح فيها من ربح وخسر فيها من خسر ، فإنكم ما تقضون على أحد من قضاءإلا وسيقضي عليكم يوم القيامة قضاء أدهى وأمر - عندما تقبلون على الله فرادى - قال تعالى : { ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعائكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون } ، عندها - والله - لن تجدوا لكم من دون الله وليا ولا نصيرا ، فهذه النياشين والرتب والبزات العسكرية الناعمة لن تنفعكم عند الله ،

ففي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ((يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا)) ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله النساء والرجال ينظر بعضهم إلى بعض ؟! ،قال : ((يا عائشة الامر أشد من ان يهمهم هذا)) ، وأما القاضيان الذين عن شمالك ويمينك معتمدا عليهما في قضائك ، وهما لك كالجناحين للطائر فلن يغنوا عنك من الله شيئا ، وستاتي يوم القيامة بدونهما ، قال تعالى : { وكلهم اتيه يوم القيامة فردا } .
فنحن - بفضل الله - لن يهمنا ما دبرتموه في الخفاء مكرا بنا ، فالامر أمر الله ، والقضاء قضاء الله ، قال تعالى : { والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء } . . فقضاؤكم إنما يكون في هذه الأرض ، قال عز وجل مخبرا عن سحرة فرعون -لما آمنوا- : { قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض غنما تقضي هذه الحياة الدنيا } ، وما سجونكم بالتي تثنينا عن عزمنا بمواصلة دعوتنا إلى الله وحده ، فأنتم - والله- السجناء ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى ، والمأسور من أسره هواه) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((يحشر المتكبرون يوم القيامة امثال الذر في صورة الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس تعلوه نار الأنيار ، يسقون من طين الخبال وعصارة أهل النار)) ، فهذا هو السجن الأبدي السرمدي ، لا كسجنكم هذا . هذا بفضل الله وكرمه، وسع الله علينا سجونكم بذكر الله فأمست مدارس للدعوة وتعليم كتاب الله . . قال تعالى : { وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا } .
فأنتم تعقدون في محاكماتكم هذه المسرحيات لمحاكمتنا بقانونكم الوضعي ، ولكن اعلموا أيها القضاة بأنكم إن متم على ما أنتم عليه . . عندها سنلتقي هناك في محكمة العدل عندمليك مقتدر ، وستجدون هذا كله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .
اللهم هل بلغت ...
اللهم فأشهد . . .

إفادة الأسير أحمد فضيل نزال الخلايلة : أبو مصعب الزرقاوي | سجن سواقة | الأردن]
الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية
قسم النشر والتوزيع
http://www.alhesbah.org/v/showthread.php?t=23429
****

قال تعالى :
إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46)وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)
سورة المائدة
وقال تعالى :
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (60)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61)فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (63) النساء
إن الناس لا يؤمنون - ابتداء - إلا أن يتحاكموا إلى منهج الله ; ممثلا - في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم - في أحكام الرسول .
وباقيا بعده في مصدريه القرآن والسنة بالبداهة ; ولا يكفي أن يتحاكموا إليه - ليحسبوا مؤمنين - بل لا بد من أن يتلقوا حكمه مسلمين راضين:
فلا وربك . .

لا يؤمنون . .
حتى يحكموك فيما شجر بينهم , ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليمًا . .
فهذا هو شرط الإيمان وحد الإسلام .
ويقول لها:
إن الذين يريدون أن يتحاكموا إلي الطاغوت - أي إلى غير شريعة الله لا يقبل منهم زعمهم أنهم آمنوا بما أنزل إلى الرسول وما أنزل من قبله . فهو زعم كاذب . يكذبه أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت:
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك , يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - وقد أمروا أن يكفروا به - ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا .
ويقول لها:
إن علامة النفاق أن يصدوا عن التحاكم إلى ما أنزل الله والتحاكم إلى رسول الله:
(وإذا قيل لهم:تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول , رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .
ويقول لها:إن منهجها الإيماني ونظامها الأساسي , أن تطيع الله - عز وجل - في هذا القرآن - وأن تطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته - وأولي الأمر من المؤمنين الداخلين في شرط الإيمان وحد الإسلام معكم:
(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله , وأطيعوا الرسول . وأولي الأمر منكم) . .
ويقول لها:
إن المرجع , فيما تختلف فيه وجهات النظر في المسائل الطارئة المتجددة . والأقضية التي لم ترد فها أحكام نصية . .
إن المرجع هو الله ورسوله . .
أي شريعة الله وسنة رسوله .
(فإن تنازعتم في شيء , فردوه إلى الله والرسول) . .
وبهذا يبقى المنهج الرباني مهيمنا على ما يطرأ على الحياة من مشكلات وأقضية كذلك , أبد الدهر , في حياة الأمة المسلمة . .
وتمثل هذه القاعدة نظامها الأساسي , الذي لا تكون مؤمنة إلا به , ولا تكون مسلمة إلا بتحقيقه . .
إذ هو يجعل الطاعة بشروطها تلك , ورد المسائل التي تجد وتختلف فيها وجهات النظر إلى الله ورسوله . .
شرط الإيمان وحد الإسلام . .
شرطا واضحا ونصا صريحا:

(إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) . .
ولا ننس ما سبق بيانه عند قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به , ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . .
من أن اليهود وصموا بالشرك بالله , لأنهم كانوا يتخذون أحبارهم أربابا من دون الله لا لأنهم عبدوهم - ولكن لأنهم قبلوا منهم التحليل والتحريم ; ومنحوهم حق الحاكمية والتشريع - ابتداء من عند أنفسهم - فجعلوا بذلك مشركين . .
الشرك الذي يغفر الله كل ما عداه . حتى الكبائر . .
" وإن زنى وإن سرق . وإن شرب الخمر " . .
فرد الأمر كله إلى إفراد الله - سبحانه - بالألوهية . ومن ثم إفراده بالحاكمية . فهي أخص خصائص الألوهية . وداخل هذا النطاق يبقى المسلم مسلما ويبقى المؤمن مؤمنا . ويطمع أن يغفر له ذنوبه ومنها كبائره . .
أما خارج هذا النطاق فهو الشرك الذي لا يغفره الله أبدا . .
إذ هو شرط الإيمان وحد الإسلام . (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . .) (الظلال)

وقال تعالى :
(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - وقد أمروا أن يكفروا به - ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا . .)
ألم تر إلى هذا العجب العاجب . .
قوم . .
يزعمون . .
الإيمان . ثم يهدمون هذا الزعم في آن ?! قوم (يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) . ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ? إنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر , وإلى منهج آخر , وإلى حكم آخر . .
يريدون أن يتحاكموا إلى . .
الطاغوت . .
الذي لا يستمد مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . ولا ضابط له ولا ميزان , مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . .
ومن ثم فهو . .
طاغوت . .
طاغوت بادعائه خاصية من خواص الألوهية . وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضا ! وهم لا يفعلون هذا عن جهل , ولا عن ظن . .

إنما هم يعلمون يقينا ويعرفون تماما , أن هذا الطاغوت محرم التحاكم إليه: (وقد أمروا أن يكفروا به) . .
فليس في الأمر جهالة ولا ظن . بل هو العمد والقصد . ومن ثم لا يستقيم ذلك الزعم . زعم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ! إنما هو الشيطان الذي يريد بهم الضلال الذي لا يرجى منه مآب . .
ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا . .
فهذه هي العلة الكامنة وراء إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت . وهذا هو الدافع الذي يدفعهم إلى الخروج من حد الإيمان وشرطه بإرادتهم التحاكم إلى الطاغوت !
هذا هو الدافع يكشفه لهم . لعلهم يتنبهون فيرجعوا . ويكشفه للجماعة المسلمة , لتعرف من يحرك هؤلاء ويقف وراءهم كذلك .
ويمضي السياق في وصف حالهم إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله إلى الرسول وما أنزل من قبله . . ذلك الذي يزعمون أنهم آمنوا به:
(وإذا قيل لهم:تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول , رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .
يا سبحان الله !
إن النفاق يأبى إلا أن يكشف نفسه !
ويأبى إلا أن يناقض بديهيات المنطق الفطري . .
وإلا ما كان نفاقا . . .
إن المقتضى الفطري البديهي للإيمان , أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به , وإلى من آمن به . فإذا زعم أنه آمن بالله وما أنزل , وبالرسول وما أنزل إليه . ثم دعي إلى هذا الذي آمن به , ليتحاكم إلى أمره وشرعه ومنهجه ; كانت التلبيه الكاملة هي البديهية الفطرية . فأما حين يصد ويأبى فهو يخالف البديهية الفطرية . ويكشف عن النفاق . وينبى ء عن كذب الزعم الذي زعمه من الإيمان !
وإلى هذه البديهية الفطرية يحاكم الله - سبحانه - أولئك الذين يزعمون الإيمان بالله ورسوله . ثم لا يتحاكمون إلى منهج الله ورسوله . بل يصدون عن ذلك المنهج حين يدعون إليه صدودا !
ثم يعرض مظهرا من مظاهر النفاق في سلوكهم ; حين يقعون في ورطة أو كارثة بسبب عدم تلبيتهم للدعوة إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ; أو بسبب ميلهم إلى التحاكم إلى الطاغوت . ومعاذيرهم عند ذلك . وهي معاذير النفاق:
(فكيف إذا أصابتهم مصيبة - بما قدمت أيديهم - ثم جاؤوك يحلفون بالله:إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) . .

وهذه المصيبة قد تصيبهم بسبب انكشاف أمرهم في وسط الجماعة المسلمة - يومذاك - حيث يصبحون معرضين للنبذ والمقاطعة والازدراء في الوسط المسلم . فما يطيق المجتمع المسلم أن يرى من بينه ناسا يزعمون أنهم آمنوا بالله وما أنزل , وبالرسول وما أنزل إليه ; ثم يميلون إلى التحاكم لغير شريعة الله ; أو يصدون حين يدعون إلىالتحاكم إليها . .
إنما يقبل مثل هذا في مجتمع لا إسلام له ولا إيمان . وكل ما له من الإيمان زعم كزعم هؤلاء ; وكل ما له من الإسلام دعوى وأسماء !
أو قد تصيبهم المصيبة من ظلم يقع بهم ; نتيجة التحاكم إلى غير نظام الله العادل ; ويعودون بالخيبة والندامة من الاحتكام إلى الطاغوت ; في قضية من قضاياهم .
أو قد تصيبهم المصيبة ابتلاء من الله لهم . لعلهم يتفكرون ويهتدون . .
وأياما ما كان سبب المصيبة ; فالنص القرآني , يسأل مستنكرا:فكيف يكون الحال حينئذ ! كيف يعودون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم:
(يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) . . .
إنها حال مخزية . .
حين يعودون شاعرين بما فعلوا . .
غير قادرين على مواجهة الرسول صلى الله عليه وسلم بحقيقة دوافعهم . وفي الوقت ذاته يحلفون كاذبين:أنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى الطاغوت - وقد يكون هنا هو عرف الجاهلية - إلا رغبة في الإحسان والتوفيق !
وهي دائما دعوى كل من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته:
أنهم يريدون اتقاء الإشكالات والمتاعب والمصاعب , التي تنشأ من الاحتكام إلى شريعة الله ! ويريدون التوفيق بين العناصر المختلفة والاتجاهات المختلفة والعقائد المختلفة . .
إنها حجة الذين يزعمون الإيمان - وهم غير مؤمنين - وحجة المنافقين الملتوين . .
هي هي دائما وفي كل حين !
والله - سبحانه - يكشف عنهم هذا الرداء المستعار . ويخبر رسوله صلى الله عليه وسلم , أنه يعلم حقيقة ما تنطوي عليه جوانحهم . ومع هذا يوجهه إلى أخذهم بالرفق , والنصح لهم بالكف عن هذا الالتواء:
(أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم . فأعرض عنهم وعظهم , وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) . .

أولئك الذين يخفون حقيقة نواياهم وبواعثهم ; ويحتجون بهذه الحجج , ويعتذرون بهذه المعاذير . والله يعلم خبايا الضمائر ومكنونات الصدور . .
ولكن السياسة التي كانت متبعة - في ذلك الوقت - مع المنافقين كانت هي الإغضاء عنهم , وأخذهم بالرفق , واطراد الموعظة والتعليم . .
والتعبير العجيب:
وقل لهم . .
في أنفسهم . .
قولا بليغًا .
تعبير مصور . .
كأنما القول يودع مباشرة في الأنفس , ويستقر مباشرة في القلوب .
وهو يرغبهم في العودة والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله . .
بعد كل ما بدا منهم من الميل إلى الإحتكام إلى الطاغوت ; ومن الصدود عن الرسول صلى الله عليه وسلم حين يدعون إلى التحاكم إلى الله والرسول . .
فالتوبة بابها مفتوح , والعودة إلى الله لم يفت اوانها بعد ; واستغفارهم الله من الذنب , واستغفار الرسول لهم , فيه القبول !
ولكنه قبل هذا كله يقرر القاعدة الأساسية:
وهي أن الله قد أرسل رسله ليطاعوا - بإذنه لا ليخالف عن أمرهم . ولا ليكونوا مجرد وعاظ ! ومجرد مرشدين ! (الظلال)

8- تحذير الداعية الإسلامي ليث شبيلات في السجن النزلاء من الجلوس مع الزرقاوي والمقدسي

وهذا أمر طبيعي فكل إناء بالذي فيه ينضح
والسبب في هذا أن هناك فارقا كبيرا بين فكر الحركة الإسلامية في الأردن وما آلت إليه أخيرا وبين فكر الزرقاوي والمقدسي فهذان يأخذان على الحركة الإسلامية انعدام الولاء والبراء عندها وإيمانها بما يسمى لعبة الديمقراطية وإيمانها بلعبة البرلمان وإيمانها بما يسمى حوار الأديان وتحريمها الخروج على مليك الزمان مهما فعل من موبقات وجرائم ووضع يدها بيد الطاغوت وغير ذلك
فلا لقاء بين المنهجين بتاتا ولا الطريقين
ومن ثم كان شبيلات يحذر منهما وهو في الوقت نفسه عاجز هو وجماعته عن الوقوف في وجههما

نعم لقد سقطت الحركة الإسلامية التي كان الناس يبنون عليها الآمال العراض
بل تستغل الآن أبشع استغلال من تشويه سمعة التيار الجهادي لكي يرضى عنها الطاغوت
قال تعالى :
{يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } (96) سورة التوبة
وفي سنن ابن ماجة 4101 حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَنْ عَبْدِ الْحَكَمِ السَّدُوسِيِّ حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ «مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ».
إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم , الذي لا أرجحة فيه ولا تردد , بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من الناس - بعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبأن منهجه الذي كلفه الله أن يقيم الحياة عليه , منهج متفرد لا نظير له بين سائر المناهج ; ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر ; ولا يمكن أن يقوم مقامه منهج آخر ; ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه ; ولا يعفيه الله ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بذل جهد طاقته في إقامة هذا المنهج بكل جوانبه:
الاعتقادية والاجتماعية ; لم يأل في ذلك جهدا , ولم يقبل من منهجه بديلا - ولا في جزء منه صغير - ولم يخلط بينه وبين أي منهج آخر في تصور اعتقادي , ولا في نظام اجتماعي , ولا في أحكام تشريعية , إلا ما استبقاه الله في هذا المنهج من شرائع من قبلنا من أهل الكتاب . .
إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم بهذا كله هو - وحده - الذي يدفعه للاضطلاع بعبء النهوض بتحقيق منهج الله الذي رضيه للناس ; في وجه العقبات الشاقة , والتكاليف المضنية , والمقاومة العنيدة , والكيد الناصب , والألم الذي يكاد يجاوز الطاقة في كثير من الأحيان . .
وإلا فما العناء في أمر يغني عنه غيره - مما هو قائم في الأرض من جاهلية . .
سواء كانت هذه الجاهلية ممثلة في وثنية الشرك , أو في انحراف أهل الكتاب , أو في الإلحاد السافر . .
بل ما العناء في إقامة المنهج الإسلامي , إذا كانت الفوارق بينه وبين مناهج أهل الكتاب أو غيرهم قليلة ; يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة والمهادنة ?

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة , باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية , يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح . فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله . والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي . .
إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام , وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلا ; ولا يقبل فيه تعديلا - ولو طفيفا - هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر:
(إن الدين عند الله الإسلام) . .
(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) . .
(واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) . . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . .
بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) . .
وفي القرآن كلمة الفصل . .
ولا على المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين ! (الظلال)

9- لقد أيقن الزرقاوي خلال هذه السنوات الخمس أن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار ، إنما هو الإيمان . .
أو . . فلا إيمان . .
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . .
ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين . .
والأمر إذن جد . .
إنه أمر العقيدة من أساسها . .
ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها . .
إن هذه البشرية - وهي من صنع الله لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ؛ ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده - سبحانه - وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق ، وشفاء كل داء:
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . .
إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . .

ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه ، ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه ، ولا تسلك في أمر نفسها ، وفي أمر إنسانيتها ، وفي أمر سعادتها أو شقوتها . .
ما تعودت أن تسلكه في أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التي تستخدمها في حاجاتها اليومية الصغيرة . .
وهي تعلم أنها تستدعي لإصلاح الجهاز مهندس المصنع الذي صنع الجهاز . ولكنها لا تطبق هذه القاعدة على الإنسان نفسه ، فترده إلى المصنع الذي منه خرج ، ولا أن تستفتي المبدع الذي أنشأ هذا الجهاز العجيب ، الجهاز الإنساني العظيم الكريم الدقيق اللطيف ، الذي لا يعلم مساربه ومداخله إلا الذي أبدعه وأنشأه:
إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ . .
ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة . البشرية المسكينة الحائرة ، البشرية التي لن تجد الرشد ، ولن تجد الهدى ، ولن تجد الراحة ، ولن تجد السعادة ، إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى صانعها الكبير ، كما ترد الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير !
ولقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثا هائلا في تاريخها ، ونكبة قاصمة في حياتها ، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيرا في كل ما ألم بها من نكبات . .
لقد كان الإسلام قد تسلم القيادة بعد ما فسدت الأرض ، وأسنت الحياة ، وتعفنت القيادات ، وذاقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة ؛ و ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس . .
تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن ، وبالتصور الجديد الذي جاء به القرآن ، وبالشريعة المستمدة من هذا التصور .
. فكان ذلك مولدا جديدا للإنسان أعظم في حقيقته من المولد الذي كانت به نشأته . لقد أنشأ هذا القرآن للبشرية تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم ؛ كما حقق لها واقعا اجتماعيا فريدا ، كان يعز على خيالها تصوره مجرد تصور ، قبل أن ينشئه لها القرآن إنشاء . .
نعم ! لقد كان هذا الواقع من النظافة والجمال ، والعظمة والارتفاع ، والبساطة واليسر ، والواقعية والإيجابية ، والتوازن والتناسق . . .
بحيث لا يخطر للبشرية على بال ، لولا أن الله أراده لها ، وحققه في حياتها . . في ظلال القرآن ، ومنهج القرآن ، وشريعة القرآن .
ثم وقعت تلك النكبة القاصمة . ونحي الإسلام عن القيادة . نحي عنها لتتولاها الجاهلية مرة أخرى ، في صورة من صورها الكثيرة .

صورة التفكير المادي الذي تتعاجب به البشرية اليوم ، كما يتعاجب الأطفال بالثوب المبرقش واللعبة الزاهية الألوان !
إن هناك عصابة من المضللين الخادعين أعداء البشرية . يضعون لها المنهج الإلهي في كفة والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى ؛ ثم يقولون لها:
اختاري !!!
اختاري إما المنهج الإلهي في الحياة والتخلي عن كل ما أبدعته يد الإنسان في عالم المادة ، وإما الأخذ بثمار المعرفة الإنسانية والتخلي عن منهج الله !!!
وهذا خداع لئيم خبيث . فوضع المسألة ليس هكذا أبدا . .
إن المنهج الإلهي ليس عدوا للإبداع الإنساني . إنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة . .
ذلك كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض . هذا المقام الذي منحه الله له ، وأقدره عليه ، ووهبه من الطاقات المكنونة ما يكافئ الواجب المفروض عليه فيه ؛ وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيقه ؛ ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك الحياة والعمل والإبداع . .
على أن يكون الإبداع نفسه عبادة لله ، ووسيلة من وسائل شكره على آلائه العظام ، والتقيد بشرطه في عقد الخلافة ؛ وهو أن يعمل ويتحرك في نطاق ما يرضي الله . فأما أولئك الذين يضعون المنهج الإلهي في كفة ، والإبداع الإنساني في عالم المادة في الكفة الأخرى . .
فهم سيئو النية ، شريرون ، يطاردون البشرية المتعبة الحائرة كلما تعبت من التيه والحيرة والضلال ، وهمت أن تسمع لصوت الحادي الناصح ، وأن تؤوب من المتاهة المهلكة وأن تطمئن إلى كنف الله . . .
وهنالك آخرون لا ينقصهم حسن النية ؛ ولكن ينقصهم الوعي الشامل ، والإدراك العميق . .
هؤلاء يبهرهم ما كشفه الإنسان من القوى والقوانين الطبيعية ، وتروعهم انتصارات الإنسان في عالم المادة . فيفصل ذلك البهر وهذه الروعة في شعورهم بين القوى الطبيعية والقيم الإيمانية ، وعملها وأثرها الواقعي في الكون وفي واقع الحياة ؛ ويجعلون للقوانين الطبيعية مجالا ، وللقيم الإيمانية مجالا آخر ؛ ويحسبون أن القوانين الطبيعية تسير في طريقها غير متأثرة بالقيم الإيمانية ، وتعطي نتائجها سواء آمن الناس أم كفروا . اتبعوا منهج الله أم خالفوا عنه . حكموا بشريعة الله أم بأهواء الناس !
هذا وهم . .

إنه فصل بين نوعين من السنن الإلهية هما في حقيقتهما غير منفصلين . فهذه القيم الإيمانية هي بعض سنن الله في الكون كالقوانين الطبيعية سواء بسواء . ونتائجها مرتبطة ومتداخلة ؛ ولا مبرر للفصل بينهما في حس المؤمن وفي تصوره . .
وهذا هو التصور الصحيح الذي ينشئه القرآن في النفس حين تعيش في ظلال القرآن . ينشئه وهو يتحدث عن أهل الكتب السابقة وانحرافهم عنها وأثر هذا الانحراف في نهاية المطاف:
ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . وينشئه وهو يتحدث عن وعد نوح لقومه:
فقلت:استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا . .
وينشئه وهو يربط بين الواقع النفسي للناس والواقع الخارجي الذي يفعله الله بهم إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . .
إن الإيمان بالله ، وعبادته على استقامة ، وإقرار شريعته في الأرض . . .
كلها إنفاذ لسنن الله . وهي سنن ذات فاعلية إيجابية ، نابعة من ذات المنبع الذي تنبثق منه سائر السنن الكونية التي نرى آثارها الواقعية بالحس والاختبار .
ولقد تأخذنا في بعض الأحيان مظاهر خادعة لافتراق السنن الكونية ، حين نرى أن اتباع القوانين الطبيعية يؤدي إلى النجاح مع مخالفة القيم الإيمانية . .
هذا الافتراق قد لا تظهر نتائجه في أول الطريق ؛ ولكنها تظهر حتما في نهايته . .
وهذا ما وقع للمجتمع الإسلامي نفسه . لقد بدأ خط صعوده من نقطة التقاء القوانين الطبيعية في حياته مع القيم الإيمانية . وبدأ خط هبوطه من نقطة افتراقهما . وظل يهبط ويهبط كلما انفرجت زاوية الافتراق حتى وصل إلى الحضيض عندما أهمل السنن الطبيعية والقيم الإيمانية جميعا . .
وفي الطرف الآخر تقف الحضارة المادية اليوم . تقف كالطائر الذي يرف بجناح واحد جبار ، بينما جناحه الآخر مهيض ، فيرتقي في الإبداع المادي بقدر ما يرتكس في المعنى الإنساني . ويعاني من القلق والحيرة والأمراض النفسية والعصبية ما يصرخ منه العقلاء هناك . .

لولا أنهم لا يهتدون إلى منهج الله وهو وحده العلاج والدواء .
إن شريعة الله للناس هي طرف من قانونه الكلي في الكون .
فإنفاذ هذه الشريعة لا بد أن يكون له أثر إيجابي في التنسيق بين سيرة الناس وسيرة الكون . .
والشريعة إن هي إلا ثمرة الإيمان لا تقوم وحدها بغير أصلها الكبير . فهي موضوعة لتنفذ في مجتمع مسلم ، كما أنها موضوعة لتساهم في بناء المجتمع المسلم . وهي متكاملة مع التصور الإسلامي كله للوجود الكبير وللوجود الإنساني ، ومع ما ينشئه هذا التصور من تقوى في الضمير ، ونظافة في الشعور ، وضخامة في الاهتمامات ، ورفعة في الخلق ، واستقامة في السلوك . . .
وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء ما نسميه القوانين الطبيعية وما نسميه القيم الإيمانية . .
فكلها أطراف من سنة الله الشاملة لهذا الوجود .
والإنسان كذلك قوة من قوى الوجود . وعمله وإرادته ، وإيمانه وصلاحه ، وعبادته ونشاطه . . . .
هي كذلك قوى ذات آثار إيجابية في هذا الوجود وهي مرتبطة بسنة الله الشاملة للوجود . .
وكلها تعمل متناسقة ، وتعطي ثمارها كاملة حين تتجمع وتتناسق ، بينما تفسد آثارها وتضطرب وتفسد الحياة معها ، وتنتشر الشقوة بين الناس والتعاسة حين تفترق وتتصادم: ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . .
فالارتباط قائم وثيق بين عمل الإنسان وشعوره وبين ماجريات الأحداث في نطاق السنة الإلهية الشاملة للجميع . ولا يوحي بتمزيق هذا الارتباط ، ولا يدعو إلى الإخلال بهذا التناسق ، ولا يحول بين الناس وسنة الله الجارية ، إلا عدو للبشرية يطاردها دون الهدى ؛ وينبغي لها أن تطارده ، وتقصيه من طريقها إلى ربها الكريم . .
إن الذين يحاربون حقيقة الإيمان أن تستقر في القلوب ; ويحاربون منهج الإيمان أن يستقر في الحياة ; ويحاربون شريعة الإيمان أن تستقر في المجتمع . .
إنما هم أعدى أعداء البشرية وأظلم الظالمين لها . ومن واجب البشرية - لو رشدت - أن تطاردهم حتى يصبحوا عاجزين عن هذا الظلم الذي يزاولونه ; وأن ترصد لحربهم كل ما تملك من الأنفس والأموال . .
وهذا هو واجب الجماعة المسلمة الذي يندبها إليه ربها ويدعوها من أجله بصفتها تلك ; ويناديها ذلك النداء الموحي العميق . .

ينبغي أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم , وحقيقة تاريخهم ; فلا يقفوا بدينهم موقف المتهم الذي يحاول الدفاع ; إنما يقفون به دائما موقف المطمئن الواثق المستعلي على تصورات الأرض جميعا , وعلى نظم الأرض جميعا , وعلى مذاهب الأرض جميعا . .
ولا ينخدعوا بمن يتظاهر بالدفاع عن دينهم بتجريده في حسهم من حقه في الجهاد لتأمين أهله ; والجهاد لكسر شوكة الباطل المعتدي ; والجهاد لتمتيع البشرية كلها بالخير الذي جاء به ; والذي لا يجني أحد على البشرية جناية من يحرمها منه , ويحول بينها وبينه . فهذا هو أعدى أعداء البشرية , الذي ينبغي أن تطارده البشرية لو رشدت وعقلت . وإلى أن ترشد البشرية وتعقل , يجب أن يطارده المؤمنون , الذين اختارهم الله وحباهم بنعمة الإيمان , فذلك واجبهم لأنفسهم وللبشرية كلها , وهم مطالبون بهذا الواجب أمام الله . .
إن هذا المنهج خير . وما يصد البشرية عنه إلا أعدى أعداء البشرية . الذين ينبغي لها أن تطاردهم , حتى تقصيهم عن قيادتها . .
وهذا هو الواجب الذي انتدبت له الجماعة المسلمة , فأدته مرة خير ما يكون الأداء . وهي مدعوة دائما إلى أدائه , والجهاد ماض إلى يوم القيامة . .
تحت هذا اللواء .
إن النقلة الأساسية التي تتمثل في هذا الدين هي إعتاق رقاب العباد من العبودية للعباد ; وتحريرهم من هذه العبودية , وتعبيدهم للّه وحده , وإقامة حياتهم كلها على أساس هذا الانطلاق الذي يرفع تصوراتهم , ويرفع قيمهم , ويرفع أخلاقهم . ويرفع حياتهم كلها من العبودية إلى الحرية . .
ثم تجيء الأرزاق المادية والتيسيرات المادية , والتمكين المادي , تبعاً لهذا التحرر وهذا الانطلاق . كما حدث في تاريخ العصبة المسلمة , وهي تكتسح الجاهليات حولها , وتهيمن على مقاليد السلطان في الأرض , وتقود البشرية إلى اللّه , لتستمتع معها بفضل اللّه . .
والذين يركزون على القيم المادية , وعلى الإنتاج المادي , ويغفلون تلك القيمة الكبرى الأساسية , هم أعداء البشرية الذين لا يريدون لها أن ترتفع على مستوى الحيوان وعلى مطالب الحيوان . وهم لا يطلقونها دعوة بريئة ; ولكنهم يهدفون من ورائها إلى القضاء على القيم الإيمانية , وعلى العقيدة التي تعلق قلوب الناس بما هو أرفع من مطالب الحيوان - دون أن تغفل ضروراتهم الأساسية - وتجعل لهم مطالب أساسية أخرى إلى جوار الطعام والمسكن والجنس التي يعيش في حدودها الحيوان !

وهذا الصياح المستمر بتضخيم القيم المادية , والإنتاج المادي , بحيث يطغى الانشغال به على حياة الناس وتفكيرهم وتصوراتهم كلها . .
وبحيث يتحول الناس إلى آلات تلهث وراء هذه القيمة , وتعدها قيمة الحياة الكبرى ; وتنسى في عاصفة الصياح المستمر . .
الإنتاج . .
الإنتاج . .
كل القيم الروحية والأخلاقية ; وتدوس هذه القيم كلها في سبيل الإنتاج المادي . . هذا الصياح ليس بريئاً ; إنما هو خطة مدبرة لإقامة أصنام تعبد بدل أصنام الجاهلية الأولى ; وتكون لها السيادة العليا على القيم جميعاً !
وعندما يصبح الإنتاج المادي صنماً يكدح الناس حوله ويطوفون به في قداسة الأصنام ; فإن كل القيم والاعتبارات الأخرى تداس في سبيله وتنتهك . .
الأخلاق . الأسرة . الأعراض . الحريات . الضمانات . . .
كلها . .
كلها إذا تعارضت مع توفير الإنتاج يجب أن تداس !
فماذا تكون الأرباب والأصنام إن لم تكن هي هذه ? إنه ليس من الحتم أن يكون الصنم حجراً أو خشباً . فقد يكون قيمة واعتباراً ولافتة ولقباً !
إن القيمة العليا يجب أن تبقى لفضل اللّه ورحمته المتمثلين في هداه الذي يشفي الصدور , ويحرر الرقاب , ويعلي من القيم الإنسانية في الإنسان . وفي ظل هذه القيمة العليا يمكن الانتفاع برزق اللّه الذي أعطاه للناس في الأرض ; وبالتصنيع الذي يوفر الإنتاج المادي ; وبالتيسيرات المادية التي تقلل من شدة الكدح ; وبسائر هذه القيم التي تدق الجاهلية حولها الطبول في الأرض ! وبدون وجود تلك القيمة العليا وسيادتها تصبح الأرزاق والتيسيرات والإنتاج لعنة يشقى بها الناس ; لأنها يومئذ تستخدم في إعلاء القيم الحيوانية والآلية , على حساب القيم الإنسانية العلوية .
(الظلال)

****

الثانى عشر – كان يتطلع إلى الخلاص من هذا السجن الظالم أهله وبمجرد خروجه من السجن هاجر إلى أرض الله الواسعة
قال تعالى :
{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } (56) سورة العنكبوت

إن خالق هذه القلوب , الخبير بمداخلها , العليم بخفاياها , العارف بما يهجس فيها , وما يستكن في حناياها . .
إن خالق هذه القلوب لينـاديها هذا النداء الحبيب:
يا عبادي الذين آمنوا:يناديها هكذا وهو يدعوها إلى الهجرة بدينها , لتحس منذ اللحظة الأولى بحقيقتها . بنسبتها إلى ربها وإضافتها إلى مولاها: (يا عبادي) . .
هذه هي اللمسة الأولى . واللمسة الثانية:
(إن أرضي واسعة) . .
أنتم عبادي . وهذه أرضي . وهي واسعة . فسيحة تسعكم . فما الذي يمسككم في مقامكم الضيق , الذي تفتنون فيه عن دينكم , ولا تملكون أن تعبدوا الله مولاكم ? غادروا هذا الضيق يا عبادي إلى أرضي الواسعة , ناجين بدينكم , أحرارا في عبادتكم (فإياي فاعبدون) .
إن هاجس الأسى لمفارقة الوطن هو الهاجس الأول الذي يتحرك في النفس التي تدعى للهجرة . ومن هنا يمس قلوبهم بهاتين اللمستين:
بالنداء الحبيب القريب:
(يا عبادي) وبالسعة في الأرض:
(إن أرضي واسعة) وما دامت كلها أرض الله , فأحب بقعة منها إذن هي التي يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه .
(الظلال)
وقال تعالى :
{وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (100) سورة النساء
إن المنهج الرباني القرآني يعالج في هذه الآية مخاوف النفس المتنوعة ; وهي تواجه مخاطر الهجرة ; في مثل تلك الظروف التي كانت قائمة ; والتي قد تتكرر بذاتها أو بما يشابهها من المخاوف في كل حين .
وهو يعالج هذه النفس في وضوح وفصاحة ; فلا يكتم عنها شيئا من المخاوف ; ولا يداري عنها شيئا من الأخطار - بما في ذلك خطر الموت - ولكنه يسكب فيها الطمأنينة بحقائق أخرى وبضمانة الله سبحانه وتعالى . .
فهو أولا يحدد الهجرة بأنها (في سبيل الله) . .
وهذه هي الهجرة المعتبرة في الإسلام . فليست هجرة للثراء , أو هجرة للنجاة من المتاعب , أو هجرة للذائذ والشهوات , أو هجرة لأي عرض من أعراض الحياة . ومن يهاجر هذه الهجرة - في سبيل

الله - يجد في الأرض فسحة ومنطلقا فلا تضيق به الأرض , ولا يعدم الحيلة والوسيلة . للنجاة وللرزق والحياة:
(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) . .
وإنما هو ضعف النفس وحرصها وشحها ; يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق , مرهونة بأرض , ومقيدة بظروف , ومرتبطة بملابسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلا .
وهذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة ; هو الذي يجعل النفوس تقبل الذل والضيم , وتسكت على الفتنة في الدين ; ثم تتعرض لذلك المصير البائس . مصير الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . والله يقرر الحقيقة الموعودة لمن يهاجر في سبيل الله . .
إنه سيجد في أرض الله منطلقا وسيجد فيها سعة . وسيجد الله في كل مكان يذهب إليه , يحييه ويرزقه وينجيه . .
ولكن الأجل قد يوافي في أثناء الرحلة والهجرة في سبيل الله . .
والموت - كما تقدم في سياق السورة لا علاقة له بالأسباب الظاهرة ; إنما هو حتم محتوم عندما يحين الأجل المرسوم . وسواء أقام أم هاجر , فإن الأجل لا يستقدم ولا يستأخر .
غير أن النفس البشرية لها تصوراتها ولها تأثراتها بالملابسات الظاهرة . .
والمنهج يراعي هذا ويعالجه . فيعطي ضمانة الله بوقوع الأجر على الله منذ الخطوة الأولى من البيت في الهجرة إلى الله ورسوله:
(ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله - ثم يدركه الموت - فقد وقع أجره على الله) . .
أجره كله . أجر الهجرة والرحلة والوصول إلى دار الإسلام والحياة في دار الإسلام . .
فماذا بعد ضمان الله من ضمان ؟
ومع ضمانة الأجر التلويح بالمغفرة للذنوب والرحمة في الحساب .
وهذا فوق الصفقة الأولى .
وكان الله غفورا رحيمًا .
إنها صفقة رابحة دون شك . يقبض فيها المهاجر الثمن كله منذ الخطوة الأولى - خطوة الخروج من البيت مهاجرا إلى الله ورسوله - والموت هو الموت . في موعده الذي لا يتأخر . والذي لا علاقة له بهجرة أو إقامة . ولو أقام المهاجر ولم يخرج من بيته لجاءه الموت في موعده . ولخسر الصفقة الرابحة . فلا أجر ولا مغفرة ولا رحمة . بل هنالك الملائكة تتوفاه ظالما لنفسه !
وشتان بين صفقة وصفقة ! وشتان بين مصير ومصير ! (الظلال)

وقد حذر الله تعالى من ترك الهجرة مع القدرة عليها قال تعالى :

{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا} (97) سورة النساء

لقد كان هذا النص يواجه حالة واقعة في الجزيرة العربية - في مكة وغيرها - بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيام الدولة المسلمة . فقد كان هناك مسلمون لم يهاجروا . حبستهم أموالهم ومصالحهم - حيث لم يكن المشركون يدعون مهاجرا يحمل معه شيئا من ماله - أو حبسهم إشفاقهم وخوفهم من مشاق الهجرة - حيث لم يكن المشركون يدعون مسلما يهاجر حتى يمنعوه ويرصدوا له في الطريق . .

وجماعة حبسهم عجزهم الحقيقي , من الشيوخ والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة للهرب ولا يجدون سبيلا للهجرة . .

وقد اشتد أذى المشركين لهؤلاء الباقين من أفراد المسلمين ; بعد عجزهم عن إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه , ومنعهما من الهجرة . وبعد قيام الدولة المسلمة . وبعد تعرض الدولة المسلمة لتجارة قريش في بدر , وانتصار المسلمين ذلك الانتصار الحاسم . فأخذ المشركون يسومون هذه البقية المتخلفة ألوانا من العذاب والنكال , ويفتنونهم عن دينهم في غيظ شديد .

وقد فتن بعضهم عن دينهم فعلا ; واضطر بعضهم إلى إظهار الكفر تقية , ومشاركة المشركين عبادتهم . . وكانت هذه التقية جائزة لهم يوم أن لم تكن لهم دولة يهاجرون إليها - متى استطاعوا - فأما بعد قيام الدولة , ووجود دار الإسلام فإن الخضوع للفتنة , أو الالتجاء للتقية , وفي الوسع الهجرة والجهر بالإسلام , والحياة في دار الإسلام . .

أمر غير مقبول .

وهكذا نزلت هذه النصوص ; تسمي هؤلاء القاعدين محافظة على أموالهم ومصالحهم , أو إشفاقا من مشاق الهجرة ومتاعب الطريق . . حتى يحين أجلهم . .

تسميهم: (ظالمي أنفسهم) . .

بما أنهم حرموها الحياة في دار الإسلام , تلك الحياة الرفيعة النظيفة الكريمة الحرة الطليقة . وألزموها الحياة في دار الكفر تلك الحياة الذليلة الخانسة الضعيفة المضطهدة , وتوعدهم (جهنم وساءت مصيرًا) . .

مما يدل على أنها تعني الذين فتنواعن دينهم بالفعل هناك !

ولكن التعبير القرآني - على أسلوب القرآن - يعبر في صورة , ويصور في مشهد حي نابض بالحركة والحوار: (إن الذين توفاهم الملائكة . .
ظالمي أنفسهم . .
قالوا:فيم كنتم ? قالوا:كنا مستضعفين في الأرض !
قالوا:ألم تكن أرض الله واسعة , فتهاجروا فيها ?!) . .
إن القرآن يعالج نفوسا بشرية ; ويهدف الى استجاشة عناصر الخير والمروءة والعزة فيها ; وإلى مطاردة عوامل الضعف والشح والحرص والثقلة . . لذلك يرسم هذا المشهد . .
إنه يصور حقيقة . ولكنه يستخدم هذه الحقيقة في موضعها أحسن استخدام , في علاج النفس البشرية . .
ومشهد الاحتضار بذاته مشهد ترتجف له النفس البشرية , وتتحفز لتصور ما فيه . وإظهار الملائكة في المشهد يزيد النفس ارتجافا وتحفزا وحساسية .
وهم - القاعدون - ظلموا أنفسهم . وقد حضرت الملائكة لتتوفاهم وهذا حالهم . .
ظالمي أنفسهم . وهذا وحده كفيل بتحريك النفس وارتجافها . إذ يكفي أن يتصور المرء نفسه والملائكة تتوفاه وهو ظالم لنفسه ; وليس أمامه من فرصة أخرى لإنصاف نفسه , فهذه هي اللحظة الأخيرة .
ولكن الملائكة لا يتوفونهم - ظالمي أنفسهم - في صمت . بل يقلبون ماضيهم , ويستنكرون أمرهم ! ويسألونهم:فيم أضاعوا أيامهم ولياليهم ? وماذا كان شغلهم وهمهم في الدنيا:
(قالوا:فيم كنتم ?) . .
فإن ما كانوا فيه ضياع في ضياع ; كأن لم يكن لهم شغل إلا هذا الضياع !
ويجيب هؤلاء المحتضرون , في لحظة الاحتضار , على هذا الاستنكار , جوابا كله مذلة , ويحسبونه معذرة على ما فيه من مذلة .
(قالوا:كنا مستضعفين في الأرض) . .
كنا مستضعفين . يستضعفنا الأقوياء . كنا أذلاء في الأرض لا نملك من أمرنا شيئا .
وعلى كل ما في هذا الرد من مهانة تدعو إلى الزراية ; وتنفر كل نفس من أن يكون هذا موقفها في لحظة الاحتضار , بعد أن يكون هذا موقفها طوال الحياة . . فإن الملائكة لا يتركون هؤلاء المستضعفين الظالمي أنفسهم . بل يجبهونهم بالحقيقة الواقعة ; ويؤنبونهم على عدم المحاولة , والفرصة قائمة:
(قالوا:ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ?!) . .

إنه لم يكن العجز الحقيقي هو الذي يحملهم - إذن - على قبول الذل والهوان والاستضعاف , والفتنة عن الإيمان . .
إنما كان هناك شيء آخر . .
حرصهم على أموالهم ومصالحهم وأنفسهم يمسكهم في دار الكفر , وهناك دار الإسلام . ويمسكهم في الضيق وهناك أرض الله الواسعة . والهجرة إليها مستطاعة ; مع احتمال الآلام والتضحيات .
وهنا ينهي المشهد المؤثر , بذكر النهاية المخيفة:
فأولئك مأواهم جهنم , وساءت مصيرًا . .
ثم يستثني من لا حيلة لهم في البقاء في دار الكفر ; والتعرض للفتنة في الدين ; والحرمان من الحياة في دار الإسلام من الشيوخ الضعاف , والنساء والأطفال ; فيعلقهم بالرجاء في عفو الله ومغفرته ورحمته . بسبب عذرهم البين وعجزهم عن الفرار:
إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم , وكان الله عفوا غفورًا . .
ويمضي هذا الحكم إلى آخر الزمان ; متجاوزا تلك الحالة الخاصة التي كان يواجهها النص في تاريخ معين , وفي بيئة معينة . .
يمضي حكما عاما ; يلحق كل مسلم تناله الفتنة في دينه في أية أرض ; وتمسكه أمواله ومصالحه , أو قراباته وصداقاته ; أو إشفاقه من آلام الهجرة ومتاعبها . متى كان هناك - في الأرض في أي مكان - دار للإسلام ; يأمن فيها على دينه , ويجهر فيها بعقيدته , ويؤدي فيها عباداته ; ويحيا حياة إسلامية في ظل شريعة الله , ويستمتع بهذا المستوى الرفيع من الحياة . . (الظلال)

****

الثالث عشر – كان الطغاة في الأردن قد أوحوا إليه بالخروج منها لكونه يشكل خطرا كبيرا على الطغاة ويقض مضاجعهم ولا سيما أنه قد اكتسب شعبية واسعة بسبب ثباته وجرأته في قول الحق
ومن هنا يجب أن ندرك أننا أمام ثلاث خيارات

1- الركون إلى الظالمين وفيه ما فيه حيث يقول الله تعالى محذرا من ذلك
{وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} (113) سورة هود

2- مجابهة الظالمين بالقوة إن كانت موجودة ولم تكن موجودة آنذاك
ففي مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم قَالَ «مَا مِنْ نَبِىٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِى أُمَّةٍ قَبْلِى إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ

حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ ».

3- الهجرة في سبيل الله قال تعالى : {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} (75) سورة النساء

ولما لم يكن أمامه سوى الهجرة فهاجر سريعا

****

الرابع عشر – لقد كان يريد أن يذهب إلى الشيشان لمساعدة إخوانه هناك بسبب قلتهم فهم كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ « مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِى الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ أَوْ رَجُلٌ فِى غُنَيْمَةٍ فِى رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الأَوْدِيَةِ يُقِيمُ الصَّلاَةَ وَيُؤْتِى الزَّكَاةَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ فِى خَيْرٍ ».

وهو الذي سمع كثيرا من الأحاديث تحت على الجهاد في سبيل الله ففي البخاري عَنِ الزُّهْرِىِّ قَالَ أَخْبَرَنِى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ »

وفيه أيضا عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ جَلَسَ فِى أَرْضِهِ الَّتِى وُلِدَ فِيهَا » فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » .

وكيف لا يكون همه نصرة إخوانه المضطهدين المشردين المعذبين في الشيشان والله تعالى يقول له ولنا جميعا :

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74) وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} (75) سورة النساء

فليقاتل - في سبيل الله - فالإسلام لا يعرف قتالا إلا في هذا السبيل لا يعرف القتال للغنيمة ولا يعرف القتال للسيطرة . ولا يعرف القتال للمجد الشخصي أو القومي !
إنه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض ; ولا للاستيلاء على السكان . . لا يقاتل ليجد الخامات للصناعات , والأسواق للمنتجات ; أو لرؤوس الأموال يستثمرها في المستعمرات وشبه المستعمرات !
إنه لا يقاتل لمجد شخص . ولا لمجد بيت . ولا لمجد طبقة . ولا لمجد دولة , ولا لمجد أمة . ولا لمجد جنس . إنما يقاتل في سبيل الله . لإعلاء كلمة الله في الأرض . ولتمكين منهجه من تصريف الحياة . ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج , وعدله المطلق "بين الناس" مع ترك كل فرد حرا في اختيار العقيدة التي يقتنع بها . .
في ظل هذا المنهج الرباني الإنساني العالمي العام . .
وحين يخرج المسلم ليقاتل في سبيل الله , بقصد إعلاء كلمة الله , وتمكين منهجه في الحياة . ثم يقتل . . يكون شهيدا . وينال مقام الشهداء عند الله . .
وحين يخرج لأي هدف آخر - غير هذا الهدف لا يسمى "شهيدًا ولا ينتظر أجره عند الله , بل عند صاحب الهدف الأخر الذي خرج له . . والذين يصفونه حينئذ بأنه "شهيد" يفترون على الله الكذب ; ويزكون أنفسهم أو غيرهم بغير ما يزكي به الله الناس . افتراء على الله !
فليقاتل في سبيل الله - بهذا التحديد . .
من يريدون أن يبيعوا الدنيا ليشتروا بها الآخرة . ولهم - حينئذ - فضل من الله عظيم ; في كلتا الحالتين:
سواء من يقتل في سبيل الله ; ومن يغلب في سبيل الله أيضا:
ومن يقاتل - في سبيل الله - فيقتل أو يغلب , فسوف نؤتيه أجرا عظيمًا . .
بهذه اللمسة يتجه المنهج القرآني إلى رفع هذه النفوس ; وإلى تعليقها بالرجاء في فضل الله العظيم , في كلتا الحالتين . وأن يهون عليها ما تخشاه من القتل , وما ترجوه من الغنيمة كذلك ! فالحياة أو الغنيمة لا تساوي شيئا إلى جانب الفضل العظيم من

الله . كما يتجه إلى تنفيرها من الصفقة الخاسرة إذا هي اشترت الدنيا بالآخرة ولم تشتر الآخرة بالدنيا [ولفظ يشري من ألفاظ الضد فهي غالبا بمعنى يبيع] فهي خاسرة سواء غنموا أو لم يغنموا في معارك الأرض . وأين الدنيا من الآخرة ؟
وأين غنيمة المال من فضل الله ؟
وهو يحتوي المال - فيما يحتويه - ويحتوي سواه ؟!
وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله ; واستنفاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم , وكرامة المؤمن , ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق ؟
هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة ; لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم , والفتنة في دينهم . والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس والعرض , لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني , الذي تتبعه كرامة النفس والعرض , وحق المال والأرض !
ومشهد المرأة الكسيرة والولد الضعيف , مشهد مؤثر مثير لا يقل عنه مشهد الشيوخ الذين لا يملكون أن يدفعوا - وبخاصة حين يكون الدفع عن الدين والعقيدة - وهذا المشهد كله معروض في مجال الدعوة إلى الجهاد . وهو وحده يكفي . لذلك يستنكر القعود عن الاستجابة لهذه الصرخات . . وهو أسلوب عميق الوقع , بعيد الغور في مسارب الشعور والإحساس .
ولا بد من لفتة هنا إلى التصور الإسلامي للبلد والأرض والوطن:
إن (هذه القرية الظالم أهلها) التي يعدها الإسلام - في موضعها ذاك - دار حرب , يجب أن يقاتل المسلمون لاستنقاذ المسلمين المستضعفين منها , هي "مكة " وطن المهاجرين , الذين يدعون هذه الدعوة الحارة إلى قتال المشركين فيها . ويدعو المسلمون المستضعفين هذه الدعوة الحادة للخروج منه !
إن كونها بلدهم لم يغير وضعها في نظر الإسلام - حين لم تقم فيها شريعة الله ومنهجه ; وحين فتن فيها المؤمنون عن دينهم , وعذبوا في عقيدتهم . .
بل اعتبرت بالنسبة لهم هم أنفسهم "دار حرب" . .
دار حرب , هم لا يدافعون عنها , وليس هذا فحسب بل هم يحاربونها لإنقاذ إخوتهم المسلمين منها . .
إن راية المسلم التي يحامي عنها هي عقيدته . ووطنه الذي يجاهد من أجله هو البلد الذي تقام شريعة الله فيه ; وأرضه التي يدفع عنها هي دار الإسلام التي تتخذ المنهج الإسلامي منهجا للحياة . .

وكل تصور آخر للوطن هو تصور غير إسلامي , تنضح به الجاهليات , ولا يعرفه الإسلام .(الظلال)

****

الخامس عشر – الله تعالى لم يقدر له الوصول إلى الشيشان فقد ذهب إلى باكستان كي يجد السبيل ولكن الطريق أوصد أمامه وتقوم جلاوزة النظام الباكستاني بإلقاء القبض عليه وسجنه لأنه لا يملك وثيقة !!!

إن دخول بلاد الإسلام يحتاج إلى إجراءات كثيرة جدا في السفارات وفي الحدود والمطارات ، وهذا في جميع الدول وهذا يقطع بأن الجميع ((أعني الحكام)) من طنجة إلى جاكرتا ليسوا على شيء ولا صلة لهم بالإسلام والمسلمين مهما زعموا ومهما ادعوا

وهذه تجعل المرء يوقن بوجوب إزالة هؤلاء الطغاة المجرمين

وليس هناك حل آخر بتاتا كما يزعم أصحاب الحلول الاستسلامية الانهزامية

فالطغاة لن يزولوا بالكلام والدغدغة

بل بالحديد والنار والدم والأشلاء أيها الغافلون

وقد قمت بتعريتهم في كتابي ((فراعنة العصر في العراء)) وهذا رابطه

http://www.tajdeed.org.uk/forums/showthread.php?s=&threadid=27848

****

السادس عشر – اضطر للخروج من باكستان مقيدا بالأغلال ولم يكن أمامه سوى الذهاب لأفغانستان والتي كان يحكمها الطالبان وهنا التقى مرة أخرى بزعماء الجهاد في العالم الإسلامي

وأخذ يعمل معهم بل وصار له جماعة ((الفاروق)) يدربهم كذلك ولكن الزرقاوي الذي كان يتعطش للجهاد في سبيل الله قد خالف أسلوب تنظيم القاعدة ببعض الأشياء والخلاف بينهما كان خلافا مرحليا

فالقاعدة كانت تركز هجماتها على أكبر عدو للإسلام والمسلمين في هذا العصر وهي أمريكا

بينما كان يرى الزرقاوي وجوب القضاء على الحكام المرتدين الذي يعينون العدو على المسلمين ويطعنون المسلمين من الظهر

فليس الخلاف بينهما على مغانم ولا على دنيا بل على أسلوب العمل ليس إلا وهذا أمر طبيعي بين البشر

قال تعالى :

{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (148) سورة البقرة
ومن هنا قرر الذهاب إلى هيرات وحده وأخذ يدرب عناصره والذين كان أغلبهم من بلاد الشام التي ترزح تحت نير الاحتلال الداخلي والخارجي وهم لا يستطيعون العودة إلى بلادهم لأن مصيرهم لأن مصيرهم كمصير أصحاب الكهف تماما
{ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا} (20) سورة الكهف
فهما أمران أحلاهما مر
ولكن ما ذنبهم ؟
{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (8) سورة البروج
إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة وليست شيئاً آخر على الإطلاق . وإن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان ، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة ..
إنها ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ، ولا معركة عنصرية ..
ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها ، وسهل حل إشكالها . ولكنها في صميمها معركة عقيدة - إما كفر وإما إيمان ..
إما جاهلية وإما إسلام !
ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المال والحكم والمتاع في مقابل شيء واحد ، أن يدع معركة العقيدة وأن يدهن في هذا الأمر ! ولو أجابهم - حاشاه - إلى شيء مما أرادوا ما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق !
إنها قضية عقيدة ومعركة عقيدة ..
وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم . فإنه لا يعاديهم لشيء إلا لهذه العقيدة " إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد " ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع !
وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة ، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية ، كي يموّهوا على المؤمنين حقيقة المعركة ، ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة . فمن واجب المؤمنين ألا يُخدَعوا ، ومن واجبهم أن يدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيت . وأن الذي يغيِّر راية المعركة إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها ، النصر في أية صورة من الصور ، سواء جاء في صورة الانطلاق الروحي كما وقع للمؤمنين في حادث الأخدود ، أو في صورة الهيمنة - الناشئة من الانطلاق الروحي - كما حدث للجيل الأول من المسلمين .

ونحن نشهد نموذجاً من تمويه الراية في محاولة الصليبية العالمية اليوم أن تخدعنا عن حقيقة المعركة ، وأن تزور التاريخ ، فتزعم لنا أن الحروب الصليبية كانت ستاراً للاستعمار ..
كلا ..
إنما كان الاستعمار الذي جاء متأخراً هو الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور كما كانت في القرون الوسطى ! والتي تحطمت على صخرة العقيدة بقيادة مسلمين من شتى العناصر ، وفيهم صلاح الدين الكردي ، وتوران شاه المملوكي ، العناصر التي نسيت قوميتها وذكرت عقيدتها فانتصرت تحت راية العقيدة !
{ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } .
وصدق الله العظيم ، وكذب المموهون الخادعون ! ((الظلال))

****

السابع عشر – وفي هيرات كان يدرب أتباعه ليل نهار ويعبئهم ليوم لا ريب فيه

والاستعداد للقتال واجب شرعا قال تعالى :
{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} (60) سورة الأنفال
فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد ; والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ; ويخص (رباط الخيل) لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة . .
ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في ذلك الحين مما سيجد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا -
والمهم هو عموم التوجيه:
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) . .
إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في "الأرض" لتحرير "الإنسان" . .
وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة:أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها ; فلا يصدوا عنها , ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها . .
والأمر الثاني:أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على "دار الإسلام" التي تحميها تلك القوة . . والأمر الثالث:أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي , وهو ينطلق لتحرير "الإنسان" كله في "الأرض" كلها . .

والأمر الرابع:أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية , فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها ; ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده ; ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه . .
إن الإسلام ليس نظاماً لاهوتياً يتحقق بمجرد استقراره عقيدة في القلوب , وتنظيماً للشعائر , ثم تنتهي مهمته !
إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة ; يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات وتقف وراءها قوى مادية . فلا مفر للإسلام - لإقرار منهجه الرباني - من تحطيم تلك القوى المادية , وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى , وتقاوم المنهج الرباني . .
وينبغي للمسلم ألا يتمتم ولا يجمجم وهو يعلن هذه الحقيقة الكبيرة . .
ينبغي ألا يستشعر الخجل من طبيعة منهجه الرباني . ينبغي أن يذكر أن الإسلام حين ينطلق في الأرض إنما ينطلق لإعلان تحرير الإنسان بتقرير ألوهية الله وحده وتحطيم ألوهية العبيد ! إنه لا ينطلق بمنهج من صنع البشر ; ولا لتقرير سلطان زعيم , أو دولة , أو طبقة , أو جنس ! إنه لا ينطلق لاسترقاق العبيد ليفلحوا مزارع الأشراف كالرومان ; ولا لاستغلال الأسواق والخامات كالرأسمالية الغربية ; ولا لفرض مذهب بشري من صنع بشر جاهل قاصر كالشيوعية وما إليها من المذاهب البشرية . .
إنما ينطلق بمنهج من صنع الله العليم الحكيم الخبير البصير , ولتقرير ألوهية الله وحده وسلطانه لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من العبودية للعبيد . .
هذه هي الحقيقة الكبيرة التي يجب أن يدركها المهزومون الذين يقفون بالدين موقف الدفاع ; وهم يتمتمون ويجمجمون للاعتذار عن المد الإسلامي !
والجهاد الإسلامي .
ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة . فالنص يقول:
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) . .
فهي حدود الطاقة إلى أقصاها . بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها . كذلك يشير النص إلى الغرض الأول من إعداد القوة:
(ترهبون به عدو الله وعدوكم , وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) . .
فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض . الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون ; ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم , أو لم يجهروا لهم

بالعداوة , واللّه يعلم سرائرهم وحقائقهم . وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم . والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء , وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض ; ولتكون كلمة اللّه هي العليا , وليكون الدين كله للّه .

ولما كان إعداد العدة يقتضي أموالا , وكان النظام الإسلامي كله يقوم على أساس التكافل , فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال في سبيل الله:

(وما تنفقوا من شيء - في سبيل الله - يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) . .

وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله , من كل غاية أرضية , ومن كل دافع شخصي ; ومن كل شعور قومي أو طبقي , ليتمحض خالصا للّه "في سبيل اللّه" لتحقيق كلمة اللّه , ابتغاء رضوان اللّه .

ومن ثم ينفي الإسلام من حسابه - منذ الوهلة الاولى - كل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص والدول . وكل حرب تقوم للاستغلال وفتح الأسواق . وكل حرب تقوم للقهر والإذلال . وكل حرب تقوم لتسويد وطن على وطن , أو قوم على قوم , أو جنس على جنس , أو طبقة على طبقة . . ويستبقي نوعاً واحداً من الحركة . .

حركة الجهاد في سبيل الله . .

والله - سبحانه لا يريد تسويد جنس ولا وطن ولا قوم ولا طبقة ولا فرد ولا شعب . إنما يريد أن تسود ألوهيته وسلطانه وحاكميته . وهو غني عن العالمين . ولكن سيادة ألوهيته هي وحدها التي تكفل الخير والبركة والحرية والكرامة للعالمين . (الظلال)

وهكذا ينبغي أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم , وحقيقة تاريخهم ; فلا يقفوا بدينهم موقف المتهم الذي يحاول الدفاع ; إنما يقفون به دائما موقف المطمئن الواثق المستعلي على تصورات الأرض جميعا , وعلى نظم الأرض جميعا , وعلى مذاهب الأرض جميعا . .

ولا ينخدعوا بمن يتظاهر بالدفاع عن دينهم بتجريده في حسهم من حقه في الجهاد لتأمين أهله ; والجهاد لكسر شوكة الباطل المعتدي ; والجهاد لتمتيع البشرية كلها بالخير الذي جاء به ; والذي لا يجني أحد على البشرية جناية من يحرمها منه , ويحول بينها وبينه . فهذا هو أعدى أعداء البشرية , الذي ينبغي أن تطارده البشرية لو رشدت وعقلت . وإلى أن ترشد البشرية وتعقل , يجب أن يطارده المؤمنون , الذين اختارهم الله وحباهم بنعمة الإيمان , فذلك

واجبهم لأنفسهم وللبشرية كلها , وهم مطالبون بهذا الواجب أمام الله . . (الظلال)

****

الثامن عشر – الحصار في هيرات وفيه أمور :

1- لقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية ومعها جل دول العالم للقضاء على دولة طالبان المسلمة بحجة عدم تسليمها الشيخ المجاهد أسامة بن لادن حفظه الله ولو كان في أية دولة عربية لأسلمته على طبق من ذهب لأمريكا لترضى عنهم ولو غضب الله عليهم لأنهم لا يؤمنون بلقائه أصلا
فقد ضربت طالبان المثل الأعلى للمسلم الحق الذي يضحي بكل ما يملك من أعراض الدنيا في سبيل الحفاظ على مسلم واحد قال الأخ الفاضل لويس عطية الله :

في الوقت الذي كان شيوخنا يعلموننا فيه أن (الأشاعرة والماتريدية مبتدعة ضالون) , كان الشيخ أسامة بن لادن يعلم أتباعه البيع والشراء والتجارة !! لكن على طريقة عبدالرحمن بن عوف عندما باع القافلة بعشرة أضعاف الربح الذي عرضه التجار , التجارة مع الله , وكان أمير المؤمنين الملا محمد عمر يستعد لإلقاء محاضرة طويلة ومفتوحة ستبدأ في 11 سبتمبر لتستمر إلى هذه اللحظة عنوانها (التوحيد , كمفهوم وتطبيقه عمليا في الحياة).
مرت الأيام ونحن نردد الماتريدية والأشاعرة مبتدعة ضلال , ونتغنى بأمجاد (التوحيد) وتصحيح العقيدة .
إلى أن حدثت 11 سبتمبر وتعلمنا دروسا جديدة لم نكن لنتعلمها لولا 11 سبتمبر .
اكتشفنا فجأة , أن الموصوفين بأنهم ماتريدية أفهم منا بالتوحيد , اكتشفنا أن الإسلام أوسع مما كنا نظن , وتبين لنا أن هناك معان في التوحيد أهم بكثير من خلافاتنا حول توحيد الأسماء والصفات , اكتشفنا أن توحيد العبادة هو الأصل الذي يجب أن تدور عليه حياتنا , وتعلمنا الطريقة الصحيحة لفهم توحيد الأسماء والصفات .. علمتنا طالبان درسا مبدئيا عجزنا عن فهمه في البداية عندما دمرت بوذا .
شكك الكثيرون في مقاصد طالبان من تدمير بوذا , وجهل كثيرون أن طالبان هدمت الأصنام مستندة على جبل التوحيد الشامخ الإمام حمود الشعيبي رحمه الله..
لا بأس طالب التوحيد المبتدئ يحتاج إلى جرعة عملية أكبر, جاءت 11 سبتمبر فكانت المفاجأة الكبرى !!

محاضرة التوحيد العملي المجانية من الإمام المجاهد أمير المؤمنين الملا محمد عمر نصره الله..
لن نسلم مسلما لكافر ولو انطبقت السماء على الأرض..الله أقوى وأكبر من أمريكا وهو ناصرنا.
أمريكا لو فعلت ما فعلت فإننا معتصمون بحبل الله ونعتقد أن النصر من عند الله .
إني أنظر لوعدين وعد الله ووعد بوش ووعد الله حق أما وعد بوش فزائل ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.الله أكبر !! هل هذا الملا عمر أم أبو بكر الصديق ؟
وهكذا استمر الإمام محمد عمر في تعليمنا حقيقة التوحيد بل وشرح لنا معنى توحيد الأسماء والصفات ..
اعتدنا في دروسنا النظرية لتوحيد الأسماء والصفات أن نتقعر في تقرير مسائل نظرية ونردد بدون فهم (نؤمن بما وصف الله نفسه بدون تأويل أو تكييف أو تعطيل), لكننا جهلنا حقا المقصد الأساس من توحيد الأسماء والصفات , جهلنا ماذا يريد الله منا حينما يخبرنا أنه سبحانه هو القوي العزيز, وأنه العزيز الحكيم وأنه السميع البصير.
وجهلنا فيما جهلنا أننا يجب أن نفهم حقيقة مشاكل عصرنا وأهمها على الإطلاق تركنا للجهاد لكننا استحضرنا معارك ابن تيمية مع الأشعرية والماتريدية وجعلناها أولوياتنا بدلا من أن نلتفت إلى أن مشكلة عصرنا الأولى هي أن الأمة قاطبة محتلة من الغرب وأن المعركة الأولى التي يجب أن نخوضها هي معركة الجهاد ضد المحتل..
وإذا كانت قضية التأويل والتعطيل أخذت حيزا كبيرا عالجه ابن تيمية في عصره فلأنها كانت ضرورة في ذلك العصر , لكن ابن تيمية لم يجعلها قضيته الأولى لأنه عندما اقتضى الجهاد أن يجاهد التتار خرج على رأس الجيوش فأين ابن تيمية من شيوخ هذا العصر ؟؟ الذين مازالوا ينادون بتأخير مشروع الجهاد والالتفات إلى ما يسمونه زورا (الجهاد العام) .
بل حتى على مبدأ من جعل (العقيدة) اهتمامه الأول جهلنا حقا كيف تكون العقيدة وظننا أن الحروب مع الأشعرية وغيرها من الفرق هي الأصل في حياتنا ! ولم نهتم بكيفية تحقيق ما اختلفنا فيه مع الأشعرية في الأسماء والصفات .
إن توحيد الأسماء والصفات على طريقتنا لم يجعلنا أكثر من نسخة محسنة من المستشرقين الذي يعرفون السنة أكثر منا ويخدمونها لكنهم لا يؤمنون بالإسلام .

إنك حينما تقرر صفة (السمع) لله وتقول نؤمن بأن الله سميع كما يليق بجلاله وعظمته لا ينفعك إذا لم يؤثر هذا الإيمان في سلوكك ويجعلك تراقب الله في كلامك .
والذي يؤمن بأن الله بصير لا ينفعه أن يقول نؤمن به كما جاء دون تعطيل ولا تأويل ولا تكييف ولم يتمثل في أفعاله مراقبة الله واستحضاره بأن الله يراه ويرى ما يعمل .
والذين يقول بأن الله قوي لن ينفعه تكلف العبارات إن كان عمليا يتصرف وكأن أمريكا أقوى من الله
والذي يزعم بان الله غني لن ينفعه تكلف العبارات وهو يظن أن الرزق بيد ابن سعود أو أن الرخاء العالمي يعتمد على أمريكا
والذي يظن أن الله عليم لن ينفعه تكلف العبارات وهو يبذل جهده كله لمصلحة نفسه ويبحث عن العبارات والمواقف التي ترضي الطاغوت ..
فإذا كان المتهمون بالماتريدية قد تمثلوا الإيمان بصفات الله وأسمائه على الحقيقة وفكروا وتكلموا وفعلوا على أساس أن الله سميع بصير قدير قوي عزيز غني رزاق حكيم إليه المصير .
فهم أهل التوحيد وهم الذين تمثل فيهم تحقيق معنى لا اله إلا الله وليقل من شاء ما شاء بل هم الذين حققوا معنى توحيد الأسماء والصفات بالذات رغم أنف من يتطاول عليهم من المتشدقين بالسلفية وقد جهل أسماء الله وصفاته على الحقيقة حين خالفها في ا لتمثل .
ثم هناك الاختبار الأخير والأصعب في مسألة الإيمان ..
الذي يتجسد به التوحيد في أسمى صوره على الإطلاق والذي ينكشف فيه المنافق كشفا فاضحا , وذلك في لحظة المواجهة الحقيقية في اختبار هل يقدم حظ النفس والمال أم يقدم مرضاة الله عليها .
بحيث يقرر الإنسان في لحظة هل يبيع نفسه لله أولا يبيعها ولا يمكن بحال أن يختار المرء أن يبيع نفسه لله إلا أن يكون موحدا مؤمنا يعلم أنه يخرج من الدار الدنيا إلى رضا الله مباشرة هذا اليقين هو الذي تمثله عمير بن الحمام حين استبطأ المسألة ورأى أن بضع دقائق يأكل بها التمرات حياة طويلة في شقاء الدنيا وتأخر عن نعيم الآخرة ورضا الله , يا رسول الله ليس بيني وبين ذلك إلا أن آكل هذه التمرات؟ إنها لحياة طويلة ,!!
الذي يقرر أن يبيع نفسه وماله واسمه ومهجته وقلبه في سبيل الله
هو الذي وصل إلى تحقيق التوحيد فكيف بمن يفرط بدولة كاملة تحت يديه من اجل رضا الله ..

هذا هو أمير المؤمنين الملا عمر وهذا درسه المجاني في حقيقة التوحيد
لقد كانت أياما عصيبة , حين جمع خمسة آلاف من علماء أفغانستان وطلب منهم المشورة في مسألة الشيخ أسامة بن لادن طبعا لم يكن مطروحا البتة تسليم بن لادن لكن الخلاف حول هل يبقى أم يطلب منه أن يغادر أفغانستان , أتذكر أيام اجتماعات علماء الطالبان , كانت ثلاثة أيام من أصعب الأيام على المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها , كنا نخشى أن يصدر شيء يسوء أهل الإيمان في كل مكان لكن بحمد الله تجاوزنا المحنة وصدرت توصية الشيوخ لا تلزم الملا بشيء , ولذا اختار الملا بقاء الشيخ أسامة في أفغانستان ..
وكان يراجع الملا الإمام مجموعة من الناس يطلبون منه أن يطرد الشيخ فكان يرد عليهم (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)
سجل يا تاريخ ...
شخصيا أعتقد أنه لم يقف مسلم بعد أبي بكر رضي الله في مثل الموقف الذي وقف فيه الملا , ونجح الملا بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى بدون منازع في هذا الامتحان العسير ..
لم يسجل في التاريخ أبدا أن دولة كاملة أزيلت بسبب رجل , سجل التاريخ حكاما يتنازلون عن الحكم لأسباب مختلفة أما أن تزول دولة كاملة بسبب موقفها من رجل واحد فهذا لم يحصل قط , واسألوا إن شئتم الأستاذ المؤرخ بشير نافع ..
لماذا وقف الملا هذا الموقف ؟ هذا درس مجاني في التوحيد من الملا علمه للأمة قاطبة , مجاني بالنسبة لنا للأسف الشديد لكنه كلف الملا دولة طالبان ..هل الملا عمر هو الوحيد في طالبان الذي يعطينا الدروس المجانية ؟ كلا البتة , كلهم أساتذة في التوحيد ..
الإمام عبد السلام ضعيف سئل بعد سقوط طالبان وقيل له : هل تشعرون بالندم بسبب موقفكم ؟
قال بكل ثبات وطمأنينة لا لقد فعلنا مقتضى ما جاء في ديننا وفعلنا كل ما بوسعنا ولو قدر لنا أن تعاد الأحداث ثانية لما تغير موقفنا أبدا ,
هذا هو التوحيد ايها المتشدقون بالتوحيد والعقيدة !
وهؤلاء هم الناس الذي يستحقون بكل جدارة لقب (إمام) لأن الإمامة في الدين إنما تنال بالصبر واليقين وهؤلاء القوم كانوا صابرين ومستيقنين والله حسيبهم..

وأصبحنا نحن الذين كنا نبدع الأشاعرة والماتريدية في مجالسنا نردد في المجالس نفسها (طالبان لا يحبها إلا مؤمن ولا يبغضها إلا منافق أو رافضي ، أو كافر بطبيعة الحال) ..
إنها دروس عملية ومفارقات عجيبة يقيم الله بها الحجة على عباده ففي الوقت الذي نرى ذلك الشيخ الذي كتب أمام اسمه (معالي فضيلة الأستاذ الشيخ الدكتور) , نراه يقف إجلالا وتعظيما أمام الطاغوت المبدل لشرع الله المستحل للربا الموالي لأعداء الله من يهود وأمريكان , ليمدحه ويثني عليه .
ثم نرى ذلك الشيخ يكتب في طالبان بيانا يفصل فيه عقيدتهم ويقول إنهم ما ريدية في الأسماء والصفات وينسى ذلك الشيخ نفسه ليجعلنا نتساءل ونقول في أنفسنا وبماذا سنصف عقيدتك عندما نراك تزكي الطاغوت وتسبغ عليه من صفات التقديس ما هو كذب أصلا عندما تزعم أنه أفضل من يطبق الإسلام في هذا العصر وتمدح مبادرة الإخاء مع اليهود !!
في هذا الوقت نفسه نرى من قيل عنهم أنهم ماتريدية في عقيدتهم خلل نراهم يقولون للكفار الأمريكان الذين هم أسياد ذلك الطاغوت الصغير الذي يمدحه ذلك الشيخ المسكين ، يقولون لا بملء أفواههم ويقولون لن نسلم مسلما لكم ولو انطبقت السماء على الأرض ! ,
أليس هذا درسا عمليا لنا لنعرف من الموحد من غير الموحد ؟ ومن هو على ملة إبراهيم عليه السلام ومن هو على ملة (بلعام بن باعوراء ؟)
لا تستعجلوا الدروس لم تنته بعد ..
فالشيخ أسامة بن لادن ومن معه من رجال القاعدة يعطوننا دروسا عملية لا تتوقف في كيفية تحقيق التوحيد في النفوس وفي الحياة , وكيف يقف أحدهم وهو الإمام أحمد الحزنوي رحمه الله , ليعلمنا كيف تكون التضحية والفداء في سبيل الله , وكيف يطبق هؤلاء القوم عمليا وصف الله للمؤمنين عندما يقول سبحانه (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) .
أي شعور سيصيبك أيها المسلم عندما تسمع أحمد الحزنوي رحمه الله يقول قبل 11 سبتمبر بأشهر (اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى) ثم تعلم أنه ضحى بنفسه في سبيل الله وتراه وقد ركب الطائرة ليدك صروح الكفر بجسده الطائر مع إخوانه من المجاهدين , أي صدق في العهد أبلغ من هذا الصدق وأي أساتذة في فن التوحيد هؤلاء الرجال , نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا . ((من مقال للأخ الفاضل لويس عطية الله))

2- لقد قام تحالف الشمال ورافضة إيران بحصار هيرات فصار الزرقاوي وجماعته بين فكي كماشة

وهذا يقطع بأن الرافضة هم ألد أعداء الإسلام عبر التاريخ وأن الذين يدافعون عنهم أو يجرون حوارا معهم أو يقولون إنهم لا يختلفون عنا إلا بالفروع ضالون مضلون

وكذلك فإن تحالف الشمال قد تحالف من أعداء الإسلام وهذا كفر صريح وردة تخرج من الملة

قال تعالى :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (51) سورة المائدة

إنها تعني التناصر والتحالف معهم . ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم . فبعيد جدا أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين . إنما هو ولاء التحالف والتناصر , الذي كان يلتبس على المسلمين أمره , فيحسبون أنه جائز لهم , بحكم ما كان واقعا من تشابك المصالح والأواصر , ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام , وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة , حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله . بعد ما تبين عدم إمكان قيام الولاء والتحالف والتناصر بين المسلمين واليهود في المدينة . .

وهذا المعنى معروف محدد في التعبيرات القرآنية . وقد جاء في صدد الكلام عن العلاقة بين المسلمين في المدينة والمسلمين الذين لم يهاجروا إلى دار الإسلام:فقال الله سبحانه: (ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) . .

وطبيعي أن المقصود هنا ليس الولاية في الدين . فالمسلم ولي المسلم في الدين على كل حال . إنما المقصود هو ولاية التناصر والتعاون . فهي التي لا تقوم بين المسلمين في دار الإسلام والمسلمين الذين لم يهاجروا إليهم . . وهذا اللون من الولاية هو الذي تمنع هذه الآيات أن يقوم بين الذين آمنوا وبين اليهود والنصارى بحال , بعد ما كان قائما بينهم أول العهد في المدينة . إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء , واتخاذهم أولياء شيء آخر , ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين , الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته , بوصفه حركة منهجية واقعية , تتجه إلى إنشاء واقع في الأرض , وفق التصور الإسلامي الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصورات التي تعرفها البشرية ; وتصطدم - من ثم - بالتصورات والأوضاع

المخالفة , كما تصطدم بشهوات الناس وانحرافهم وفسوقهم عن منهج الله , وتدخل في معركة لا حيلة فيها , ولا بد منها , لإنشاء ذلك الواقع الجديد الذي تريده , وتتحرك إليه حركة إيجابية فاعلة منشئة . .

وهؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة , كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهل الكتاب فيها ; ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها , فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق , وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة . ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب . .

بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة . . وأن هذا شأن ثابت لهم , وأنهم ينقمون من المسلم إسلامه , وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم . وأنهم مصرون على الحرب للإسلام وللجماعة المسلمة . وأنهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . . إلى آخر هذه التقريرات الحاسمة .

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب , ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم . وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب , ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه , ولن يكفهم عن موالاة بعضه لبعض في حربه والكيد له . .

وسذاجة أية سذاجة وغفلة أية غفلة , أن نظن أن لنا وإياهم طريقا واحدا نسلكه للتمكين للدين ! أمام الكفار والملحدين ! فهم مع الكفار والملحدين , إذا كانت المعركة مع المسلمين !!!

وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان وفي كل زمان ; حين يفهمون أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب في الأرض للوقوف في وجه المادية والإلحاد - بوصفنا جميعا أهل دين ! - ناسين تعليم القرآن كله ; وناسين تعليم التاريخ كله . فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين: (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلًا) . . وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة , وكانوا لهم درعا وردءا . وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام , وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس , وهم الذي شردوا العرب المسلمين في فلسطين , وأحلوا اليهود

محلهم , متعاونين في هذا مع الإلحاد والمادية ! وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان . . في الحبشة والصومال واريتريا والجزائر , ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية , في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند , وفي كل مكان !
ثم يظهر بيننا من يظن - في بعد كامل عن تقريرات القرآن الجازمة - أنه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر . ندفع به المادية الإلحادية عن الدين !
إن هؤلاء لا يقرأون القرآن . وإذا قرأوه اختلطت عليهم دعوة السماحة التي هي طابع الإسلام ; فظنوها دعوة الولاء الذي يحذر منه القرآن .
إن هؤلاء لا يعيش الإسلام في حسهم لا بوصفه عقيدة لا يقبل الله من الناس غيرها , ولا بوصفه حركة إيجابية تستهدف إنشاء واقع جديد في الأرض ; تقف في وجه عداوات أهل الكتاب اليوم , كما وقفت له بالأمس . الموقف الذي لا يمكن تبديله . لأنه الموقف الطبيعي الوحيد !
وندع هؤلاء في إغفالهم أو غفلتهم عن التوجيه القرآني , لنعي نحن هذا التوجيه القرآني الصريح:
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . بعضهم أولياء بعض . . ومن يتولهم منكم فإنه منهم . إن الله لا يهدي القوم الظالمين) . .
هذا النداء موجه إلى الجماعة المسلمة في المدينة - ولكنه في الوقت ذاته موجه لكل جماعة مسلمة تقوم في أي ركن من أركان الأرض إلى يوم القيامة . . موجه لكل من ينطبق عليه ذات يوم صفة: الذين آمنوا . .
ولقد كانت المناسبة الحاضرة إذ ذاك لتوجيه هذا النداء للذين آمنوا , أن المفاصلة لم تكن كاملة ولا حاسمة بين بعض المسلمين في المدينه وبعض أهل الكتاب - وبخاصه اليهود - فقد كانت هناك علاقات ولاء وحلف , وعلاقات اقتصاد وتعامل , وعلاقات جيره وصحبه . . وكان هذا كله طبيعياً مع الوضع التاريخي والاقتصادي والاجتماعي في المدينة قبل الإسلام , بين أهل المدينة من العرب وبين اليهود بصفة خاصة . . وكان هذا الوضع يتيح لليهود أن يقوموا بدورهم في الكيد لهذا الدين وأهله ; بكل صنوف الكيد التي عددتها وكشفتها النصوص القرآنية الكثيرة ; والتي سبق استعراض بعضها في الأجزاء الخمسة الماضية من هذه الظلال ; والتي يتولى هذا الدرس وصف بعضها كذلك في هذه النصوص .

ونزل القرآن ليبث الوعي اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته , لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة . ولينشى ء في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة ولا يقف تحت رايتها الخاصة .
المفاصلة التي لا تنهي السماحة الخلقية . فهذه صفة المسلم دائما . ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا لله ورسوله والذين آمنوا . . الوعي والمفاصلة اللذان لا بد منهما للمسلم في كل أرض وفي كل جيل .
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . . بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فإنه منهم , إن الله لا يهدي القوم الظالمين) .
بعضهم أولياء بعض . .
إنها حقيقة لا علاقة لها بالزمن . . لأنها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء . .
إنهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في أي أرض ولا في أي تاريخ . .
وقد مضت القرون تلو القرون ترسم مصداق هذه القولة الصادقة . .
لقد ولي بعضهم بعضا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم والجماعة المسلمة في المدينة وولي بعضهم بعضا في كل فجاج الأرض , على مدار التاريخ . . ولم تختل هذه القاعدة مرة واحدة ; ولم يقع في هذه الأرض إلا ما قرره القرآن الكريم , في صيغة الوصف الدائم لا الحادث المفرد . .
واختيار الجملة الاسمية على هذا النحو . .
بعضهم أولياء بعض . .
ليست مجرد تعبير ! إنما هي اختيار مقصود للدلالة على الوصف الدائم الأصيل !
ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها . .
فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم . والفرد الذي يتولاهم من الصف المسلم , يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف "الإسلام" وينضم إلى الصف الآخر . لأن هذه هي النتيجة الطبيعية الواقعية: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) . .
وكان ظالما لنفسه ولدين الله وللجماعة المسلمة . .
وبسبب من ظلمه هذا يدخله الله في زمرة اليهود والنصارى الذين أعطاهم ولاءه . ولا يهديه إلى الحق ولا يرده إلى الصف المسلم: (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) . .

لقد كان هذا تحذيرا عنيفا للجماعة المسلمة في المدينة . ولكنه تحذير ليس مبالعا فيه . فهو عنيف . نعم ; ولكنه يمثل الحقيقة الواقعة . فما يمكن أن يمنح المسلم ولاءه لليهود والنصارى - وبعضهم أولياء بعض - ثم يبقى له إسلامه وإيمانه , وتبقى له عضويته في الصف المسلم , الذين يتولى الله ورسوله والذين آمنوا . .

فهذا مفرق الطريق . .

وما يمكن أن يتميع حسم المسلم في المفاصلة الكاملة بينة وبين كل من ينهج غير منهج الإسلام ; وبينه وبين كل من يرفع راية غير راية الإسلام ; ثم يكون في وسعه بعد ذلك أن يعمل عملا ذا قيمة في الحركة الإسلاميةالضخمة التي تستهدف - أول ما تستهدف - إقامة نظام واقعي في الأرض فريد ; يختلف عن كل الأنظمة الأخرى ; ويعتمد على تصور متفرد كذلك من كل التصورات الأخرى . .

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم , الذي لا أرجحة فيه ولا تردد , بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من الناس - بعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبأن منهجه الذي كلفه الله أن يقيم الحياة عليه , منهج متفرد لا نظير له بين سائر المناهج ; ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر ; ولا يمكن أن يقوم مقامه منهج آخر ; ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه ; ولا يعفيه الله ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بذل جهد طاقته في إقامة هذا المنهج بكل جوانبه:

الاعتقادية والاجتماعية ; لم يأل في ذلك جهدا , ولم يقبل من منهجه بديلا - ولا في جزء منه صغير - ولم يخلط بينه وبين أي منهج آخر في تصور اعتقادي , ولا في نظام اجتماعي , ولا في أحكام تشريعية , إلا ما استبقاه الله في هذا المنهج من شرائع من قبلنا من أهل الكتاب . .

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم بهذا كله هو - وحده - الذي يدفعه للاضطلاع بعبء النهوض بتحقيق منهج الله الذي رضيه للناس ; في وجه العقبات الشاقة , والتكاليف المضنية , والمقاومة العنيدة , والكيد الناصب , والألم الذي يكاد يجاوز الطاقة في كثير من الأحيان . .

وإلا فما العناء في أمر يغني عنه غيره - مما هو قائم في الأرض من جاهلية . . سواء كانت هذه الجاهلية ممثلة في وثنية الشرك , أو في انحراف أهل الكتاب , أو في الإلحاد السافر . .

بل ما العناء في إقامة المنهج الإسلامي , إذا كانت الفوارق بينه وبين مناهج أهل الكتاب أو غيرهم قليلة ; يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة والمهادنة ?
إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة , باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية , يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح . فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله . والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي . .
إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام , وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلا ; ولا يقبل فيه تعديلا - ولو طفيفا - هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر:
(إن الدين عند الله الإسلام) . .
(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) . .
(واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) . . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . .
بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) . . وفي القرآن كلمة الفصل . . ولا على المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين !
إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعا على أساس العقيدة . فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة . . ومن ثم لا يمكن أن يقوم الولاء - وهو التناصر - بين المسلم وغير المسلم ; إذ أنهما لا يمكن أن يتناصرا في مجال العقيدة . . ولا حتى أمام الإلحاد مثلا - كما يتصور بعض السذج منا وبعض من لا يقرأون القرآن ! - وكيف يتناصران وليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه ?
إن بعض من لا يقرأون القرآن , ولا يعرفون حقيقة الإسلام ; وبعض المخدوعين أيضا . . يتصورون أن الدين كله دين ! كما أن الإلحاد كله إلحاد ! وأنه يمكن إذن أن يقف "التدين" بجملته في وجه الإلحاد . لأن الإلحاد ينكر الدين كله , ويحارب التدين على الإطلاق . .
ولكن الأمر ليس كذلك في التصور الإسلامي ; ولا في حس المسلم الذي يتذوق الإسلام . ولا يتذوقالإسلام إلا من يأخذه عقيدة , وحركة بهذه العقيدة , لإقامة النظام الإسلامي .
إن الأمر في التصور الإسلامي وفي حس المسلم واضح محدد . . الدين هو الإسلام . .

وليس هناك دين غيره يعترف به الإسلام . . لأن الله - سبحانه - يقول هذا . يقول: (إن الدين عند الله الإسلام) . . ويقول: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) . .
وبعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لم يعد هناك دين يرضاه الله ويقبله من أحد إلا هذا "الإسلام" . .
في صورته التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وما كان يقبل قبل بعثة محمد من النصارى لم يعد الآن يقبل . كما أن ما كان يقبل من اليهود قبل بعثة عيسى عليه السلام , لم يعد يقبل منهم بعد بعثته . .
ووجود يهود ونصارى - من أهل الكتاب - بعد بعثه محمد صلى الله عليه وسلم - ليس معناه أن الله يقبل منهم ما هم عليه ; أو يعترف لهم بأنهم على دين إلهي . .
لقد كان ذلك قبل بعثة الرسول الأخير . .
أما بعد بعثته فلا دين - في التصور الإسلامي وفي حس المسلم - إلا الإسلام . . وهذا ما ينص عليه القرآن نصا غير قابل للتأويل . .
إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام . . لأنه لا إكراه في الدين) ولكن هذا ليس معناه أنه يعترف بما هم عليه "ديناً ويراهم على دين" . .
ومن ثم فليس هناك جبهه تدين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد !
هناك "دين" هو الإسلام . .
وهناك "لا دين" هو غير الإسلام . . ثم يكون هذا اللادين . .
عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفه , أو عقيده أصلها وثني باقيه على وثنيتها . أو إلحاداً ينكر الأديان . .
تختلف فيما بينها كلها . .
ولكنها تختلف كلها مع الإسلام . ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء . .
والمسلم يتعامل مع أهل الكتاب هؤلاء ; وهو مطالب بإحسان معاملتهم - كما سبق - ما لم يؤذوه في الدين ; ويباح له أن يتزوج المحصنات منهن - على خلاف فقهي فيمن تعتقد بألوهية المسيح أو بنوته , وفيمن تعتقد التثليث أهي كتابيه تحل أم مشركة تحرم - وحتى مع الأخذ بمبدأ تحليل النكاح عامه . .
فإن حسن المعامله وجواز النكاح , ليس معناها الولاء والتناصر في الدين ; وليس معناها اعتراف المسلم بأن دين أهل الكتاب - بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم هو دين يقبله الله ; ويستطيع الإسلام أن يقف معه في جبهه واحدة لمقاومة الإلحاد !

إن الإسلام قد جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب ; كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنيين سواء .
ودعاهم إلى الإسلام جميعاً , لأن هذا هو "الدين" الذي لا يقبل الله غيره من الناس جميعاً . ولما فهم اليهود أنهم غير مدعوين إلى الإسلام , وكبر عليهم أن يدعوا إليه , جابههم القرآن الكريم بأن الله يدعوهم إلى الإسلام , فإن تولوا عنه فهم كافرون !
والمسلم مكلف أن يدعوا أهل الكتاب إلى الإسلام , كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء . وهو غير مأذون في أن يكره أحداً من هؤلاء ولا هؤلاء على الإسلام . لأن العقائد لا تنشأ في الضمائر بالإكراه . فالإكراه في الدين فوق أنه منهي عنه , هو كذلك لا ثمره له .
ولا يستقيم أن يعترف المسلم بأن ما عليه أهل الكتاب - بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم هو دين يقبله الله . . ثم يدعوهم مع ذلك إلى الإسلام ! . .
إنه لا يكون مكلفاً بدعوتهم إلى الإسلام إلا على أساس واحد ; هو أنه لا يعترف بأن ما هم عليه دين . وأنه يدعوهم إلى الدين .
وإذا تقررت هذه البديهيه , فإنه لا يكون منطقياً مع عقيدته إذا دخل في ولاء أو تناصر للتمكين للدين في الأرض , مع من لا يدين بالإسلام .
إن هذه القضيه في الإسلام قضيه اعتقاديه إيمانيه . كما أنها قضيه تنظيميه حركيه !
من ناحيه أنها قضيه إيمانيه اعتقاديه نحسب أن الأمر قد صار واضحاً بهذا البيان اذي أسلفناه , وبالرجوع إلى النصوص القرآنيه القاطعه بعدم قيام ولاء بين المسلمين وأهل الكتاب .
ومن ناحية أنها قضية تنظيمية حركية الأمر واضح كذلك . .
فإذا كان سعي المؤمن كله ينبغي أن يتجه إلى إقامة منهج الله في الحياة - وهو المنهج الذي ينص عليه الإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بكل تفصيلات وجوانب هذا المنهج , وهي تشمل كل نشاط الإنسان في الحياة . . فكيف يمكن إذن أن يتعاون المسلم في هذا السعي مع من لا يؤمن بالإسلام دينا ومنهجا ونظاما وشريعة ; ومن يتجه في سعيه إلى أهداف أخرى - إن لم تكن معادية للإسلام وأهدافه فهي على الأقل ليست أهداف الإسلام - إذ الإسلام لا يعترف بهدف ولا عمل لا يقوم على أساس العقيدة مهما بدا في ذاته صالحا - (والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) . .
والإسلام يكلف المسلم أن يخلص سعيه كله للإسلام . .

ولا يتصور إمكان انفصال أية جزئية في السعي اليومي في حياة المسلم عن الإسلام . .
لا يتصور إمكان هذا إلا من لا يعرف طبيعة الإسلام وطبيعة المنهج الإسلامي . .
ولا يتصور أن هناك جوانب في الحياة خارجة عن هذا المنهج يمكن التعاون فيها مع من يعادي الإسلام , أو لا يرضى من المسلم إلا أن يترك إسلامه , كما نص الله في كتابه على ما يطلبه اليهود والنصارى من المسلم ليرضوا عنه ! . .
إن هناك استحالة اعتقادية كما أن هناك استحالة عملية على السواء . .
ولقد كان اعتذار عبدالله بن أبي بن سلول , وهو من الذين في قلوبهم مرض , عن مسارعته واجتهاده في الولاء ليهود , والاستمساك بحلفه معها , هي قوله:إنني رجل أخشى الدوائر ! إني أخشى أن تدور علينا الدوائر وأن تصيبنا الشدة , وأن تنزل بنا الضائقة . . وهذه الحجة هي علامة مرض القلب وضعف الإيمان . .
فالولي هو الله ; والناصر هو الله ; والاستنصار بغيره ضلالة , كما أنه عبث لا ثمرة له . . ولكن حجة ابن سلول , هي حجة كل بن سلول على مدار الزمان ; وتصوره هو تصور كل منافق مريض القلب لا يدرك حقيقة الإيمان . .
وكذلك نفر قلب عبادة بن الصامت من ولاء يهود بعد ما بدا منهم ما بدا . لأنه قلب مؤمن فخلع ولاء اليهود وقذف به , حيث تلقاه وضم عليه صدره وعض عليه بالنواجذ عبدالله بن أبى بن سلول !
إنهما نهجان مختلفان , ناشئان عن تصورين مختلفين , وعن شعورين متباينين , ومثل هذا الاختلاف قائم على مدار الزمان بين قلب مؤمن وقلب لا يعرف الإيمان !
ويهدد القرآن المستنصرين بأعداء دينهم , المتألبين عليهم , المنافقين الذين لا يخلصون لله اعتقادهم ولا ولاءهم ولا اعتمادهم . . (الظلال)

3- لقد صار كثير منهم تحت الأسر نتيجة لذلك حيث لا يملكون أسلحة ثقيلة ليردوا على أولئك الفجار فماذا فعل أبو مصعب وهو في أحلك الظروف ؟؟
فهل ترك أتباعه وفر بجلده كما يفعل الكثيرون ؟؟
هل استسلم للغزاة والطغاة ؟؟
كل ذلك لم يحدث ولم يخطر بباله كان همه الأول استنقاذ الأسرى فماذا فعل إذن ؟؟

يقول أحد مرافقيه : لقد لجأ إلى ملك الملوك حيث توضأ وصلى ركعتين ثم دعا بإلحاح وأكثر من البكاء أن يفرج الله عنهم حتى أشفق عليه من كان معه وبعدها جاء الفرج من السماء

من الذي يسمع ويرى من الذي يقول :

{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} (62) سورة النمل

من الذي يقول :

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (60) سورة غافر

جاءهم المدد من الحي الذي لا يموت :

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} (58) سورة الفرقان

جاء هم المدد من الله تعالى الذي يقول :

{فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (66) سورة هود

وهنا تتجلى لنا أهمية الدعاء ولا سيما في الأوقات العصيبة

ففي سنن أبي داود عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم قَالَ « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ».

وهذا الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ففي البخاري عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثَنِى سِمَاكٌ الْحَنَفِىُّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ حَدَّثَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِىُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنِى أَبُو زُمَيْلٍ هُوَ سِمَاكٌ الْحَنَفِىُّ حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِىُّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِى مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِى الأَرْضِ »فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ)

أهمية التضرع الى الله تعالى وشدة الإستعانة به :

لقد رأينا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم ’ حتى أنه كان يشير الى أماكن متفرقة من الأرض ويقول :
هذا مصرع فلان ’ وهذا مصرع فلان ’ ولقد وقع الأمر كما أخبر عليه الصلاة و السلام ’ فما تزحزح أحد فى مقتله عن موضع يده كما ورد فى الحديث الصحيح .
ومع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة فى العريش الذى أقيم له يجأر إلى الله تعالى داعياً متضرعاً ’ باسطاً كفيه الى السماء يناشد الله عز وجل أن يؤتيه نصره الذى وعد حتى سقط عنه رداؤه وأشفق عليه أبو بكر الصديق ’ والتزمه قائلا : كفى يا رسول الله ’ إن الله منجز لك ما وعد ’ فلماذا كل هذه الضراعة ما دام أنه مطمئن الى درجة أنه قال :
لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ’ وأنه حدد مصارع بعضهم على الأرض ؟
والجواب :
أن اطمئنان النبى صلى الله عليه وسلم و إيمانه بالنصر ’ إنما كان تصديقاً منه للوعد الذى وعد الله به رسوله ’ ولا شك ان الله لا يخلف الميعاد ’ وربما أوحى إليه خبر النصر فى تلك الموقعة .
أما الاستغراق فى التضرع و الدعاء و بسط الكف إلى السماء ’ فتلك هى وظيفة العبودية التى خلق من أجلها الإنسان ’ وذلك هو ثمن النصر فى كل حال .
فما النصر- مهما توافرت الوسائل و الأسباب - إلا من عند الله تعالى و بتوفيقه ’ والله عز وجل لا يريد منا إلا أن نكون عبيداً له بالطبع و الاختيار ’ وما تقرب متقرب الى الله بصف أعظم من صفة العبودية’وما استأهل إنسان بواسطة من الوسائط استجابة دعاء من الله تعالى ’ كمن استأهل ذلك بواسطة ذل العبودية يتزىّ ويتبرقع به بين يدى الله تعالى .
وما كل أنواع المصائب و المحن المختلفة التى تهدد الإنسان فى هذه الحياة أو تنزل به ’ إلا أسباب وعوامل تنبهه لعبوديته ’ وتصرف آماله وفكره الى عظمة الله سبحانه وتعالى وباهر قدرته ’ كى يفر إليه سبحانه وتعالى ويبسط أمامه ضعفه و عبوديته ’ ويستجير به من كل فتنة وبلاء ’ وإذا استيقظ الإنسان فى حياته لهذه الحقيقة وانصبغ سلوكه بها ’ فقد وصل إلى الحد الذى أمر الله عباده جميعاً أن يقفوا عنده وينتهوا إليه .
فهذه العبودية التى اتخذت مظهرها الرائع فى طول دعاء النبى صلى الله عليه وسلم وشدة ضراعته و مناشدته لربه أن يؤتيه النصر ’ هى الثمن الذى استحق به ذلك التأييد الإلهي العظيم فى

تلك المعركة ’ وقد نصت على ذلك الآية الكريمة إذ تقول :(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) ’ ويقينا منه صلى الله عليه وسلم بهذه العبودية لله عز وجل ’ كان واثقاً بالنصر مطمئناً الى أن العاقبة للمسلمين ’ ثم قارن مظهر هذه العبودية التى تجلت فى موقفه صلى الله عليه وسلم ونتائج ذلك ’ مع مظهر ذلك الطغيان والتجبر الذى تجلى فى موقف أبى جهل حينما قال :
لن نرجع حتى نرد ماء بدر فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ’ وتسمع بنا العرب و بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا ’ ونتائج ذلك التجبر و الجبروت ... !
لقد كانت نتيجة العبودية و الخضوع لله تعالى عزة قعساء ومجداً شامخاً خضع لهما جبين الدنيا بأسرها ’ ولقد كانت نتيجة الطغيان و الجبروت الزائفين قبراً من الضيعة و الهوان أقيم لأربابهما حيث كانوا سيتساقون فيه الخمر وتعزف عليهم القيان ’ وتلك هى سنة اله فى الكون كلما تلاقت العبوديةلله خالصة مع جبروت و طغيان زائفين (فقه السيرة)

4- عبقريته العسكرية حيث قال لهم بعد الدعاء أبشر بالفرج
واختار عددا منهم وقادهم ثم حاول فكل الحصار وقاتل ومن معه بضراوة واستطاعوا بفضل الله تعالى فك الحصار عن إخوانهم وكذلك عن أنفسهم واستطاعوا الخروج من هيرات إلى قندهار في حوالي ثلاثمائة سيارة ونجاهم
الحي الذي لا يموت ووصلوا إلى قندهار بسلام حماهم من قال لموسى وهارون عليهما السلام
قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } (46) سورة طـه

5- وكذلك دفاعه المستميت ومن معه في قندهار وقد ضرب البيت الذي كان فيه بقذيفة كادت تودي به فكسرت أضلاعه وأصيب بجراح بالغة ثم عافاه الله تعالى منها ، ثم خرج سرا وجماعته إلى باكستان وهو يبكي على فراق الجهاد وأهله في أفغانستان ، هكذا فلتكن الرجال

****

التاسع عشر – فكره الحركي التنظيمي
لقد أصبح من الحركيين الكبار ومن ثم فقد أسس جماعة له في باكستان ووضع لها أميرا

ثم ذهب لإيران سرا ودخل إلى جماعة من أهل السنة وهناك أسس في طهران جماعة ثانية ووضع لها أميرا ولما كان يخطط للسفر إلى العراق ألقي القبض على جماعة من أتباعه وأودعوا السجون الرافضية لعدة أشهر ثم فرج الله عنهم واستطاع بحنكته وعبقريته إخراجهم سرا من إيران إلى شمال العراق حيث جماعة أنصار الإسلام الذين يتشابهون معه في الأفكار
وكل ذلك تم بفضل الله تعالى وكرمه وهو من العجائب حقا
وهنا نقول :

1-أنه لا بد من الجماعة

بعد أن سقطت الخلافة الإسلامية، وانفرط عقد الجماعة، دخل أهل السّنة في إشكاليّة ما تزال تعتبر معوّقاً لهم عن بلوغ أهدافهم أو التّقدّم نحوها، هذه الإشكاليّة هي معضلة الجماعة وشرعيّتها، وما هي قوّة الإلزام في انضمام المرء لها.
كان أهل السنّة يعتبرون أنّه بمجرّد وجودهم تحت راية إمام ممكّن، يدينون له بالطّاعة والولاء، ويمتثلون أمره هم داخلون تحت مسمّى الجماعة، فلم يكونوا بحاجة إلى بحث هذا الإشكال إلى مستوىً أوسع ممّا هي عليه، ولضيق هذا الفهم وعدم شموليّته، ولبعده عن الفهم الصّحيح عن مفهوم الجماعة كما هو معروض بالشّرع وكما فهمه السّلف، فإنّه بمجرّد سقوط هذا الرّابط العام (الخلافة) حار أهل السنّة في حلّ هذا الإشكال وما زالوا في حيرة إلى الآن.
في هذا الوقت الّذي يدرك فيه البشر جميعاً أنّ التّفرّق ضعف، وأنّ الذّاتيّة مهلكة وأنّ الدول لا تستطيع أن تحافظ على كيانها وتحصّل طموحاتها إلاّ بوجودها في داخل تحالفات وتجمّعات، والعالم الآن يرقب ميلاد تجمّع واسع ليحافظ على مكتسباته، هذا التّجمّع هو أوروبّا الموحّدة، ومع أنّ أسباب التّفرّق والتّنازع بين هذه الدّول هي من أعظم ما يوجد بين بشر من اختلافات، إلاّ أنّهم بطريقة سننيّة يحثّون الخطى لتجاوز هذه المعوّقات وتذليلها للوصول إلى لحظة الوحدة على شكلٍ ما وطريقة مقبولة لديهم.
أقول في هذا الوقت الذّي يدرك فيه كفّار البشر هذه السّنن وأهمّيتها يوجد بين المسلمين من يقول ببدعيّة التّنظيم، وأنّ الانضمام إلى جماعة مسلمة عاملة هو بدعة وضلالة، وأنّ سنّة السلف لم يكن فيها هذه الصّور الحادثة من التّجمّعات والتّنظيمات، وهؤلاء هم الأعلى صوتاً داخل المجتمعات الإسلاميّة، وهم كعادتهم يضربون بسيف السّلف، وبشعار ملك الحقيقة والدّليل.
ومع أنّ قضيّة الجماعة لم تكن مطروحة إلاّ بشكل هزيل قبل حدوث هذه الأفكار، أي على صورة أنّ الانضمام في جماعة هو أمر مستحبّ ومرغوب، وهو أمر موسميّ حسب الظّروف والحاجة، فإذا

ما تعارض أمر الجماعة والانضمام إليها مع بعض الأهواء أو الواجبات الذاتيّة انصرف عنها المسلم وهو لا يشعر بأدنى نوع من أنواع النّدم والشّعور بالذّنب، إلاّ أنّ وجود مثل هذه الفتاوى القائلة ببدعيّة التّنظيم والتّجمّع وعدم شرعيّته أحدثت هزّة داخل الفرد الذي يسيّره الدّليل، أو الذي يملكه الشّعار، حتى أنّ بعض التّيّارات الإسلاميّة بدأت تطرح نفسها على شكل جماعة وتنظيم، فيه بعض مقوّمات التّنظيم البسيطة والأبجديّة، إلاّ أنها تحت ضغط هذه الأفكار اضطرّت إلى تحليل نفسها، وتنازلت عن بعض المقوّمات حتّى صارت تطرح نفسها على شكل تيّار فكريّ ما، دوره فقط نشر الأفكار، أو بعض التّوجّهات دون حصول دعوة التّجمّع والتّنظيم، وهذه الصّورة، وهي صورة نشر الأفكار على شكل نثار لا رابط تنظيميّ يجمع بينه تلا قي قبولاً شديداً لدى المسلم المتخلّف فكراً وإرادة، فهو أمر يسقط عنه تبعيّة المساءلة أو التّكاليف، ثمّ هو لا يضطرّ في بعض المواقف أن يدافع عن الجماعة كمفهوم ولا عن الجماعة كوجود حقيقيّ ينتمي إليه، وهذه الصّورة السّلبية كذلك - وهو طرح الفكر كتيّار جامع لا تنظيم فيه - لا تعتبر شرعيّة في نظر تيّار التّخلّف، لأنّه هو صورة من صور التنظيم البدعيّة عندهم كذلك، ولذلك لم يحصل له الرّضا والموافقة، فهو معرّض للهجوم دوماً، وللتّبديع في كلّ وقت، ولعلّ البعض ما زال يرتكس في شهواته وأهوائه، فهو حين يطرح التّنظيم يطرحه كأمر منفّر غير مقبول.

ومن الشّعارات الّتي صارت مألوفة لدى المسلم السنّي المتخلّف، أنّ الإسلام لا حزبيّة فيه، أو أنّ الحزبيّة شرّ، ثمّ يبدأ يعدّد مضارّ الحزبيّة وشرورها، حتى يهيأ للقارئ أنّ الحزبيّة هي شرّ بذاتها ولا خير فيها، وأنّها لا تنشئ إلاّ البدعة والضّلال، وهم يظنّون أنّ التّنظيم والتّحزّب لا بدّ أن ينشئ هذه الأخطاء، ولا خروج منها إلاّ بأن يسلم الرّجل بنفسه، وينفرد بالعمل والتّفكير، مع أنّ هذه الأخطاء الّتي تنشأ في التّجمّعات، هي الّتي تكسب الإسلام وتصبغه صبغة العمليّة والموضوعيّة، فصلاة الجماعة مثلاً هي تجمّع وتحزّب، فيها أمير، وبينه وبين الأتباع عقد، وقوّة الإلزام فيه الوجوب والفريضة، حتّى أنّ التّابع يجب عليه أن يقلّد ويسير بسير القائد حتّى في ضعفه وخطئه (إلى حدٍّ بيّنه الشّارع) فلو أنّ الإمام صلى قاعداً لعجز أصابه، والمأموم قادر على أن يصلّي قائماً، وجب على المأموم أن يصلّي جالساً، ولو أنّ الإمام لم يجلس الجلسة الوسطى وتركها فعلى المأموم وجوباً أن يتابعه ولا يتخلّف عنه، وهي أمور لو فعلها المرء منفرداً لكان مقصّراً آثماً وربّما تبطل عمله، فلو صلّى المرء منفرداً وصلّى جالساً وهو قادر على القيام في صلاة الفريضة فإنّ صلاته عند جمع من الأئمّة حكمها البطلان

لتركه ركناً من أركانها، كذلك هو آثم لو ترك الجلوس الأوسط في الصّلاة الرّباعيّة والثّلاثيّة على الصّحيح، ولكنّ وجود المصلّي في جماعة غيّر الحكم، وأوجد فقهاً جديداً، ولم يقل أحد من العقلاء أنّه بسبب هذا الفقه الجديد الّذي أحدثته الجماعة في صلاتها يجعل صلاة الجماعة شرّاً وأنّ الصّلاة المنفردة هي الأفضل والأولى، بل بقيت صلاة الجماعة واجبة من واجبات الشّريعة، وشعيرة من شعائرها الظّاهرة.
وقد يجد المرء في نفسه قوّة وهو منفرد بدون جماعة وهو وهم وظنّ وتلبيس شيطانيّ لأنّ الشّيطان كالذّئب يأكل من الغنم القاصية.
ثمّ إنّ الجماعة تفرض على المرء صورة جديدة لحياته تجعله أسلمَ بضعفه مع الجماعة من قوّته وهو منفرد، ومسيره معها مثل صلاة الجماعة، فإنّ الرّجل حين يصلّي في جماعة، فإنّ على الإمام أن لا يطيل في الصّلاة، بل عليه أن يخفّف لأنّ وراءه المريض والكبير وذو الحاجة، فالجماعة تجمع الطّريق ففيها القويّ الجلد كذلك، فلو صلّى هذا الجلد منفرداً لأطال وأكثر في القيام والقنوت، ولكن حين يصلّي مع الجماعة فإنّه مقيّد بطول صلاة الإمام وقصرها، وهي فضيلة في حقّه لكونه في جماعة، لأنّها مقصد من مقاصد الشارع تهون بعض الأمور إلى جانبها، ولا ينظر إلى تلك الأمور التي يظنّها بعضهم فوائد للانفراد والذّاتية.
قبل أن ندخل في موضوع شرعيّة الجماعة والتّحزّب والتّنظيم فإننا مدعوّين لهاتين النّقطتين اللتين لا بدّ منهما:
- هناك فرق بين العصبيّة الحزبيّة وبين الحزبيّة والتّحزّب، وليس بينهما ترابط ولا علاقة، فقد يكون الرّجل متعصّباً لفكرة وهو غير متحزّب، ولا في حزب، وقد يكون الرّجل في حزب وتنظيم وهو غير متعصّب، بل إنّ الجماعة والتّنظيم إن قامت على سوق صحيحة تقتل في الرّجل أنانيّته وتعصّبه لأنّها تجبره دوماً على التنازل عن آرائه الّتي يراها ذهبيّة عظيمة مقابل ما استقرّ عليه رأي الجماعة، والانفراديّة والذّاتيّة تجذّر في المرء حبّ رأيه وتعصّبه له والمدافعة عنه بحقٍّ وباطل، وهذه العصبيّة المقيتة في التّجمّعات هي من الوراثة النّكدة للفرديّة الذّاتيّة، ولكنّ الكثير من النّاس يظنّ أنّ المرء حين يدافع عن فكرة مّا وينافح عنها، هو بسبب تبنّي حزبه لها، وهذا خطأ فالنّاس يدافعون عن أفكارهم هم، ولتبنّيهم تلك الأفكار، لأنّها أفكار حزبهم وتنظيمهم، لكنّ بعض النّاس مرتبتهم التّقليد، وبعضهم مرتبته الاتّباع، وبعضهم مرتبته الاجتهاد، وكلّ مرتبة من هذه المراتب هي مراتب ومنازل ودرجات كذلك، قد يكون الرّجل هو في نفسه مقلّداً فيدافع عن تلك الأفكار مدافعة المقلّد،

بغضّ النّظر عن كونه في حزب أو في غير حزب، فعلينا أن ننظر إلى النّاس في نقاشنا معهم باعتبارهم أفراداً مستقلّين لا باعتبارهم أفراداً في جماعات، فيعامل كلّ امرئ بحسبه ودرجته مع التّنبيه أنّ المقلّد قد نبّه أئمّتنا على عدم جدوى نقاشه ومناقشته، لكنّ حظّه من الأمر النّصيحة والتّذكير، لا المناظرة والمجادلة.

- زعم بعضهم أنّ التّحزّب تفرّق، وأنّ التّنظيمات وزّعت الأمّة أوزاعاً وفرقاً، وهذا خطأ بيّن، فإنّ التّفرّق في الأمّة حادث بسبب أنانيّتهم وفرديّتهم، والفرديّة هي الّتي صنعت في الأمّة أمراضها، وأفرزت شرورها.

ثمّ تعالوا لنرى، هل الأولى أن تتجمّع الأمّة في ألف تنظيم وحزب أولى، أو يكون كلّ امرئ على هواه وشخصه، حيث يكون فيها ألف ألف شخص، كلٌّ على رأسه وهواه، ثمّ هل زاد دعاة هدم التّنظيمات والأحزاب إلاّ أن أوجدوا في داخل أنفسهم أحزاباً جديدة، وتنظيمات متعدّدة؟ هذا أمر يراه كلّ أحد ويحسّ به كلّ إنسان.

تكلّمنا عن إشكاليّة الجماعة داخل صفّ أهل السنّة والجماعة في هذا العصر، وقلنا أنّ أهل السنّة الآن مضطربون في تحديد الحكم الشّرعيّ للتّحزّب، والانضواء تحت جماعة إسلامية، وقد بلغ اضطرابهم أنّ بعضهم يرى أنّ التنظيم بدعة، وآخرون يرون وجوبها، وبينهما من التيّارات من يرى أحكاماً تتراوح بين هذين الخطّين، وهو اضطراب غير مقبول، أفرز مفاسد وأمراضاً، ومنع أهل السّنة من تحقيق أهدافهم أو التّقدّم نحوها، والكلام عن الجماعة يحتاج إلى بحوث جادّة، واستنفار عام لأنّ موضوع الجماعة هو اللبنة الأولى لتحقيق الفكرة واقعاً ووجوداً، وبدون الجماعة لن تتحقّق أيّ فكرة وجوداً وبقاءً، ولعلّنا نتذكّر كلمة الإمام العظيم محمّد إدريس الشّافعيّ - رحمه الله - حين دخل مصر ورأى فقه الليث بن سعد، وعلمه، وروايته فقال كلمته المشهورة: "الليث بن سعد أفقه من مالك، إلاّ أنّ أصحابه لم يقوموا به" سير أعلام النّبلاء (8/156).

وهذه الكلمة تدلّ على عظم أمر الجماعة في بقاء الأمر ودوامه، وقبل ذلك نشره وبثّه، فبدون وجود جماعة وتحزّب وتنظيم لا يكون للأفكار وجود ولا بقاء.

إذا فهمنا هذا، ثمّ تفكّرنا قليلاً في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبحثنا برؤية جادّة عن بداية دعوته وظهور أمره، وإلى أيّ شيء دعا النّاس، لأبصرنا تمام البصر أنّ أوّل شيء دعا إليه الرّسول صلى الله عليه وسلم هو التّوحيد والجماعة.

فكان الرّجل إذا استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل في التّوحيد، قطع علائقه الأولى، وخرج خروجاً نفسيّا ووجوديّاً من أيّ ارتباط سابق، كرابطة العائلة أو القبيلة أو غيرهما وانضوى تحت الجماعة الجديدة، وارتبط بها ارتباطاً كليّاً، ولاءً، ونصرة، وامتثالا لأمرها، وإحساساً بها، وعطفاً عليها، وتمثّل هذا بقوله صلى الله عليه وسلم : ((المسلم للمسلم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسّهر)).
وعلى هذا فليس من غريب الأمر أن يكون شعار المسلم الصّادق هو الانضواء تحت شعار أهل السنّة والجماعة وقد كثر حديث الأوائل عن المفاهيم السنّية التصوّريّة في مسائل العقائد، فألّفوا فيها ما يسمّى بكتب العقائد، وذلك لتجلية مسائل السنّة التّصوّرية كما هي، والرّد على المخالفين من أصحاب العقائد الّتي زعمها الآخرون أنّها من دين الله تعالى كعقائد المعتزلة والجبريّة والرّافضة والخوارج وغيرهم، لكن بقي موضوع الجماعة على غير تفصيل في هذه الكتب لأنّ الجماعة الّتي كانت تحتاج إلى بيان في عصرهم هو موضوع الإمام الممكّن ومدى شرعيّة الخروج عليه ببغيٍ أو بفسق، وكذلك مدى شرعيّة إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وغيرها من المسائل الشّرعيّة الّتي تبحث في هذا المضمار، ومع أنّ فقه أهل السنّة لا يوجد فيه إجماع على هذه المسائل إلّا أنّه استقرّت بعض المعالم وخاصّة تلك الآراء الّتي تبنّاها وبثّها الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في حادثة فتنة خلق القرآن، لكن لو رجعنا إلى عبارات الأئمّة في تفسير معنى الجماعة لرأينا لها مفهومين اثنين، وليس مفهوماً واحداً وهما:
المفهوم الأوّل: المسلمون المنضوون تحت راية إمام ممكّن سواء كان هذا إمام عامّة أو غير ذلك، وهذا هو الذي كثر الحديث فيه في كتب السّياسة الشّرعيّة وكتب العقائد كقولهم: ولا نرى الخروج، أو: نقاتل تحت راية البرّ أو الفاجر، وغير ذلك من القواعد السّنية.
المفهوم الثّاني: أهل الحقّ، وهذا المفهوم دائرته أضيق من الدّائرة الأولى، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: "الجماعة ما وافق الشّرع وإن كنت وحدك".
وهذا المفهوم يتحدّث عن جماعة صغرى في داخل الجماعة الكبرى (الدّولة والخلافة)، وهي لا تندثر ولا تزول لا بوجود الجماعة الكبرى ولا بزوالها، بل بقاؤها الشّرعيّ القدريّ فريضة وضرورة، وانفراط أمرها هو المصيبة الكبرى، والطامّة العظمى، بل إنّ أمر الجماعة الكبرى (الدّولة) مرهون وجوده بوجود هذه الجماعة، فالجماعة الكبرى (الدّولة) قد تزول وتسقط، فمن الّذي يعيد بناءها ووجودها؟ إنّهم بلا شكّ جماعة الحقّ وأهل الهدى، وهذا كلّه داخل في قوله

تعالى: {ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}، قال القاضي عياض: فلو طرأ عليه كفرٌ-أي حاكم الدّولة- وتغيير للشّرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه، ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلّا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر. ا. هـ. شرح مسلم (12/229)
وأمّا إذا كانت الجماعة الصّغرى (أهل الحقّ) لا وجود لها فإنّ عودة الدّولة هو أمر لا يتصوّر وقوعه أبدا.
ثمّ إنّ الجماعة الكبرى (الدّولة) قد يصيبها بعض الوهن والضّعف، فتقصّر في تطبيق الأحكام، لبعض العوارض، وقد تفشو في الدّولة المنكرات، ويغلب عليها إرادة الفسّاق، أو الذين لا خلاق لهم، أو قد تتبنّى الدّولة بعض البدع الفاسدة، وتدعو النّاس إليها، فمن الّذين يقومون بمعالجة ذلك كلّه؟ بلا شكّ أنّها جماعة الحق (الصّغرى).
وهذا كلّه كما قلنا سابقاً داخل في الآية: {ولتكن منكم أمّة...} وهذه الآية عامّة لا تخصيص لها، سواء بوجود الإمام الممكّن أو بعدم وجوده.
وقد وجد في تاريخنا الإسلاميّ المجيد هذه الصّورة التي أحاول رسمها، وهي وجود الجماعة الصّغرى بكلّ ما يعني لفظ الجماعة من معنى، مثل معنى التّحزّب أو التّنظيم، مع وجود القوّة الرّابطة الجامعة لهذه الجماعة والحزب، فكانت بينهم العهود والبيعات على الحقّ، وكان منهم من يختار الأمير والقائد، وهكذا تقوم بكلّ ما التقت عليه وتبايعت لحفظه أو لإعادته.
ولعلّ أوضح صورة بيّنت أهمّية هذا التّكتّل والتّجمع النّاتج عن ضعف الدّولة واهتزازها هو ما حصل زمن الحروب الصّليبيّة، ففي زمنها كان أمر الخلافة صوريّا لا حقيقة له، وهي كما قيل: خليفة في قفص، بين وصيف وبغا، لا يقول إلا كما تقول الببغا، وتوزّعت الولايات الإسلاميّة مشتتة موزّعة، لا خيط يجمعها، بل صار بينها من التّناحر والتّخاصم ما وصل إلى درجة الحروب والاقتتال، وفي هذا الظّرف العصيب من التّفرّق والتّنازع، قدم على المسلمين وافد من وراء البحار، حمل معه شهوة القتل والاستئصال، ومعه أمل الاستيطان والبقاء، يحمل راية الصّليب، تغذّى بوري الكبد، وتعاليم الخرافة، وقد استطاعوا أن ينتصروا في المعركة الأولى، أو المعارك الأولى، واستقرّوا في كثير من المدن والجيوب الإسلاميّة، وكن على ذكر أنّه لم يكن للمسلمين ولاية عامّة، ولا تجمّع واحد، هذه الصّورة كيف عالجها أهل الإسلام؟.
أغلب من تكلم في هذه الفترة الزمنية عالجها من جهة بعض الأشخاص الذين أحدثوا أثرا تجميعيا للجهود المتفرقة السابقة

لأعمالهم، فنرى كاتباً يعالجها من جهة القائد نور الدين زنكي أو من جهة القائد صلاح الدين الأيوبي، وهكذا، فيظن القارئ على غير دراية أن هذا الجزء من التاريخ الإسلامي في معالجة الصليبيين تمّ عن طريق الدولة الجامعة لأمر المسلمين وهذا خطأ بيّن، فالقارئ المتمعن لتلك الفترة الزمنية يرى أن المسلمين عالجوا أمر الصليبيين عن طريق تجمعات صغيرة، وتنظيمات متوزّعة متفرّقة، فهذه قلعة حكمتها عائلة من العائلات، جمعت تحت إمرتها طائفة من النّاس، وهذه قرية ارتضوا حكم قائد عالم منهم وجاهدوا معه، وهذا عالم انتظم معه جماعة من تلاميذه وارتضوا إمامته وهكذا، ولعلّ خير كتاب يشرح لنا هذه الأوضاع على حقيقتها هو كتاب "الاعتبار" للأمير "أسامة بن منقذ"، وأسامة هذا من قلعة شيراز، وعائلته آل منقذ هم حكّام هذه القلعة، ولهم دور مشهود في الحروب الصّليبيّة، وأسامة شاهد عيان لحروب المسلمين ضدّ الصّليبيين.

وقبل أن أنتقل إلى نقطة أخرى، فمن المهمّ التّنبيه على أن دور القادة الكبار أمثال آل زنكي والأيوبيين هو تجميع هذه التّكتّلات والتنظيمات في تجمّع واحد وتنظيم واحد، ومع ذلك فقد بقي الدّور الأكبر لتلك التّكتّلات الصّغيرة القائمة على الحقّ في معالجة الحروب الصّليبيّة.(مقالات بين منهجين)

2- ما هي أهم صفات هذه الجماعة ؟ :

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (54) سورة المائدة

إن اختيار الله للعصبة المؤمنة , لتكون أداة القدر الإلهي في إقرار دين الله في الأرض , وتمكين سلطانه في حياة البشر , وتحكيم منهجه في أوضاعهم وأنظمتهم , وتنفيذ شريعته في أقضيتهم وأحوالهم , وتحقيق الصلاح والخير والطهارة والنماء في الأرض بذلك المنهج وبهذه الشريعة . . إن هذا الاختيار للنهوض بهذا الأمر هو مجرد فضل الله ومنته . فمن شاء أن يرفض هذا الفضل وأن يحرم نفسه هذه المنة . . فهو وذاك , والله غنى عنه - وعن العالمين . والله يختار من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم .

والصورة التي يرسمها للعصبة المختارة هنا , صورة واضحة السمات قوية الملامح , وضيئة جذابة حبيبة للقلوب:

(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) . .

فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم . . الحب . . هذا الروح الساري اللطيف الرفاف المشرق الرائق البشوش . . هو الذي يربط القوم بربهم الودود .
وحب الله لعبد من عبيده , أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله - سبحانه - بصفاته كما وصف نفسه , وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها . . أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي . . الذي يعرف من هو الله . . من هو صانع هذا الكون الهائل , وصانع الإنسان الذي يلخص الكون وهو جرم صغير ! من هو في عظمته . ومن هو في قدرته . ومن هو في تفرده . ومن هو في ملكوته . . من هو ومن هذا العبد الذي يتفضل الله عليه منه بالحب . . والعبد من صنع يديه - سبحانه - وهو الجليل العظيم , الحي الدائم , الأزلى الأبدي , الأول والآخر والظاهر والباطن .
وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها . . وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا هائلا عظيما , وفضلا غامرا جزيلا , فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد , الذي الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شبيه . . هو إنعام هائل عظيم . . وفضل غامر جزيل .
وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرا فوق التعبير أن يصفه , فإن حب العبد لربه أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره إلا في فلتات قليلة من كلام المحبين . . وهذا هو الباب الذي تفوق فيه الواصلون من رجال التصوف الصادقين - وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل - ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد , وهي تقول:
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب وهذا الحب من الجليل للعبد من العبيد , والحب من العبد للمنعم المتفضل , يشيع في هذا الوجود ويسري في هذا الكون العريض , وينطبع في كل حي وفي كل شيء , فإذا هو جو وظل يغمران هذا الوجود , ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلا في ذلك العبد المحب المحبوب . .
والتصور الإسلامي يربط بين المؤمن وربه بهذا الرباط العجيب الحبيب . . وليست مرة واحدة ولا فلتة عابرة . . إنما هو أصل وحقيقة وعنصر في هذا التصور أصيل:(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا) . . (إن ربي رحيم ودود) . .(وهو

الغفور الودود) . . (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) . . (والذين آمنوا أشد حبا لله) . . (قل:إن كنم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . . وغيرها كثير . .
وعجبا لقوم يمرون على هذا كله , ليقولوا:إن التصور الإسلامي تصور جاف عنيف , يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر , وعذاب وعقاب , وجفوة وانقطاع . .لا كالتصور الذي يجعل المسيح ابن الله وأقنوم الإله , فيربط بين الله والناس , في هذا الازدواج !
إن نصاعة التصور الإسلامي في الفصل بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية لا تجفف ذلك الندى الحبيب ,بين الله والعبيد , فهي علاقة الرحمة كما أنها علاقة العدل , وهي علاقة الود كما أنها علاقة التجريد , وهي علاقة الحب كما أنها علاقة التنزية . . إنه التصور الكامل الشامل لكل حاجات الكينونة البشرية في علاقتها برب العالمين .
وهنا - في صفة العصبة المؤمنة المختارة لهذا الدين - يرد ذلك النص العجيب: (يحبهم ويحبونه) ويطلق شحنته كلها في هذا الجو , الذي يحتاج إليه القلب المؤمن , وهو يضطلع بهذا العبء الشاق . شاعرا أنه الاختيار والتفضل والقربى من المنعم الجليل . .
ثم يمضي السياق يعرض بقية السمات:
(أذلة على المؤمنين) . .
وهي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين . . فالمؤمن ذلول للمؤمن . . غير عصي عليه ولا صعب . هين لين . . ميسر مستجيب . . سمح ودود . . وهذه هي الذلة للمؤمنين .
وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة . إنما هي الأخوة , ترفع الحواجز , وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس , فلا يبقى فيها ما يستعصي وما يحتجز دون الآخرين .
إن حساسية الفرد بذاته متحوصلة متحيزة هي التي تجعله شموسا عصيا شحيحا على أخيه . فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه , فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصي به . . وماذا يبقى له في نفسه دونهم , وقد اجتمعوا في الله إخوانا ; يحبهم ويحبونه , ويشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونه ?!
(أعزة على الكافرين) . .
فيهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء . . ولهذه الخصائص هنا موضع . . إنها ليست العزة للذات , ولا الاستعلاء للنفس . إنما هي العزة للعقيدة , والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين . إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير , وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم

ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين ! ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى ; وبغلبة قوة الله على تلك القوى ; وبغلبة حزب الله على أحزاب الجاهلية . . فهم الأعلون حتى وهم ينهزمون في بعض المعارك , في أثناء الطريق الطويل . .
(يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) . .
فالجهاد في سبيل الله , لإقرار منهج الله في الأرض , وإعلان سلطانه على البشر , وتحكيم شريعته في الحياة , لتحقيق الخير والصلاح والنماء للناس . . هي صفة العصبة المؤمنة التي يختارها الله ليصنع بها في الأرض ما يريد . .
وهم يجاهدون في سبيل الله لا في سبيل أنفسهم ; ولا في سبيل قومهم ; ولا في سبيل وطنهم ; ولا في سبيل جنسهم . . في سبيل الله . لتحقيق منهج الله , وتقرير سلطانه , وتنفيذ شريعته , وتحقيق الخير للبشر عامة عن هذا الطريق . . وليس لهم في هذا الأمر شيء , وليس لأنفسهم من هذا حظ , إنما هو لله وفي سبيل الله بلا شريك . .
وهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . . وفيم الخوف من لوم الناس , وهم قد ضمنوا حب رب الناس ? وفيم الوقوف عند مألوف الناس , وعرف الجيل , ومتعارف الجاهلية , وهم يتبعون سنة الله , ويعرضون منهج الله للحياة ? إنما يخشى لوم الناس من يستمد مقاييسه وأحكامه من أهواء الناس ; ومن يستمد عونه ومدده من عندالناس ; أما من يرجع إلى موازين الله ومقاييسه وقيمه ليجعلها تسيطر على أهواء الناسوشهواتهم وقيمهم ; وأما من يستمد قوته وعزته من قوة الله وعزته , فما يبالي ما يقول الناس وما يفعلون . كائنا هؤلاء الناس ما كانوا ; وكائنا واقع هؤلاء الناس ما كان , وكائنة "حضارة " هؤلاء الناس وعلمهم وثقافتهم ما تكون !
إننا نحسب حسابا لما يقول الناس ; ولما يفعل الناس ; ولما يملك الناس ; ولما يصطلح عليه الناس ; ولما يتخذه الناس في واقع حياتهم من قيم واعتبارات وموازين . . لأننا نغفل أو نسهو عن الأصل الذي يجب أن نرجع إليه في الوزن والقياس والتقويم . . إنه منهج الله وشريعته وحكمه . . فهو وحده الحق وكل ما خالفة فهو باطل ; ولو كان عرف ملايين الملايين , ولو أقرته الأجيال في عشرات القرون !
إنه ليست قيمة أي وضع , أو أي عرف , أو أي تقليد , أو أية قيمة . . أنه موجود ; وأنه واقع ; وأن ملايين البشر يعتنقونه , ويعيشون به , ويتخذونه قاعدة حياتهم . . فهذا ميزان لا يعترف به التصور الإسلامي . إنما قيمة أي وضع , وأي عرف , وأي تقليد , وأية قيمة ,

أن يكون لها أصل في منهج الله , الذي منه - وحده - تستمد القيم والموازين . .
ومن هنا تجاهد العصبة المؤمنة في سبيل الله ولا تخاف لومة لائم . . فهذه سمة المؤمنين المختارين . .
ثم إن ذلك الاختيار من الله , وذلك الحب المتبادل بينه وبين المختارين , وتلك السمات التي يجعلها طابعهم وعنوانهم , وهذا الاطمئنان إلى الله في نفوسهم , والسير على هداه في جهادهم . . ذلك كله من فضل الله .
(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله واسع عليم) .
يعطي عن سعة , ويعطي عن علم . . وما أوسع هذا العطاء ; الذي يختار الله له من يشاء عن علم وعن تقدير .
ويحدد الله للذين آمنوا جهة الولاء الوحيدة التي تتفق مع صفة الإيمان ; ويبين لهم من يتولون:
(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا , الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) . .
هكذا على وجه القصر الذي لا يدع مجالا للتمحل أو التأول ; ولا يترك فرصة لتمييع الحركة الإسلامية أو تمييع التصور . .
ولم يكن بد أن يكون الأمر كذلك ! لأن المسألة في صميمها - كما قلنا - هي مسألة العقيدة . ومسألة الحركة بهذه العقيدة . وليكون الولاء لله خالصا , والثقة به مطلقة , وليكون الإسلام هو "الدين" . وليكون الأمر أمر مفاصلة بين الصف المسلم وسائر الصفوف التي لا تتخذ الإسلام دينا , ولا تجعل الإسلام منهجا للحياة . ولتكون للحركة الإسلامية جديتها ونظامها ; فلا يكون الولاء فيها لغير قيادة واحدة ورأية واحدة . ولا يكون التناصر إلا بين العصبة المؤمنة ; لأنه تناصر في المنهج المستمد من العقيدة . .
ولكن حتى لا يكون الإسلام مجرد عنوان , أو مجرد راية وشعار , أو مجرد كلمة تقال باللسان , أو مجرد نسب ينتقل بالوراثة , أو مجرد وصف يلحق القاطنين في مكان ! فإن السياق يذكر بعض السمات الرئيسية للذين آمنوا:
(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة , وهم راكعون) . .
فمن صفتهم إقامة الصلاة لا مجرد أداء الصلاة - وإقامة الصلاة تعني أداءها أداء كاملا , تنشأ عنه آثارها التي يقررها قوله تعالى: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . . والذي لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر , لم يقم الصلاة ; فلو أقامها لنهته كما يقول الله !
ومن صفتهم إيتاء الزكاة . . أي أداء حق المال طاعة لله وقربى عن رضى نفس ورغبة . فليست الزكاة مجرد ضريبة مالية , إنما هي

كذلك عبادة . أو هي عبادة مالية . وهذه هي ميزة المنهج الإسلامي . الذي يحقق أهدافا شتى بالفريضة الواحدة . وليس كذلك الأنظمة الأرضية التي تحقق هدفا وتفرط في أهداف . .
إنه لا يغني في إصلاح حال المجتمع أن يأخذ المجتمع المال ضريبة [مدنية !] أو أن يأخذ المال من الأغنياء للفقراء باسم الدولة , أو باسم الشعب , أو باسم جهة أرضية ما . . فهي في صورتها هذه قد تحقق هدفا واحدا ; وهو إيصال المال للمحتاجين . .
فأما الزكاة . . فتعني اسمها ومدلولها . . إنها قبل كل شيء طهارة ونماء . . إنها زكاة للضمير بكونها عبادة لله . وبالشعور الطيب المصاحب لها تجاه الإخوان الفقراء , بما أنها عبادة لله يرجو عليها فاعلها حسن الجزاء في الآخرة , كما يرجو منها نماء المال في الحياة الدنيا بالبركة وبالنظام الاقتصادي المبارك . ثم بالشعور الطيب في نفوس الفقراء الآخذين أنفسهم ; إذ يشعرون أنها فضل الله عليهم إذ قررها لهم في أموال الأغنياء ; ولا يشعرون معها بالحقد والتشفي من إخوانهم الأغنياء [مع تذكر أن الأغنياء في النظام الإسلامي لا يكسبون إلا من حلال ولا يجورون على حق أحد وهم يجمعون نصيبهم من المال] . . وفي النهاية تحقق هدف الضريبة المالية في هذا الجو الراضي الخير الطيب . . جو الزكاة والطهارة والنماء . .
وأداء الزكاة سمة من سمات الذين آمنوا تقرر أنهم يتبعون شريعة الله في شئون الحياة ; فهي إقرار منهم بسلطان الله في أمرهم كله . . وهذا هو الإسلام . .
(وهم راكعون) . .
ذلك شأنهم , كأنه الحالة الأصلية لهم . . ومن ثم لم يقف عند قوله: (يقيمون الصلاة) . . فهذه السمة الجديدة أعم وأشمل . إذ أنها ترسمهم للخاطر كأن هذا هو شأنهم الدائم . فأبرز سمة لهم هي هذه السمة , وبها يعرفون . .
وما أعمق إيحاءات التعبيرات القرآنية في مثل هذه المناسبات ! والله يعد الذين آمنوا - في مقابل الثقة به , والالتجاء إليه , والولاء له وحده - ولرسوله وللمؤمنين بالتبعية . . ومقابل المفاصلة الكاملة بينهم وبين جميع الصفوف إلا الصف الذي يتمحض لله . . يعدهم النصر والغلبة:
(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) . .
وقد جاء هذا الوعد بالغلب بعد بيان قاعدة الإيمان في ذاتها . . وأنها هي الولاء لله ورسوله وللمؤمنين ; وبعد التحذير من الولاء لليهود

والنصارى واعتباره خروجا من الصف المسلم إلى صف اليهود والنصارى , وارتدادا عن الدين . .
وهنا لفتة قرآنية مطردة . . فالله - سبحانه - يريد من المسلم أن يسلم لمجرد أن الإسلام خير لا لأنه سيغلب , أو سيمكن له في الأرض ; فهذه ثمرات تأتي في حينها ; وتأتي لتحقيق قدر الله في التمكين لهذا الدين لا لتكون هي بذاتها الإغراء على الدخول في هذا الدين . . والغلب للمسلمين لا شيء منه لهم لا شيء لذواتهم وأشخاصهم . وإنما هو قدر الله يجريه على أيديهم , ويرزقهم إياه لحساب عقيدتهم لا لحسابهم ! فيكون لهم ثواب الجهد فيه ; وثواب النتائج التي تترتب عليه من التمكين لدين الله في الأرض , وصلاح الأرض بهذا التمكين . .
كذلك قد يعد الله المسلمين الغلب لتثبيت قلوبهم ; وإطلاقها من عوائق الواقع الحاضر أمامهم - وهي عوائق ساحقة في أحيان كثيرة - فإذا استيقنوا العاقبة قويت قلوبهم على اجتياز المحنة ; وتخطي العقبة , والطمع في أن يتحقق على أيديهم وعد الله للأمة المسلمة , فيكون لهم ثواب الجهاد , وثواب التمكين لدين الله , وثواب النتائج المترتبة على هذا التمكين .
كذلك يشي ورود هذا النص في هذا المجال , بحالة الجماعة المسلمة يومذاك , وحاجتها إلى هذه البشريات . بذكر هذه القاعدة من غلبة حزب الله . . مما يرجح ما ذهبنا إليه من تاريخ نزول هذا القطاع من السورة .
ثم تخلص لنا هذه القاعدة ; التي لا تتعلق بزمان ولا مكان . .
فنطمئن إليها بوصفها سنة من سنن الله التي لا تتخلف . وإن خسرت العصبة المؤمنة بعض المعارك والمواقف . فالسنة التي لا تنقض هي أن حزب الله هم الغالبون . .
ووعد الله القاطع أصدق من ظواهر الأمور في بعض مراحل الطريق !
وأن الولاء لله ورسوله والذين آمنوا هو الطريق المؤدي لتحقق وعد الله في نهاية الطريق ! (الظلال)
وروى الإمام النّسائي وغيره بسند صحيح عن سلمة بن نفيل الكندي (من قبيلة كندة) رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: يا رسول الله، أذال النّاس الخيل، ووضعوا السّلاح وقالوا لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه، وقال: ((كذبوا، الآن جاء دور القتال، ولا يزال من أمّتي أمّة يقاتلون على الحقّ، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، وبرزقهم منهم حتّى تقوم السّاعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم

القيامة، وإنّه يوحى إليّ أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفنادا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين بالشّام)).
هذا الحديث جليل القدر عظيم الفائدة، فهو يدعو المسلم للخروج من هوى النّفس، وتضارب الآراء، وخاصّة في هذا الزّمان الذي خاض فيه النّاس بآرائهم، ورموا أفكارهم أمام أتباعهم ليقتاتوا منها، ظانّين أنّ ما يقولونه صواباً وحقّا، وظنّ من لا خبرة له بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يطّلع عليها حقّ الإطّلاع والمعرفة أن المرء في هذا الزّمان بحاجة إلى جهد عقليّ شاقّ لاكتشاف الحقّ من بين المطروح على السّاحة الإسلامية من أفكار وأحزاب وتجمّعات، فهو متردّد ومتحيّر، وخاصّة أنّ العارضين أفكارهم يملكون سحر البيان، ويتفنّنون في تزيين أفكارهم ومناهجهم، ولكن هل فكّر هذا المتحيّر والمتردّد أن يعود إلى السنّة النبويّة الصّحيحة فيأخذ منها زاده؟ أو ليعرف منها الحقّ والهدى؟ هذا هو الواجب الشّرعيّ.
وهذا الذي نقوله ليس قولاً من الأقوال أو هو يحتمل قول المخالف، لا والله بل غيره هوىً وظنّ.
ونحن قد تكلّمنا عن وجوب دخول المرء في جماعة وحزب، وهذه ضرورة شرعيّة وعقليّة، وقد يسأل المرء الآن ما هي صفات الجماعة والحزب الّذي يملك الحقّ، وهو الذي يجب على المسلم أن ينتسب إليه ويدخل تحت لوائه؟:
الجماعة المطلوبة والحزب الشّرعيّ لا بدّ أن يكون حاملاً لمواصفات الطّائفة المنصورة الّتي مدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون جماعة حقّ وحزب هدى، وكلّ ما اقتربت الجماعة من هذه الصّفات كان وجوب طاعتها ألزم وأوجب، وكلّما كان الانتماء إليها أصوب وأهدى، والطّائفة المنصورة التي مدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث لم يتركها صلى الله عليه وسلم هملاً من غير بيان وشرح، بل كشفها بأشدّ بيان وأفضل تفصيل، فما هي صفات الطّائفة المنصورة من نصّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟.
هذا الحديث المتقدّم يكشف لك صفتين من صفات الطّائفة المنصورة، ويجلّيهما لك أجلى بيان وأوضحه.
(1) الصّفة الأولى: لو أمعنت النّظر في الحديث المتقدّم - حديث سلمة رضي الله عنه - لرأيت سبب ورود الحديث هو أنّ جماعة أعلنوا توقّف الجهاد، فأذالوا الخيل (أي تركوها من غير عناية ولا تدريب) ووضعوا السّلاح وقالوا لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها.
فسبب ورود الحديث هو إعلان توقّف القتال، وجاء الرّد حاسماً وقاطعاً لا يحتمل تأويلاً، فقد ردّ عليهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم بقوله: ((كذبوا، الآن جاء دور القتال))، إذ القتال لم يتوقّف، وليس هناك سبب موجب لتوقّفه، أو إعلان انتهائه، وكيف ينتهي، وفي الأرض أقوام زاغت قلوبهم؟.
ثمّ مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم أقواماً أوفياء للقتال، ولم يذيلوا الخيل، ولم يضعوا السّلاح بل هم مقاتلون دوماً ومحاربون في كلّ حين: ((ولا يزال من أمّتي أمّة يقاتلون على الحقّ)).
هكذا وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطّائفة المنصورة، وهكذا بيّن لأمّته، وإذا جاء نهر الله ذهب نهر معقل، فإذا جاء نصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا بقي لغيره؟ وماذا عساه (أي غيره) أن يقول؟ إنّه لن يقول إلاّ باطلاً، كائناً من كان هذا الغير، سواءً كان هذا الغير ممّن ظنّ أنّ تجارة الورق بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخله في الطّائفة المنصورة، أو كان هذا الغير يرى أن جعجعات المنبر تشفع له فتجعله من جماعة الحقّ والهدى.
نعم إنّ الطائفة المنصورة سبب ورود حديثها هو إعلان توقّف القتال، أو قول بعضهم في كلّ زمان وفي كلّ آن (إلاّ ما يأتي من زمن عيسى عليه السّلام مع يأجوج ومأجوج) أنّ هذا الزّمن لا قتال فيه ولا جهاد، أو كقول بعضهم هذا الزّمن: كفّوا أيديكم وأقيموا الصّلاة، أو كقول بعضهم: كونوا أحلاس بيوتكم. وكلّها كلمات حقّ تنزل على معان باطلة، ومعان فاسدة.
إنّ أمر القتال هو أمر إلهيّ ليس لأحد أن يبطله، وإن رام أحد أن يزوره أو يماحكه فيكفيه ابتداءً أنّه لم يتشرّف بموقع له في الطّائفة المنصورة، بل هو مخذول ومن طائفة الخذلان، وسيبقى شاعراً أبد الدّهر أنّه مخذول ومهزوم، وأنّ الباطل بغطرسته أقوى من الحقّ والإسلام الذي يملكه.
إنّ طائفة الحقّ والنّصر هي طائفة تستشعر العزّة مع ضعفها، وتمتلك غنى القلب مع فقرها، قد تكون رثّة الثّياب، قليلة المتاع، فقيرة الحال، لكنّها وهي ترتفق أسلحتها، وتناجي خيولها هي منصورة بفضل الله وقوّته، وهذه الطّائفة لا تزال) ولن تزول، ولا تتوقف، ولم تتوقّف، إذ أنّ المرء لا يتوقّف عن القتال وعن مناجاة الحرب وسجالها إلاّ من سلبت منه رجولته، بعد أن سلبت منه معان العزّة بهذا الدين العظيم، والطّائفة المنصورة ليست كذلك بإذن الله تعالى.
هذه هي الصّفة الأولى للطّائفة المنصورة، رضي من رضي وسخط من سخط، ومن سخط فليسخط على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحقّ لن يضيره أن يعرض عنه أكثر النّاس.

(2) الصّفة الثّانية: في الحديث المتقدّم بيّن لنا الرّحيم بأمّته الشّفيق علينا موارد الاقتصاد والطّعام والغذاء والمال للطّائفة المنصورة: يقول صلى الله عليه وسلم : ((ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم السّاعة، وحتّى تقوم السّاعة، وحتّى يأتي وعد الله)).
إنّ ممّا يؤسف له أنّ عامّة التّنظيمات والجماعات الإسلامية، حتى الجهاديّة منها عندما يفكّرون بالمورد المالي، فإنّهم لا يخرجون عن تفكير أهل الباطل، أو أصحاب الدّنيا، فهم إمّا أن يبحثوا عن متبرّع محسن، أو يفرّغوا بعض أفرادهم للتّجارة والكسب، وهم بهذا جعلوا لأعدائهم عليهم سبيلاً، لأنّ هذه المنافذ لا يتقنها المسلم وخاصّة المجاهد، وعلى الخصوص في هذا الزّمان، حيث سيطر الكفر على هذه المنافذ، واحتاط منها حتّى لا يؤتى من قبلها، قد يستكثر علينا البعض طرح مثل هذا الموضوع، مع أنّه جدّ مهمٍّ وحيويّ، فالمال عصب الحياة، وقوامة الحياة عليه، قال تعالى: {ولا تؤتوا السّفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً}، فقد جعل الله المال للبشر قواماً لهم، إذ بدونه لا قوام لهم، وليس من المستغرب أبداً أن يرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر، وفي هذا الموطن الخطير، إذ أنّه يقول للطّائفة المنصورة: إيّاكم ثمّ إيّاكم أن تخجلوا من الحقّ الّذي تعلمونه، وإيّاكم ثمّ إيّاكم أن تضعفوا أمام إرجاف النّاس عليكم: سيسمّيكم النّاس لصوصاً، كما سيسمّون جهادكم قتلاً وتخريباً، فلو أطعتموهم سيكون للكافرين عليكم قدرة وسبيلاً.
وأنا أستغرب من أولئك الذين يدعون النّاس للجهاد والقتال في سبيل الله، ثمّ يطلبون منهم أن يكتسبوا عيشهم من الوظيفة (وهي عبوديّة ورق القرن العشرين كما سمّاها العقّاد)، أو يطلبون منهم أن يكتسبوا عيشهم بالتّجارة الّتي ستأخذ جلّ وعامّة وقتهم. على المسلم أن لا يخجل من الحقّ الذي يملكه أمام ضغط الباطل وتشويهه للحقائق. أيها الاخوة المجاهدون: ظنّ بعض الجهلة أنّ قانون الغنيمة والفيء قد تغيّر هذه الأيّام، وهؤلاء كذّابون جهلة، فقانون الغنيمة - حيث يسلب العدوّ من عدوّه - مازال قائماً وإلى الآن، وإلاّ فخبّرونا عن هذا الشّيء الذي تسمعونه في الخليج؟ ماذا تسمّونه؟ هل هو كما يسمّونه أجرة ومقايضة؟، حيث يدفع للجنديّ الغربيّ أكثر من ثلاثين دولاراً في السّاعة الواحدة، أجرة بدون طعامه وشرابه، وتنعّمه وفراشه، وبدون ثمن الآلات والمعدّات، وبدون الوقود وما شابه ذلك؟ هذا الشّيء الذي ترونه في البوسنة والهرسك ماذا يسمّى؟.

خبّرونا إن كان بقي في وجوه أصحاب التّقوى الباردة بقيّة حياء أهذا كلّه مشروع، ولكنّ ما يفعله المجاهد في الجزائر جريمة وشنار؟.
ثمّ عرّفونا يا أصحاب المعرفة أي طريق يعيش المسلم اليوم ليكتسب رزقه ولا يصيب مالاً حراماً؟ وهل ما زال أطيب الطّعام وأنقى المال هو مال الغنيمة والفيء؟.
إنّ من العار أن نخجل من حقّنا، وغيرنا في باطله يتغطرس ويتبجّح، وليعلم الجميع أنّ من صفات الطائفة المنصورة أنّها تأكل من مال من أزاغهم الله تعالى، شاء من شاء أو أبى من أبى والله الموفّق. (مقالات بين منهجين)

****

العشرون - الزرقاوي في العراق وهنا لا بد من التفصيل في أمور كثيرة منها :

1- لماذا اختار العراق ؟

لقد اختار العراق لأسباب عدة منها أنها كانت في الشمال آمنة لأن الحكومة لم يكن لها سيطرة عليهم فكان هناك حكم محلي واختارها لأنه كان يرى بثاقب بصره أن العدو يركز عليها بعد أفغانستان والدلائل كلها تشير إلى ذلك

2- ماذا فعل الزرقاوي قبل اجتياح العراق ؟

كان يدرب أتباعه في معسكرات أنصار الإسلام وقسمهم لمجموعتين ووضع لكل مجموعة قائدا لها وكان يطوف العراق من البصرة للموصل سرا ويكون في كل مكان جماعة له ولا سيما في العاصمة العراقية بغداد ولم يكن هناك أية صلة بينه وبين الحكومة العراقية ولو علمت به لضحت به كما ضحت بغيره وكان يرى أن الحكومة العراقية مرتدة كغيرها من الحكومات العربية ومن ثم يستحيل اللقاء بين منهجين متناقضين تناقضا تاما ولو كان أمامهما عدو مشترك

3- بعد الاجتياح الأمريكي البغيض على العراق فقد قصف الأمريكان معسكرات أنصار الإسلام ومن ثم فقد استشهد بعض من جماعة الزرقاوي ولا سيما القائد المغوار الشهيد ((عبد الهادي دغلس)) فوضع قائدا جديدا بدلا منه مباشرة
ولم يهتز التنظيم بتاتا لأن الجميع يريد الشهادة في سبيل الله

4- بعد أن صار الاحتلال واقعا وسقطت الحكومة العراقية وتركت كل شيء استفاد الزرقاوي من الأسلحة التي تركت وهي كثيرة وهنا بدأت عمليات الزرقاوي ضد المحتلين الغزاة وضد المرتدين والعملاء

5- لقد كان للزرقاوي في قتال المحتلين أساليب عديدة ومنوعة حيث اكتسب خبرات عسكرية عالية في أفغانستان والذي نريد الوصول إليه هو الكلام بعض العمليات التي أخذت ضجة كبيرة من حيث الناحية الإعلامية :

* أولا - عمليات نحر العلوج الكفار والمتعاونين مع المحتل وقد أثارت ضجة إعلامية هائلة في العالم تعادل ضجة ضرب البرجين في نيويورك فقامت الدنيا وما قعدت على الزرقاوي وجماعته وحاول فقهاء السلاطين إنكارها وفقهاء الفضائيات كالقرضاوي وغيره ووصفوها بالعمليات الوحشية والبربرية التي لا يجوزها شرع الإسلام

فهل كانوا صادقين في دعواهم هذه ؟؟

أقول :

أما استنكار الغرب لها بشكل عام فهذا أمر طبيعي فنحن في عداء تام معهم فماذا تتوقع من عدوك أن يصفك ؟؟

لقد نسي أولئك البرابرة عشرات الآلاف من البشر الذين دمرت عليهم بيوتهم

وتدمير العراق من أقصاه إلى أقصاه ونهب خيراته واستباحة حرماته والتنكيل بأهله وغير ذلك من جرائم لا تعد ولا تحصى ثم أخذوا ينظرون إلى قتل ذلك العلج الكافر

كما قال الشاعر :

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

هم مباح لهم أن يفعلوا بنا ما يشاءون ونحن ممنوع علينا حتى الدفاع عن أنفسنا فإذا دافعنا عن أنفسنا فنحن إرهابيون ومتوحشون ، ومن ثم فلا يجوز أن نقيم لقول هؤلاء وزن ولا اعتبار

وأما ما فعله فقهاء السلاطين إنكارها وفقهاء الفضائيات كالقرضاوي وغيره من وصفها بالوحشية والبربرية التي لا يجوزها شرع الإسلام فهذا كذب مفضوح على شرع الإسلام

إلا إذا كانوا يتحدثون عن إسلام آخر غير الذي أنزله الله تعالى

فما قام به هؤلاء المجاهدون لا يتعدى حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في أمثالهم من المحاربين فالعدو المباشر وكل من

يتعاون معه أو يؤزره أو ينصره أو يؤيده فهو عدو لنا ومحارب فيجوز لنا قتله
وطريقة القتل لم تتعد الطرق الشرعية له وقد رددنا عليهم ورد غيرنا عليهم بحمد الله تعالى وبينا أنهم كاذبون في دعواهم وإنما ينصرون المجرمين ويوالونهم
بل وهذه العمليات من فضل الله تعالى آتت أكلها فكثير من الناس والجنود فروا من العراق وتركوها حفاظا على أرواحهم لأنها أرهبتهم فعلا
وكذلك من يفكر بالتعاون مع المحتل بأي نوع من التعاون أن مصيره الموت متى ما أدركه جنود الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

رد على فتاوي هيئة كبار العملاء

رغم أنوفكم سنحرق الأمريكان واليهود وونكل بجثثهم

قال تعالى في أهل الحرابة: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 33].
الحمد لله القائل في كتابه: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: 12].
ثم الصلاة والسلام على المبعوث بالحسام المفتخر من بين الأنام بقوله: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر...) [متفق عليه].
أما بعد:
فيعجب الإنسان من أناس يخرجون على شاشات التلفاز ليُفتوا الناس ويدّعوا الإجماع في مسائل أظهر من أن تخفى على طويلب العلم، فضلاً عن العلماء!!
يدعي أحدهم بأن حرق الناس لا يقره دين ولا شرع ولا عقل!! هكذا، وبكل بساطة يفتئتون على الدين!!
لو لم يكن من النصوص والأخبار إلا قول الله تعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ...} [النحل: 126] لكفى: فهذه القنابل العنقودية والصواريخ الثقيلة والمواد المشعّة التي يطلقها الأمريكيون على المسلمين، أليست حارقة!! ألا تحرق الأجساد وتقطّع الأطراف وتهشّم الرؤوس!! فلماذا لا يعاملهم المجاهدون بالمثل!! - وستأتي الأدلة على بطلان قولهم -

أما قضية تعليق الجثث على جسر الفلوجة الشمّاء، فقد قال تعالى في أهل الحرابة {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 33].
فإذا كان هذا في أهل الحرابة - وإن كانوا مسلمين مصلين - فكيف بالكفار المحاربين الصائلين المعتدين على الدماء والأعراض والأموال!!
جاء في أحكام القرآن لابن العربي: قال القاضي رضي الله عنه: (ولقد كنت أيام تولية القضاء قد رُفع إليّ قوم خرجوا محاربين رفقة، فأخذوا منهم امرأة مغالبة على نفسها من زوجها ومن جملة المسلمين معه فيها فاحتملوها، ثم جد فيهم الطلب فأخذوا وجيء بهم، فسألت من كان ابتلاني الله به من المفتين، فقالوا: ليسوا محاربين، لأن الحرابة إنما تكون في الأموال لا في الفروج. فقلت لهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، ألم تعلموا أن الحرابة في الفروج أفحش منها في الأموال، وأن الناس كلهم ليَرضون أن تذهب أموالهم وتُحرب من أيديهم ولا يُحرب المرء من زوجته وبنته، ولو كان فوق ما قال الله عقوبة لكانت لمن يسلب الفرج، وحسبكم من بلاء صحبة الجهّال، وخصوصاً في الفتيا والقضاء!!) انتهى.
فانظر إلى قول القاضي رحمه الله: (ولو كان فوق ما قال الله عقوبة لكانت لمن يسلب الفرج)..
أقول: هذا في أهل الحرابة ممن يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكيف بمن يهتك عرض المسلمات في سجون بغداد وغيرها من النصارى الكفار واليهود الفجّار والمرتدّين، ألا يستحق هؤلاء الحرق والتقطيع والصلب والتعليق!!
ولكنه كما قال القاضي رحمه الله: (وحسبكم من بلاء صحبة الجهّال، وخصوصاً في الفتيا والقضاء).
إن الإرهاب وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء أمر مطلوب شرعاً وعقلاً: قال تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} [الأنفال: 60]، وقال تعالى {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} [آل عمران: 151]، وقال تعالى: {أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} [الأحزاب: 26].

وإرهاب العدو محمود في كل الأوقات، وآكد ما يكون الإرهاب في وقت الحرب.. وهذه أمريكا الآن تحاول إرهاب المسلمين في العراق عن طريق تدمير الفلّوجة بحجّة تمثيلهم بجثث أربعة من الأمريكان، وهي رسالة مفادها أنه من يتجرأ ويفعل هذا بالأمريكان فإننا نقتله ونقتل أهله وندمر مدينته ونهدم دور عبادته ولا تأخذنا فيه رأفة ولا شفقة!!

أمريكا التي جاء في كتابها الذي تقدّسه: (من صفعك على خدّك الأيمن فأدر له خدّك الأيسر)، وعت هذا، وأما من جاء في كتابهم: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}... فأخلف الله علينا!!

نحن لا نلوم الأمريكان إن فعلوا كل ذلك، فهم أعداء محاربون صائلون لهم أطماعهم وعداواتهم، أما أن يخرج علينا من يُنكر على المسلمين فعل ما يفعله الأمريكان، بل وأقل منه بكثير، فهذا هو الذي ننكره أشد الإنكار..

لا ينبغي لأحد أن يتكلم في هذا ويُفتي فيه من غير المجاهدين في الثغور، ومن أراد أن يُفتي فليأخذ رشاشه وليذهب إلى الجبهة وليرى ما يفعله الكفار بالمسلمين والمسلمات هناك، وليرى صنيع القنابل بأشلاء أطفال المسلمين ثم يخرج لنا بفتوى..

أما ما فعله إخواننا في الفلوجة فهو تحقيق قوله تعالى في الكفار: {ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ...} [الحشر: 2]، فلله در أسدو الفلوجة الذين رفعوا رأس الأمة بصمودهم التاريخي العظيم.. نسأل الله أن يمكنهم من مزيد من رقاب الكفار والمنافقين..

أما مسألة الحرق:

فإنه لما أتى قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري - لعنه الله - أتوا إلى علي بن بي طالب رضي الله عنه، قال أحدهم: (أنت هو). فقال لهم: (ومن هو؟!).

قال: (أنت الله).

فاستعظم رضي الله عنه الأمر، وأمر بنار فاججت وأحرقهم بالنار، وفي ذلك يقول رضي الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبرا

- يريد قنبراً مولاه وهو الذي تولى طرحهم في النار [الملل والنحل للشهرستاني]-

فهذا الخليفة الراشد رضي الله عنه أحرق أناس بالنار..

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه أنه: (استدعى خالد مالك بن نويرة فأنَّبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزَّكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصَّلاة ؟
فقال مالك: إنَّ صاحبكم كان يزعم ذلك.
فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه، وأمر برأسه فجعل مع حجرين وطبخ على الثَّلاثة قدرا فأكل منها خالد تلك اللَّيلة ليرهب بذلك الأعراب من المرتدَّة وغيرهم.
ويقال: إنَّ شعر مالك جعلت النَّار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر، ولم تفرغ الشَّعر لكثرته.
وقد تكلَّم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصِّديق، وتكلَّم عمر مع أبي قتادة في خالد وقال للصِّديق: اعزله فإنَّ في سيفه رهقاً.
فقال أبو بكر لا أشيم سيفاً سلَّه الله على الكفَّار) [البداية والنهاية: 6/355].
وقد قال عمر رضي الله عنه بعد عزل خالد ورؤية ما فعله بالأعداء بكتيبته التي كانت تتقدم جيش أبا عبيدة في الشام: (رحم الله أبا بكر، كان أعلم بالرجال مني).
وسيف الله أبي سليمان رضي الله عنه أستاذ فن الإرهاب الإسلامي وقيّم مدرسته بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وله في الإرهاب صولات وجولات تحكي خبرته العجيبة ومعرفته الدقيقة بأساليب الحرب النفسية، فقد قال رضي الله عنه في وقعة أليّس - كما جاء في البداية والنهاية -: (اللَّهم لك عليّ إن منحتنا أكتافهم أن لا أستبقي منهم أحداً أقدر عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم" ثمَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ منح المسلمين أكتافهم، فنادى منادي خالد الأسر الأسر لا تقتلوا إلا من إمتنع من الأسر، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً يساقون سوقاً، وقد وكَّل بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النَّهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ويطلبهم في الغد ومن بعد الغد، وكلَّما حضر منهم أحد ضربت عنقه في النَّهر وقد صرف ماء النَّهر إلى موضع آخر، فقال له بعض الأمراء: إنَّ النَّهر لا يجري بدمائهم حتى ترسل الماء على الدَّم فيجري معه فتبرَّ بيمينك، فأرسله فسال النَّهر دماً عبيطاً فلذلك سمِّي نهر الدَّم إلى اليوم، فدارت الطواحين بذلك الماء المختلط بالدَّم العبيط ما كفى العسكر بكماله ثلاثة أيَّام، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً..).
ومعركة أليّس هي ذاتها التي قال بعدها الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (يا معشر قريش إنَّ أسدكم قد عدا على الأسد فغلبه على خراذيله، عجزت النِّساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد).

وكان من نتيجة هذا الإرهاب الخالدي أن قال الأكيدر يوم دومة الجندل لقومه: (أنا أعلم النَّاس بخالد، لا أحد أيمن طائر منه في حرب ولا أحدَّ منه، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلّوا أم كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم).
أما كتب الفقه والحديث فقد ذكرت مسألة حرق الكفار في كتب الجهاد والسير:
فقد جاء في نيل الأوطار للشوكاني (باب الكف عن المثلة والتحريق وقطع الشجر وهدم العمران إلا لحاجة ومصلحة) في شرح حديث أبي هريرة، أنه قال: (بعثنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في بعث فقال: إن وجدتم فلانًا وفلانًا لرجلين فأحرقوهما بالنار ثم قال حين أردنا الخروج إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا وإن النار لا يعذب بها إلا اللّه فإن وجدتموهما فاقتلوهما) [رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي].
قال الشوكاني رحمه الله: (قوله: "وإن النار لا يعذب بها إلا اللّه" هو خبر بمعنى النهي وقد اختلف السلف في التحريق فكره ذلك عمر وابن عباس وغيرهما مطلقًا سواء كان في سبب كفر أو في حال مقاتلة أو في قصاص وأجازه علي وخالد بن الوليد وغيرهما).
وفي كتاب الحدود "نيل الأوطار": (وأخرج البيهقي أيضًا عن أبي بكر أنه جمع الناس في حق رجل ينكح كما ينكح النساء، فسأل أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم عن ذلك فكان أشدهم يومئذ قولًا علي بن أبي طالب عليه السلام قال: هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع اللّه بها ما قد علمتم نرى أن نحرقه بالنار فاجتمع أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم على أن يحرقه بالنار فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يحرقه بالنار).
قال الشوكاني: (وفي إسناده إرسال، وروي من وجه آخر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي في هذه القصة قال: يرجم ويحرق بالنار).
أليس قوله: (فاجتمع أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم على أن يحرقه بالنار) دليلاً على عدم وجود إجماع "على عدم جواز الحرق"؟!!
وجاء في نيل الأوطار أيضا، نقلا عن المنذري: (حرق اللوطية بالنار أبو بكر وعلي وعبد اللّه بن الزبير وهشام بن عبد الملك).
وفي فتح الباري: (قال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، وقد سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعين العرنيين بالحديد المحمي، وقد حرق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة، وحرق خالد بن

الوليد بالنار ناسا من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها، قاله النووي والأوزاعي).
وفي عون المعبود قال القسطلاني: (قد اختلف السلف في التحريق فكرهه عمر وابن عباس وغيرهما مطلقا سواء كان بسبب كفر أو قصاصا، وأجازه علي وخالد بن الوليد).
أقول: هذا إذا كان الكفار لا يفعلون هذا بالمسلمين، أما وهم يفعلونه فالأمر يختلف.. فهذه المسألة مما اختلف فيها الصحابة وسلف الأمة، وقد فعله صدّيق هذه الأمة والخليفة الراشد علي بن أبي طالب وجماعة من الصحابة، فلا إجماع في المسألة كما زعم البعض..
إن ما فعله المجاهدون في الفلوجة هو نقطة في بحر ما يفعله الأمريكان منذ سنة في العراق، ولكننا تعودنا أن لا نسمع صوت القوم إلا إذا مات أمريكي، أما قتل المسلمين وسحقهم تحت الدبابات وحرقهم بالصواريخ والقاذفات فعليه سكوت الأموات!!
أقول للمجاهدين في العراق:
إن أحرقتم فلكم في خلفاء الأمة وصحابة نبيكم سلف، فافعلوا في هؤلاء الكفار ما يزرع في قلوبهم الرعب والهلع ولا يرَونّ فيكم خوراً ولا خوفاً ولا ترددا.. أرهبوهم وزلزلوا الأرض تحت أقدامهم واخلعوا قلوبهم من صدورهم لتقر أعين المؤمنين..
إن أمريكا ما كانت لتجترؤ على الأمة الإسلامية إن علمت أن في هذه الأمة من يرد عليها الصاع صاعين.. لما علمت أنها تغزونا ولا نغزوها، وتقتلنا ولا نقتلها، وتدمّر بيوتنا ولا نجرؤ عليها أتتنا بحدها وحديدها لتحتل ديارنا وتهتك أعراضنا وتسرق أموالنا وتحاربنا في ديننا..
والله لو كان سيف الله خالد بن الوليد حياً لمات من شدة الكمد مما آل إليه حال أكثر ذكور الأمة الذين لا يُحسنون إلا البكاء وانتظار الموت في البيوت..
لن يخرج الكفار من أراضي المسلمين إلا بالقتل والإرهاب والرعب كما حدث في أفغانستان والصومال .لا ينبغي لأحد من المسلمين أن يتكلم قبل أن يثخن في الأعداء القتل، وينبغي للمجاهدين في العراق عدم وقوعهم في الأشباك السياسية والألاعيب القذرة التي يلعبها أعضاء الحكم المنافق..
إنما جزاء هؤلاء المرتدين المرتزقة الكرزائية "ضربة بسيف" كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم، فكل من وقف وأعان الأمريكان على احتلاهم لبلاد المسلمين من أعضاء هذا المجلس أو من شرطة عراقية أو جيش أو غيره، فهؤلاء إن لم يكونوا عيون وأعوان للمجاهدين فهم مرتدون ينبغي قتلهم وتخليص المسلمين من

شرّهم، وكذا الجاثمين على بلاد المسلمين من عبيد أمريكا ويهود، فهؤلاء أشد كفراً من إخوانهم لأنه من بلادهم وبمباركتهم وعلى نفقتهم تنطلق الطائرات الحربية الصليبية لتدك معاقل المجاهدين في الفلوجة وبغداد وغيرها، فلا شك في كفر هؤلاء، ومن يشكك في كفرهم فقد خالف إجماعاً معلوماً مشهوراً وتقوّل على الله زوراً وبهتاناً، فقد ظهر الحق وانتشرت الفتاوى ورأى الناس الخيانات جهاراً نهاراً فلا مجال لقول متقوّل أو تأويل متأوّل..

ثم أقول لكم أيها الأحبة:

إن وجدتم من يهود وأعوانهم في العراق أحد، فهؤلاء لا يرضينا فيهم إلا القتل والصلب.. هؤلاء لا تسألوا فيهم أحد، اقتلوهم حيث وجدتموهم واشفو غليل صدورنا بمنظرهم، ولتكن مناظر إخوانكم المسلمين في فلسطين نصب أعينكم، وتذكّروا كرسيّ شيخ المجاهدين أحمد ياسين رحمه الله وتقبله في الشهداء، واعلموا إخواني أن الطائرات لا تخرج من الدول العربية فقط: بل كثير من الطائرات تنطلق من فلسطين بطيارين يهود تقصف العراق حقداً وغلاً.

إلى الجماعات الإسلامية وأبناء الحركات الإسلامية خارج العراق:

كفاكم ضحكاً على أنفسكم وغشّاً لها!! إلى متى وأنتم تُضْحِكون الناس عليكم!! كفاكم كلاماً وابدأوا بإرسال المجاهدين إلى العراق وفلسطين زرافات ووحداناً، فلا والله لا ينزع الله هذا الذل عن الأمة بالمناورات السياسية والتصريحات الهزلية العقيمة، والله لا يزول هذا الذل إلا بالجهاد في سبيل الله وإراقة الدماء..

قال صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقــر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينك) - أي الجهاد - [حديث صحيح].

أيها المسلمون:

جاء في الحديث الصحيح أن الصحابة كانوا في صلاة الليل: يلعنون الكفرة: (اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذّبون رسلك ولا يؤمنون بوعدك وخالف بين كلمتهم وألق في قلوبهم الرعب وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق) [صحيح ابن خزيمة].

وأذكّر المسلمين بفتوى أسد الإسلام أسامة حفظه الله: (أما الأمريكي، فهذا اقتله حيث وجدته ولا تستفتِ فيه أحد...).

{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}.

والله أعلم

وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

- **ثانيا – عمليات الاختطاف فقد كان من أسلوب المجاهدين في العراق عمليات اختطاف عديدة وما زالت وذلك لأن فيها نكاية عظيمة بالعدو**

وكان المجاهدون يهدفون من وراء ذلك عدة أمور منها :
أن يشعروا الغازي المحتل ومن يتعاون معه أنه غير آمن على نفسه في أي مكان كان في العراق فيعود الكثير منهم إلى بلادهم وهذا ما حدث فعلا
ومنها أنها وسيلة ضغط كبيرة على تلك الدول التي تساعد أمريكا فقد اضطرت بعض الدول للخروج من العراق بسبب ذلك والذين رفضوا الخروج كان مصير رهائنهم الموت المحتم
وكذلك أخذت بعدا آخر وهي الإفراج عن المعتقلين سواء في خارج العراق أو داخلها
وكذلك حولت قضية العراق إلى بعدها الإسلامي العالمي فقد كان الهدف من بعض المعتقلين هو الضغط على بلادهم وأن المجاهدين في العراق يتحسسون آلام المسلمين في كل مكان بعكس حروب التحرير السابقة والتي كانت كلها إقليمية بما فيها حماس والجهاد الإسلامي
ومنها الضغط على فرنسا في مسألة الحجاب ورفع الظلم عن المسلمين وقد أخذت هذه أبعادا كبيرة وتتالت الصيحات بالإفراج عن الصحفيين الفرنسيين وخاصة من فقهاء العصر ومشايخ الصحوة وأن هذا عمل لا يقره الإسلام ونحو ذلك
ولم يدافع هؤلاء عن المجاهدين بتاتا بل أسلموهم للعدو واتهموهم في دينهم وعملهم
وقد قمت بالرد عليهم وغيري قام كذلك وخاصة القرضاوي فرددت عليه ردا مفصلا حول عمليات الاختطاف وفندت شبهاته التي استند إليها
بل وصل به الأمر إلى يقول في قناة الجزيرة الزرقاوي مسوي حالو مفتي لا يرد على أحد فرددت عليه بمقال عنوانه الزرقاوي مفتي المجاهدين والقرضاوي مفتي المنهزمين
http://www.tajdeed.org.uk/forums/showthread.php?s=&threadid=27616
وكذلك ((فتوى القرضاوي حول عمليات الاختطاف في الميزان http://www.tajdeed.org.uk/forums/showthread.php?s=&threadid=27789))
بل وصل الأمر بهذا عندما عقد المؤتمر العالمي لعلماء المسلمين في بريطانيا فأول أمر يتباه تحريم عمليات الاختطاف مناصرة لأعداء الإسلام

فقمت بالرد عليهم بمقال مطول بعنوان :
((الرد على بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين حول الاختطاف))
http://www.tajdeed.org.uk/forums/showthread.php?s=&threadid=27642
وقد أقر جميع من أفرج عنهم المجاهدين بأنهم عوملوا معاملة حسنة ومنهم الصحفيين الفرنسيين والإيطاليتين
وهذه هي أخلاق الإسلام الحقة

- ثالثا- العلميات الاستشهادية وكان لها دور كبير جدا في النكاية بالعدو وهذه لا تستطيع قوة في الأرض أن تقف في طريقها

فمن أراد أن يموت من يستطيع الوقوف في وجهه ؟؟؟
ولكن مع إقرار أكثر أهل العلم لها وهذا هو الحق إلا أن فقهاء الفضائيات عادوا عليها بالنقض وخاصة فقهاء آل سلول فقالوا :
إنها عمليات انتحارية وقالوا إن المجاهدين يقتلون الأبرياء والأطفال وغير ذلك من أجل تشويه سمعة المقاومة الإسلامية في العراق
والصواب أنها جائزة بل واجبة إذا كان فيها نكاية بالعدو وهذا ما نص عليه الفقهاء قديما وحديثا وقد ألف رسائل كثيرة في هذا الموضوع الهام
وهذه العمليات الاستشهادية بفضل الله تعالى في ازدياد مستمر وهذا ما أجمع عليه من عرف الزرقاوي فقد رباهم على حب الشهادة في سبيل الله تعالى كما فعل أنس بن النضر رضي الله عنه وغيره
ففي البخاري عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرٍ فَقَالَ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم -، لَئِنْ أَشْهَدَنِى اللَّهُ مَعَ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَجِدُّ فَلَقِىَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَهُزِمَ النَّاسُ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِى الْمُسْلِمِينَ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِىَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ أَيْنَ يَا سَعْدُ إِنِّى أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ فَمَضَى فَقُتِلَ ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ ، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ .
وفي مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِى سُفْيَانَ فَجَاءَ وَمَا فِى الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِى وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-

قَالَ لاَ أَدْرِى مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ قَالَ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم فَتَكَلَّمَ فَقَالَ « إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا »فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِى ظُهْرَانِهِمْ فِى عُلْوِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ « لاَ إِلاَّ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا »فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَىْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ »فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - « قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ »قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِىُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ قَالَ «نَعَمْ »قَالَ بَخٍ بَخٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - « مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ »قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا قَالَ « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا »فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ لَئِنْ أَنَا حَىِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِى هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ - فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ .ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

فنرجو المزيد منها ((يا أبا مصعب)) سلمت يمينك

لأنها كفيلة بطرد العدو الغازي بلا رجعة

- رابعا – عمليات الاغتيال

لقد استخدم الزرقاوي حفظه الله عمليات الاغتيال لبعض الرموز الكبيرة في العراق كاغتيال باقر الحكيم وغيره وهي عمليات ناجحة جدا بفضل الله تعالى

وقد حاول فقهاء السلاطين وتجار الفضائيات أن ينكروا هذا الأسلوب من العمل العسكري

ولكن الصحيح أن أول من أمر بالاغتيال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقل القليل الذي يمكن أن يفعله المسلمون اليوم في وجه أعدائهم

ففي البخاري 2510 حَدَّثَنَا عَلِىُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ - صلى الله عليه وسلم - » فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَنَا فَأَتَاهُ فَقَالَ أَرِدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ فَقَالَ ارْهَنُونِى نِسَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا ، وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ فَارْهَنُونِى أَبْنَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ ، فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللأمَةَ -

قَالَ سُفْيَانُ يَعْنِى السِّلاَحَ فَوَعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرُوهُ
وفي رواية 4037 حَدَّثَنَا عَلِىٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رضى الله عنهما - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ » فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ « نَعَمْ » قَالَ فَأَذَنْ لِى أَنْ أَقُولَ شَيْئًا . قَالَ « قُلْ » فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً ، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا ، وَإِنِّى قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ قَالَ إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَىِّ شَىْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا ، أَوْ وَسْقَيْنِ وَحَدَّثَنَا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَلَمْ يَذْكُرْ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ فَقَالَ أُرَى فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ - فَقَالَ نَعَمِ ارْهَنُونِى قَالُوا أَىَّ شَىْءٍ تُرِيدُ قَالَ فَارْهَنُونِى نِسَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ فَارْهَنُونِى أَبْنَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ ، فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا ، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللأْمَةَ قَالَ سُفْيَانُ يَعْنِى السِّلاَحَ فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَجَاءَهُ لَيْلاً وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهْوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَأَخِى أَبُو نَائِلَةَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ قَالَ إِنَّمَا هُوَ أَخِى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِى أَبُو نَائِلَةَ - إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِىَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لأَجَابَ قَالَ وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ قِيلَ لِسُفْيَانَ سَمَّاهُمْ عَمْرٌو قَالَ سَمَّى بَعْضَهُمْ قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ عَمْرٌو وَجَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ فَقَالَ إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّى قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِى اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ أُشِمُّكُمْ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهْوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ ، فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا - أَىْ أَطْيَبَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَ عِنْدِى أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ عَمْرٌو فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِى أَنْ أَشَمَّ رَأْسَكَ قَالَ نَعَمْ ، فَشَمَّهُ ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ ثُمَّ قَالَ أَتَأْذَنُ لِى قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ دُونَكُمْ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَتَوُا النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرُوهُ .
وقد ألفت كتب كثيرة في هذا الموضوع وخاصة للأخ الفاضل أبي جندل الأزدي
تجدها هنا

http://www.tawhed.ws/a?i=9

- **-خامسا- موقف الزرقاوي من الرافضة**

لقد كان موقفه واضحا وصريحا منذ البداية فهو يعلم كيف طعنوا المسلمين في هيرات من الخلف وكيف استقبلوا الأمريكان في العراق وكيف أصبحوا ساعده الأيمن ومن ثم فلا لقاء معهم بتاتا فليس بيننا وبينهم إلا حد السيف

وقد يستغرب ذلك بعض الموتورين ممن أعمى الله أبصارهم عن رؤية الحق

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية عنهم :

هم أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلماً ، يعادون خيار أولياء الله تعالى، من بعد النبيين ، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان – رضي الله عنهم ورضوا عنه – ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين ، كالنصيرية والإسماعيلية، وغيرهم من الضالين . ص 20 جـ (1)

فتجدهم أو كثيرا منهم إذا اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء فمنهم من آمن ومنهم من كفر سواء كان الاختلاف بقول أو عمل كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن كما قد جربه الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير

1 21 ذلك وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين ما لا يحصى عدده إلا رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة للكافرين وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير

1 22 ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفيء نصيبا لمن بعدهم إلا الذين يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم سورة الحشر ولهذا كان بينهم وبين اليهود من المشابهة في الخبث واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق

اليهود وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو والجهل وغير ذلك من أخلاق النصارى ما أشبهوا به هؤلاء من وجه وهؤلاء من وجه وما زال الناس يصفونهم بذلك ومن أخبر الناس بهم الشعبي وأمثاله من علماء الكوفة وقد ثبت عن الشعبي أنه قال ما رأيت أحمق من الخشبية لو كانوا من الطير لكانوا رخما ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا والله لو طلبت منهم أن
1 23 يملئوا لي هذا البيت ذهبا على أن أكذب على علي لأعطوني ووالله ما أكذب عليه أبدا
- ولهذا كان جماهير الأمة نالوا الخير بدون مقصود الإمامة التي تقولها الرافضة فإنهم يقرون بأن الأمام الذي هو صاحب الزمان مفقود لا ينتفع به أحد وأنه دخل السرداب سنة ستين ومائتين أو قريبا من ذلك وهو الآن غائب أكثر من أربعمائة وخمسين سنه فهم في هذه المدة لم ينتفعوا
1 121 بإمامته لا في دين ولا في دنيا بل يقولون إن عندهم علما منقولا عن غيره فإن كانت أهم مسائل الدين وهم لم ينتفعوا بالمقصود منها فقد فاتهم من الدين أهمه وأشرفه وحينئذ فلا ينتفعون بما حصل لهم من التوحيد والعدل لأنه يكون ناقصا بالنسبة إلى مقصود الإمامة فيستحقون العذاب كيف وهم يسلمون أن مقصود الإمامة إنما هو في الفروع الشرعية وأما الأصول العقلية فلا يحتاج فيها إلى الإمام وتلك هي أهم وأشرف ثم بعد هذا كله فقولكم في الإمامة من أبعد الأقوال عن الصواب ولو لم يكن فيه إلا أنكم أوجبتم الإمامة لما فيها من مصلحة الخلق في دينهم ودنياهم وإمامكم صاحب الوقت لم يحصل لكم من جهته مصلحة لا في الدين ولا في الدنيا فأي سعى أضل من سعى من يتعب التعب الطويل ويكثر القال والقيل ويفارق جماعة المسلمين ويلعن السابقين والتابعين ويعاون الكفار والمنافقين ويحتال بأنواع الحيل ويسلك ما أمكنه من السبل ويعتضد بشهود الزور ويدلى أتباعه بحبل الغرور ويفعل ما يطول وصفه ومقصوده بذلك أن يكون له إمام يدله على أمر الله ونهيه ويعرفه ما يقربه إلى الله تعالى ثم إنه لما علم اسم ذلك الإمام ونسبه لم يظفر بشيء من مطلوبه ولا وصل إليه شيء من تعليمه وإرشاده ولا أمره ولا نهيه ولا حصل له
1 122 من جهته منفعة ولا مصلحة أصلا إلا إذهاب نفسه وماله وقطع الأسفار وطول الانتظار بالليل والنهار ومعاداة الجمهور لداخل في سرادب ليس له عمل ولا خطاب ولو كان موجودا بيقين لما حصل به منفعة لهؤلاء المساكين فكيف عقلاء الناس يعلمون أنه ليس معهم إلا الإفلاس وأن الحسن بن علي العسكري لم ينسل

ولم يعقب كما ذكر ذلك محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالنسب
فأخبر (تعالى) أن العزة للمؤمنين لا للمنافقين فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعز المسلمين من المنافقين بل ذلك يقتضى أن من كان أعز كان أعظم إيمانا ومن المعلوم أن
2 46 السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الخلفاء الراشدين وغيرهم كانوا أعز الناس وهذا كله مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين فلا يجوز أن يكون الأعزاء من الصحابة منهم ولكن هذا الوصف مطابق للمتصفين به من الرافضة وغيرهم والنفاق والزندقة في الرافضة أكثر منه في سائر الطوائف بل لا بد لكل منهم من شعبة نفاق فإن أساس النفاق الذي بنى عليه الكذب وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم والرافضة تجعل هذا من أصول دينها وتسميه التقية وتحكى هذا عن أئمة أهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك حتى يحكوا عن جعفر الصادق أنه قال التقية دينى ودين آبائي وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للإيمان وكان دينهم التقوى لا التقية وقول الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة
2 47 سورة آل عمران إنما هو الأمر بالإتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب والله تعالى قد أباح لمن أكره على كلمة الكفر أن يتكلم بها إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان لكن لم يكره أحد من أهل البيت على شيء من ذلك حتى أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكره أحدا لا منهم ولا من غيرهم على مبايعته فضلا أن يكرههم على مدحه والثناء عليه بل كان علي وغيره من أهل البيت يظهرون ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم والترحم عليهم والدعاء لهم ولم يكن أحد يكرههم على شيء منه باتفاق الناس وقد كان في زمن بنى أمية وبنى العباس خلق عظيم دون علي وغيره في الإيمان والتقوى يكرهون منهم أشياء ولا يمدحونهم ولا يثنون عليهم ولا يقربونهم ومع هذا لم يكن هؤلاء يخافونهم ولم يكن أؤلئك يكرهونهم مع أن الخلفاء الراشدين كانوا باتفاق الخلق
2 48 أبعد عن قهر الناس وعقوبتهم على طاعتهم من هؤلاء فإذا لم يكن الناس مع هؤلاء مكرهين على أن يقولوا بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم فكيف يكونون مكرهين مع الخلفاء على ذلك بل على الكذب وشهادة الزور وإظهار الكفر كما تقوله الرافضة

من غير أن يكرههم أحد على ذلك فعلم أن ما تتظاهر به الرافضة هو من باب الكذب والنفاق وأن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم لا من باب ما يكره المؤمن عليه من التكلم بالكفر وهؤلاء أسرى المسلمين في بلاد الكفار غالبهم يظهرون دينهم والخوارج مع تظاهرهم بتكفير الجمهور وتكفير عثمان وعلي ومن والاهما يتظاهرون بدينهم وإذا سكنوا بين الجماعة سكنوا على الموافقة والمخالفة والذي يسكن في مدائن الرافضة فلا يظهر الرفض وغايته إذا ضعف أن يسكت عن ذكر مذهبه لا يحتاج أن يتظاهر بسبب الخلفاء والصحابة إلا أن يكونوا قليلا فكيف يظن بعلي رضي الله عنه وغيره من أهل البيت أنهم كانوا أضعف دينا وقلوبا من الأسرى في بلاد الكفر ومن عوام أهل

2 49 السنة ومن النواصب مع أنا قد علمنا بالتواتر أن أحدا لم يكره عليا ولا أولاده على ذكر فضائل الخلفاء والترحم عليهم بل كانوا يقولون ذلك من غير إكراه ويقوله أحدهم لخاصته كما ثبت ذلك بالنقل المتواتر وأيضا فقد يقال في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات سورة النور إن ذلك وصف للجملة بوصف يتضمن حالهم عند الإجتماع كقوله تعالى ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار سورة الفتح والمغفرة والأجر في الآخرة يحصل لكل واحد واحد فلا بد أن يتصف بسبب ذلك وهو الإيمان والعمل الصالح إذ قد يكون في الجملة منافق وفي الجملة كل ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين

2 50 والمحسنين ومدحهم والثناء عليهم فهم أول من دخل في ذلك من هذه الأمة وافضل من دخل في ذلك من هذه الأمة كما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فإن من تأمل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتأمل أحوال اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين تبين له من فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضع عن بسطه والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والإعتبار ولهذا لا تجد أحدا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله وتجد من ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي ولا في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة ولا في الجيوش المؤيدة

2 81 المنصورة جيش رافضي ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي ولا في الوزراء

الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي وأكثر ما تجد الرافضة إما في الزنادقة المنافقين الملحدين وإما في جهال ليس لهم علم لا بالمنقولات ولا بالمعقولات قد نشأوا بالبوادي والجبال أو تحيزوا عن المسلمين فلم يجالسوا أهل العلم والدين وإما في ذوي الأهواء ممن قد حصل له بذلك رياسة ومال أو له نسب يتعصب له كفعل أهل الجاهلية وأما من هو عند المسلمين من أهل العلم والدين فليس في هؤلاء رافضي لظهور الجهل والظلم في قولهم وتجد ظهور الرفض في شر الطوائف كالنصيرية والإسماعيلية والملاحدة الطرقية وفيهم من

2 82 الكذب والخيانة وإخلاف الوعد ما يدل على نفاقهم كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وأذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان زاد مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وأكثر ما توجد هذه الثلاث في طوائف أهل القبلة في الرافضة

- 3 374 وأما عصمة الأئمة فلم يقل بها إلا كما قال الإمامية والإسماعيليه وناهيك بقول لم يوافقهم عليه إلا الملاحدة المنافقون الذين شيوخهم الكبار أكفر من اليهود والنصارى والمشركين وهذا دأب الرافضة دائما يتجاوزون عن جماعة المسلمين إلى اليهود والنصارى والمشركين في الأقوال والموالاة والمعاونة والقتال وغير ذلك فهل يوجد أضل من قوم يعادون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ويوالون الكفار والمنافقين وقد قال الله تعالى ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب

3 375 الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز لا نجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون سورة المجادلة فهذه الآيات نزلت في

المنافقين وليس المنافقون في طائفة أكثر منهم في الرافضة حتى أنه ليس في الروافض إلا من فيه شعبة من شعب النفاق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر أخرجاه في الصحيحين ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون سورة المائدة

3 376 وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا سورة المائدة وهم غالبا لا يتناهون عن منكر فعلوه بل ديارهم أكثر البلاد منكرا من الظلم والفواحش وغير ذلك وهم يتولون الكفار الذين غضب الله عليهم فليسوا مع المؤمنين ولا مع الكفار كما قال تعالى ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم سورة المجادلة ولهذا هم عند جماهير المسلمين نوع آخر حتى أن المسلمين لما قاتلوهم بالجبل الذي كانوا عاصين فيه بساحل الشام يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقطعون الطريق استحلالا لذلك وتدينا به فقاتلهم صنف من التركمان فصاروا يقولون نحن مسلمون فيقولون لا أنتم جنس آخر فهم بسلامة قلوبهم علموا أنهم جنس آخر خارجون عن المسلمين لامتيازهم عنهم

3 377 وقد قال الله تعالى ويحلفون على الكذب وهم يعلمون سورة المجادلة وهذا حال الرافضة وكذلك اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إلى قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الأية سورة المجادلة وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من موادته للمسلمين ولهذا لما خرج الترك والكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خرسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين ووزير بغداد المعروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين وكذلك النصارى

3 378 الذين قاتلهم المسلمون بالشام كانت الرافضة من أعظم أعوانهم وكذلك إذا صار لليهود دولة بالعراق وغيره تكون

الرافضة من أعظم أعوانهم فهم دائما يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم ثم إن هذا ادعى عصمة الأئمة دعوى لم يقم عليها حجة إلا ما تقدم من أن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة واللطف ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف سواء كان ميتا كما يقوله الجمهور أو كان حيا كما تظنه الإمامية وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم شيء من المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان كما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته ويحصل بذلك سعادتهم ولم يحصل بعده

3 379 أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي رضي الله عنه زمن خلافته ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف والمصلحة التي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من اللطف والمصلحة الذي كان في خلافة علي زمن القتال والفتنة والافتراق فإذا لم يوجد من يدعي الإمامية فيه أنه معصوم وحصل له سلطان بمبايعة ذي الشوكة إلا علي وحده وكان مصلحة المكلفين واللطف الذي حصل لهم في دينهم ودنياهم في ذلك الزمان أقل منه في زمن الخلفاء الثلاثة علم بالضرورة أن ما يدعونه من اللطف والمصلحة الحاصلة بالأئمة المعصومين باطل قطعا وهو من جنس الهدى والإيمان الذي يدعى في رجال الغيب بجبل لبنان وغيره من الجبال مثل جبل قاسيون بدمشق ومغارة الدم وجبل الفتح بمصر ونحو ذلك من الجبال والغيران فإن

3 380 هذه المواضع يسكنها الجن ويكون بها الشياطين ويتراءون أحيانا لبعض الناس ويغيبون عن الأبصار في أكثر الأوقات فيظن الجهال أنهم رجال من الإنس وإنما هم رجال من الجن كما قال تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا سورة الجن وهؤلاء يؤمن بهم وبمن ينتحلهم من المشايخ طوائف ضالون لكن المشايخ الذين ينتحلون رجال الغيب لا يحصل بهم من الفساد ما يحصل بالذين يدعون الإمام المعصوم بل المفسدة والشر الحاصل في هؤلاء أكثر فإنهم يدعون الدعوة إلى إمام معصوم ولا يوجد لهم أئمة ذوو سيف يستعينون بهم إلا كافر أو فاسق أو منافق أو جاهل لا تخرج رؤوسهم عن هذه الأقسام والإسماعيلية شر منهم فإنهم يدعون إلى الإمام المعصوم ومنتهى دعوتهم إلى رجال ملاحدة منافقين فساق ومنهم من هو شر في الباطن من اليهود والنصارى فالداعون إلى المعصوم لا يدعون إلى سلطان معصوم بل إلى

سلطان كفور أو ظلوم وهذا أمر مشهور يعرفه كل من له خبرة بأحوالهم وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
3 381 الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وذلك خير وأحسن تأويلا سورة النساء فأمر الله المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ولو كان للناس معصوم غير الرسول صلى الله عليه وسلم لأمرهم بالرد إليه فدل القرآن على أنه لا معصوم إلا الرسول صلى الله عليه وسلم فصل وأما قوله ولم يجعلوا الائمة محصورين
- قال الله تعالى ويحلفون على الكذب وهم يعلمون سورة المجادلة وهذا حال الرافضة وكذلك اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إلى قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الأية سورة المجادلة وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من موادته للمسلمين ولهذا لما خرج الترك والكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خرسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين ووزير بغداد المعروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين وكذلك النصارى
3 378 الذين قاتلهم المسلمون بالشام كانت الرافضة من أعظم أعوانهم وكذلك إذا صار لليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم فهم دائما يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم
- دع ما يسمع وينقل عمن خلا فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة وتجدهم من أعظم الناس فتنا وشرا وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمة ونحن نعرف بالعيان والتواتر العام وما كان في زماننا من حين خرج جنكزخان ملك الترك الكفار وما جرى في الإسلام من الشر فلا يشك عاقل أن استيلاء الكفار المشركين الذين لا يقرون بالشهادتين ولا بغيرها من المباني الخمس ولا يصومون شهر رمضان ولا يحجون البيت العتيق ولا يؤمنون بالله ولا بملائكته ولا بكتبه ورسله واليوم الآخر

6 373 وأعلم من فيهم وأدين مشرك يعبد الكواكب والأوثان وغايته أن يكون ساحرا أو كاهنا له رئي من الجن وفيهم من الشرك والفواحش ما هم به شر من الكهان الذين يكونون في العرب فلا يشك عاقل أن استيلاء مثل هؤلاء على بلاد الإسلام وعلى أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم كذرية العباس وغيرهم بالقتل وسفك الدماء وسبي النساء واستحلال فروجهن وسبي الصبيان واستعبادهم وإخراجهم عن دين الله إلى الكفر وقتل أهل العلم والدين من أهل القرآن والصلاة وتعظيم بيوت الأصنام التي يسمونها البذخانات والبيع والكنائس على المساجد ورفع المشركين وأهل الكتاب من النصارى وغيرهم على المسلمين بحيث يكون المشركون وأهل الكتاب أعظم عزا وأنفذ كلمة وأكثر حرمة من المسلمين إلى أمثال ذلك مما لا يشك عاقل أن هذا أضر على المسلمين من قتال بعضهم بعضا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما جرى على أمته من هذا كان كراهته له وغضبه منه أعظم من كراهته لإثنين مسلمين تقاتلا على الملك ولم يسب

6 374 أحدهما حريم الآخر ولا نفع كافرا ولا أبطل شيئا من شرائع الإسلام المتواترة وشعائره الظاهرة ثم مع هذا الرافضة يعاونون أولئك الكفار وينصرونهم على المسلمين كما قد شاهده الناس لما دخل هولاكو ملك الكفار الترك الشام سنة ثمان وخمسين وستمائة فإن الرافضة الذين كانوا بالشام بالمدائن والعواصم من أهل حلب وما حولها ومن أهل دمشق وما حولها وغيرهم كانوا من أعظم الناس أنصارا وأعوانا على إقامة ملكه وتنفيذ أمره في زوال ملك المسلمين وهكذا يعرف الناس عامة وخاصة ما كان بالعراق لما قدم هولاكون إلى العراق وقتل الخليفة وسفك فيها من الدماء مالا يحصيه إلا الله فكان وزير الخليفة ابن العلقمي والرافضة هم بطانته الذين أعانوه على ذلك بأنواع كثيرة باطنة وظاهرة يطول وصفها وهكذا ذكر أنهم كانوا مع جنكزخان وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى ينصرونهم بحسب الإمكان ويكرهون فتح مدائنهم كما كرهوا فتح عكا وغيرها ويختارون إدالتهم على المسلمين حتى أنهم لما انكسر

6 375 عسكر المسلمين سنة غازان سنة تسع وتسعين وخمسمائة وخلت الشام من جيش المسلمين عاثوا في البلاد وسعوا في أنواع من الفساد من القتل وأخذ الأموال وحمل راية الصليب وتفضيل النصارى على المسلمين وحمل السبي والأمول والسلاح من المسلمين إلى النصارى أهل الحرب بقبرس وغيرها

فهذا وأمثاله قد عاينه الناس وتواتر عند من لم يعاينه ولو ذكرت أنا ما سمعته ورأيته من آثار ذلك لطال الكتاب وعند غيري من أخبار ذلك وتفاصيله مالا أعلمه فهذا أمر مشهود من معاونتهم للكفار على المسلمين ومن اختيارهم لظهور الكفر وأهله على الإسلام وأهله ولو قدر أن المسلمين ظلمة فسقه ومظهرون لأنواع من البدع التي هي أعظم من سب علي وعثمان لكان العاقل ينظر في خير الخيرين وشر الشرين ألا ترى أن أهل السنة وإن كانوا يقولون في الخوارج والروافض وغيرهما من أهل البدع ما يقولون لكن لا يعاونون الكفار على دينهم ولا يختارون ظهور الكفر وأهله على ظهور بدعة دون ذلك

والرافضة من أعظم الناس إظهارا لمودة أهل السنة ولا يظهر أحدهم دينه حتى إنهم يحفظون من فضائل الصحابة والقصائد التي في مدحهم وهجاء الرافضة ما يتوددون به إلى أهل السنة ولا يظهر أحدهما دينه كما كان المؤمنون يظهرون دينهم للمشركين وأهل الكتاب فعلم أنهم من أبعد الناس عن العمل بهذه الآية وأما قوله تعالى إلا أن تتقوا منهم تقاة سورة آل عمران قال مجاهد إلا مصانعة والتقاة ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق ولكن أفعل ما أقدر عليه

6 424 كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه ولكن إن أمكنه بلسانه وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون وهو لم يكن موافقا لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه بل كان يكتم إيمانه وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر والله تعالى قد فرق بين المنافق والمكره والرافضة حالهم من جنس حال المنافقين لا من جنس حال المكره الذي أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فإن هذا الإكراه لا يكون

6 425 عاما من جمهور بني آدم بل المسلم يكون أسيرا أو منفردا في بلاد الكفر ولا أحد يكرهه على كلمه الكفر ولا يقولها ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه وقد يحتاج إلى أن يلين لناس من الكفار ليظنوه منهم وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه بل يكتم ما في قلبه وفرق بين الكذب وبين الكتمان فكتمان ما في

النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الإظهار كمؤمن آل فرعون وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره إلا إذا أكره والمنافق الكذاب لا يعذر بحال ولكن في المعاريض مندوحة عن الكذب ثم ذلك المؤمن الذي يكتم إيمانه يكون بين الكفار الذين لا يعلمون دينه وهو مع هذا مؤمن عندهم يحبونه ويكرمونه لأن الإيمان الذي في قلبه يوجب أن يعاملهم بالصدق والأمانة والنصح وإرادة الخير بهم وإن لم يكن موافقا لهم على دينهم كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفارا وكما كان مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه ومع هذا كان يعظم موسى ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله سورة غافر

أصل الرفض كان من وضع قوم زنادقة منافقين ، مقصودهم الطّعن في القرآن والرسول ودين الإسلام . ص 9 جـ (7) .

أصل الرفض كان من وضع قوم زنادقة منافقين مقصودهم الطعن في القرآن و الرسول ودين الإسلام فوضعوا من الأحاديث ما يكون التصديق به طعنا في دين الإسلام و روجوها على أقوام فمنهم من كان صاحب هوى و جهل فقبلها لهواه و لم ينظر في حقيقتها و منهم من كان له نظر فتدبرها فوجدها تقدح في حق الإسلام فقال بموجبها و قدح بها في دين الإسلام أما لفساد اعتقاده في الدين وأما لاعتقاده أن هذه صحيحة و قدحت فيما كان يعتقده من دين الإسلام

و أما الرافضة فهم المعروفون بالبدعة عند الخاصة و العامة حتى أن أكثر العامة لا تعرف في مقابلة الشيء إلا الرافضي لظهور

7 414 مناقضتهم لما جاء به الرسول عليه السلام عند الخاصة و العامة فهم عين على ما جاء به حتى الطوائف الذين ليس لهم من الخبرة بدين الرسول ما لغيرهم إذا قالت لهم الرافضة نحن مسلمون يقولون انتم جنس آخر و لهذا الرافضة يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود و النصارى و المشركين مشركي الترك و يعادون أولياء الله الذين هم خيار أهل الدين و سادات المتقين و هم الذين أقاموه و بلغوه و نصروه و لهذا كان الرافضة من اعظم الأسباب في دخول الترك الكفار إلى بلاد الإسلام و أما قصة الوزير ابن العلقمي و غيره كالنصير الطوسي مع الكفار و ممالأتهم على المسلمين فقد عرفها الخاصة والعامة و كذلك من كان منهم بالشام ظاهروا المشركين على المسلمين و عاونوهم معاونة عرفها الناس و كذلك لما انكسر عسكر المسلمين لما قدم غازان ظاهروا الكفار النصارى و غيرهم من أعداء المسلمين و باعوهم أولاد المسلمين بيع العبيد و أموالهم و حاربوا المسلمين محاربة ظاهرة و حمل بعضهم راية

الصليب و هم كانوا من اعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديما على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم
7 415 و قد دخل فيهم أعظم الناس نفاقا من النصيرية و الإسماعيلية و نحوهم ممن هو أعظم كفرا في الباطن و معاداة لله و رسوله من اليهود و النصارى فهذه الأمور و أمثالها مما هي ظاهرة مشهورة يعرفها الخاصة و العامة توجب ظهور مباينتهم للمسلمين و مفارقتهم للدين و دخولهم في زمرة الكفار و المنافقين حتى يعدهم من رأى أحوالهم جنسا آخر غير جنس المسلمين فإن المسلمين الذين يقيمون دين الإسلام في الشرق و الغرب قديما و حديثا هم الجمهور و الرافضة ليس لهم سعي إلا في هدم الإسلام و نقض عراه و إفساد قواعده و القدر الذي عندهم من الإسلام إنما قام بسبب قيام الجمهور به و لهذا قراءة القرآن فيهم قليلة و من يحفظه حفظا جيدا فإنما تعلمه من أهل السنة و كذلك الحديث إنما يعرفه و يصدق فيه و يؤخذ عن أهل السنة و كذلك الفقه و العبادة و الزهد و الجهاد و القتال إنما هو لعساكر أهل السنة و هم الذين حفظ الله بهم الدين علما و عملا بعلمائهم و عبادهم و مقاتليهم و الرافضة من اجهل الناس بدين الإسلام و ليس للإنسان منهم شيء يختص به إلا ما يسر عدو الإسلام و يسوء وليه فأيامهم في الإسلام
7 416 كلها سود وأعرف الناس بعيوبهم و ممادحهم أهل السنة لا تزال تطلع منهم على أمور غيرها عرفتها كما قال تعالى في اليهود و لا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم و لو ذكرت بعض ما عرفته منهم بالمباشرة و نقل الثقات و ما رايته في كتبهم لاحتاج ذلك إلى كتاب كبير و هم الغاية في الجهل و قلة العقل يبغضون من الأمور ما لا فائدة لهم في بغضه ويفعلون من الأمور ما لا منفعة لهم فيه إذا قدر انهم على حق مثل نتف النعجة حتى كأن لهم عليها ثأرا كأنهم ينتفون عائشة و شق جوف الكبش كأنهم يشقون جوف عمر فهل فعل هذا أحد من طوائف المسلمين بعدوه غيرهم و لو كان مثل هذا مشروعا لكان بأبي جهل و أمثاله أولى - ولا ريب أن كثيرا ممن يحب الرسول من بني هاشم وغيرهم وقد تشيع قد تلقى من الرافضة ما هو من أعظم الأمور قدحا في الرسول فإن أصل الرفض إنما أحدثه زنديق غرضه إبطال دين الإسلام والقدح
8 479 في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد ذكر ذلك العلماء وكان عبد الله بن سبأ شيخ الرافضة لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه كما فعل بولص بدين النصارى فأظهر النسك ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى

سعى في فتنة عثمان وقتله ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي والنص عليه ليتمكن بذلك من أغراضه وبلغ ذلك عليا فطلب قتله فهرب منه إلى قرقيسيا وخبره معروف وقد ذكره غير واحد من العلماء وإلا فمن له أدنى خبرة بدين الإسلام يعلم أن مذهب الرافضة مناقض له ولهذا كانت الزنادقة الذين قصدهم إفساد الإسلام يأمرون باظهار التشيع والدخول إلى مقاصدهم من باب الشيعة كما ذكر ذلك إمامهم صاحب البلاغ الأكبر والناموس الأعظم قال القاضي أبو بكر بن الطيب وقد اتفق جميع الباطنية وكل مصنف لكتاب ورسالة منهم في ترتيب الدعوة المضلة على أن من سبيل الداعي إلى دينهم ورجسهم المجانب لجميع أديان الرسل والشرائع أن يجيب الداعي إليه الناس بما يبين وما يظهر له من أحوالهم

8 480 ومذاهبهم وقالوا لكل داع لهم إلى ضلالتهم ما أنا حاك لألفاظهم وصيغة قولهم بغير زيادة ولا نقصان ليعلم بذلك كفرهم وعنادهم لسائر الرسل والملل فقالوا للداعي يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلما أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك واجعل المدخل عليه من جهة ظلم السلف وقتلهم الحسين وسبيهم نساءه وذريته والتبرى من تيم وعدي ومن بني أمية وبني العباس وأن تكون قائلا بالتشبيه والتجسيم والبدء والتناسخ والرجعة والغلو وأن عليا إله يعلم الغيب مفوض إليه خلق العالم وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم فإنهم أسرع إلى إجابتك بهذ الناموس حتى تتمكن منهم مما تحتاج إليه أنت ومن بعدك ممن تثق به من أصحابك فترقيهم إلى حقائق الأشياء حالا فحالا ولا تجعل كما جعل المسيح ناموسه في زور موسى القول بالتوراة وحفظ السبت ثم عجل وخرج عن الحد وكان له ما كان يعني من قتلهم له بعد تكذيبهم إياه وردهم عليه وتفرقهم عنه فإذا آنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشدا أوفقته على مثالب علي وولده وعرفته حقيقة الحق لمن هو وفيمن هو وباطل بطلان كل ما عليه أهل ملة محمد صلى الله عليه وسلم وغيره

8 481 من الرسل ومن وجدته صابئا فأدخله مداخله بالأشانيع وتعظيم الكواكب فإن ذلك ديننا وجل مذهبنا في أول أمرنا وأمرهم من جهة الأشانيع يقرب عليك أمره جدا ومن وجدته مجوسيا اتفقت معه في الأصل في الدرجة الرابعة من تعظيم النار والنور والشمس والقمر واتل عليهم أمر السابق وأنه نهر من الذي يعرفونه وثالثه المكنون من ظنه الجيد والظلمة المكتوبة فإنهم مع الصابئين أقرب الأمم إلينا وأولاهم بنا لولا يسير صحفوه بجهلهم به قالوا وإن ظفرت بيهودي فادخل عليه من جهة انتظار المسيح

وأنه المهدى الذي ينتظره المسلمون بعينه وعظم السبت عندهم وتقرب إليهم بذلك وأعلمهم أنه مثل يدل على ممثول وأن ممثوله يدل على السابع المنتظر يعنون محمد بن إسماعيل بن جعفر وأنه دوره وأنه هو المسيح وهو المهدي وعند معرفته تكون الراحة من الأعمال وترك التكليفات كما أمروا بالراحة يوم السبت وأن راحة السبت هو دلالة على الراحة من التكليف والعبادات في دور السابع المنتظر وتقرب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين الجهال الحياري الذين يزعمون أن عيسى

8 482 لم يولد ولا أب له وقو في نفوسهم أن يوسف النجار أبوه وأن مريم أمه وأن يوسف النجار كان ينال منها ما ينال الرجال من النساء وما شاكل ذلك فإنهم لن يلبثوا أن يتبعوك قال وإن وجدت المدعي نصرانيا فادخل عليه بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا وصحة قولهم في الثالوث وأن الأب والابن وروح القدس صحيح وعظم الصليب عندهم وعرفهم تأويله وإن وجدته مثانيا فإن المثانية تحرك الذي منه يعترف فداخلهم بالممازجة في الباب السادس في الدرجة السادسة من حدود البلاغ التي يصفها من بعد وامتزج بالنور وبالظلام فإنك تملكهم بذلك وإذا آنست من بعضهم رشدا فاكشف له الغطاء ومتى وقع إليك فيلسوف فقد علمت أن الفلاسفة هم العمدة لنا وقد أجمعنا نحن وهم على إبطال نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا بعضهم من أن للعالم مدبرا لا يعرفونه فإن وقع الاتفاق منهم على أنه لا مدبر للعالم فقد زالت الشبهة بيننا وبينهم وإذا وقع لك ثنوي منهم فبخ بخ قد ظفرت يداك بمن يقل معه تعبك والمدخل عليه بإبطال التوحيد والقول بالسابق والتالي ورتب له ذلك على ما هو مرسوم لك في أول درجة البلاغ وثانيه وثالثه

8 483 وسنصف لك عنهم من بعد واتخذ غليظ العهود وتوكيد الأيمان وشدة المواثيق جنة لك وحصنا ولا تهجم على مستجيبك بالأشياء الكبار التي يستبشعونها حتى ترقيهم إلى أعلى المراتب حالا فحالا وتدرجهم درجة درجة على ما سنبينه من بعد وقف بكل فريق حيث احتمالهم فواحد لا تزيده على التشيع والائتمام بمحمد بن إسماعيل وأنه حي لا تجاوز به هذا الحد لا سيما إن كان مثله ممن يكثر به وبموضع اسمه وأظهر له العفاف عن الدرهم والدينار وخفف عليه وطأتك مرة بصلاة السبعين وحذره الكذب والزنا واللواط وشرب النبيذ وعليك في أمره بالرفق والمداراة له والتودد وتصبر له إن كان هواه متبعا لك تحظ عنده ويكون لك عونا على دهرك وعلى من لعله يعاديك من أهل الملل ولا تأمن أن يتغير عليك بعض أصحابك ولا تخرجه عن عبادة إلهة والتدين بشريعة محمد نبيه

صلى الله عليه وسلم والقول بإمامة علي وبنيه إلى محمد بن إسماعيل وأقم له دلائل الأسابيع فقط ودقه بالصوم والصلاة دقا وشدة الاجتهاد فإنك يومئذ إن أو مات إلى كريمته فضلا عن ماله لم يمنعك وإن أدركته الوفاة فوض إليك ما خلفه وورثك إياه ولم ير في العالم من هو أوثق منك وآخر ترقية إلى نسخ شريعة محمد وأن السابع هو الخاتم للرسل وأنه ينطق كما ينطقون ويأتي بأمر جديد وأن محمدا صاحب

8 484 الدور السادس وأن عليا لم يكن إماما وإنما كان سوسا لمحمد وحسن القول فيه وإلا سياسية فإن هذا باب كبير وعمل عظيم منه ترقى إلى ما هو أعظم منه وأكبر منه ويعينك على زوال ما جاء به من قبلك من وجوب زوال النبوات على المنهاج الذي هو عليه وإياك أن ترتفع من هذا الباب إلا إلى من تقدر فيه النجابة وآخر ترقيه من هذا إلى معرفة القرآن ومؤلفه وسببه وإياك أن تغتر بكثير ممن يبلغ معك إلى هذه المنزلة فترقيه إلى غيرها ألا يغلطون المؤانسة والمدارسة واستحكام الثقة به فإن ذلك يكون لك عونا على تعطيل النبوات والكتب التي يدعونها منزلة من عند الله وآخر ترقية إلى إعلامه أن القائم قد مات وأنه يقوم روحانيا وأن الخلق يرجعون إليه بصورة روحانية تفصل بين العباد بأمر الله عز وجل ويستصفى المؤمنين من الكافرين بصوره روحانية فإن ذلك يكون أيضا عونا لك عند إبلاغه إلى إبطال المعاد الذي يزعمونه والنشور من القبر وآخر ترقيه من هذا إلى إبطال أمر الملائكة في السماء والجن في الأرض وأنه كان قبل آدم بشر كثير وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة في كتبنا فإن ذلك مما يعينك وقت بلاغه على تسهيل التعطيل للوحى والإرسال إلى البشر بملائكة والرجوع إلى الحق والقول بقدم العالم

8 485 وآخر ترقية إلى أوائل درجة التوحيد وتدخل عليه بما تضمنه كتابهم المترجم بكتاب الدرس الشافعي للنفس من أنه لا إله ولا صفة ولا موصوف فإن ذلك يعينك على القول بالإلهية لمستحقها عند البلاغ وإلى ذلك يعنون بهذا أن كل داع منهم يترقى درجة درجة إلى أن يصير إماما ناطقا ثم ينقلب الها روحانيا على ما سنشرح قولهم فيه من بعد قالوا ومن بلغته إلى هذا المنزلة فعرفه حسب ما عرفناك من حقيقة أمر الإمام وأن إسماعيل وأباه محمدا كانا من نوابه ففي ذلك عون لك على إبطال إمامة على وولده عند البلاغ والرجوع إلى القول بالحق ثم لا يزال كذلك شيئا فشيئا حتى يبلغ الغاية القصوى على تدريج يصفه عنهم فيما بعد قال القاضي فهذه وصيتهم جميعا للداعي إلى مذاهبهم وفيها أوضح دليل لكل عاقل على كفر القوم وإلحادهم وتصريحهم

بإبطال حدوث العالم ومحدثه وتكذيب ملائكته ورسله وجحد المعاد والثواب والعقاب وهذا هو الأصل لجميعهم وإنما يتمحرقون بذكر الأول والثاني والناطق والأساس إلى غير ذلك ويخدعون به الضعفاء حتى إذا استجاب لهم مستجيب أخذوه بالقول بالدهر والتعطيل

8 486 وسأصف من بعد من عظيم سبهم لجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وتجريدهم القول بالاتحاد وأنه نهاية دعوتهم ما يعلم به كل قار له عظيم كفرهم وعنادهم للدين قلت وهذا بين فإن الملاحدة من الباطنية الإسماعيلية وغيرهم والغلاة النصيرية وغير النصيرية إنما يظهرون التشيع وهم في الباطن أكفر من اليهود والنصارى فدل ذلك على أن التشيع دهليز الكفر والنفاق والصديق رضي الله عنه هو الإمام في قتال المرتدين وهؤلاء مرتدون فالصديق وحزبه هم أعداؤه والمقصود هنا أن الصحبة المذكورة في قوله إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا سورة التوبة صحبة موالاة للمصحوب ومتابعة له لا صحبة نفاق كصحبة المسافر للمسافر وهي من الصحبة التي يقصدها الصاحب لمحبة المصحوب كما هو معلوم عند جماهير الخلائق علما ضروريا بما تواتر عندهم من الأمور الكثيرة أن أبا بكر كان في الغاية من محبة النبي صلى الله عليه وسلم وموالاته والإيمان به أعظم مما يعلمون أن عليا كان مسلما وأنه كان ابن عمه وقوله إن الله معنا لم يكن لمجرد الصحبة الظاهرة التي ليس فيها

8 487 متابعة فإن هذه تحصل للكافر إذا صحب المؤمن ليس الله معه بل إنما كانت المعية للموافقة الباطنية والموالاة له والمتابعة ولهذا كل من كان متبعا للرسول كان الله معه بحسب هذا الاتباع قال الله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين سورة الأنفال أي حسبك وحسب من اتعبك فكل من اتبع الرسول من جميع المؤمنين فالله حسبه وهذا معنى كون الله معه والكفاية المطلقة مع الاتباع المطلق والناقصة مع الناقص وإذا كان بعض المؤمنين به المتبعين له قد حصل له من يعاديه على ذلك فالله حسبه وهو معه وله نصيب من معنى قوله إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فإن هذا قلبه موافق للرسول وإن لم يكن صحبه ببدنه والأصل في هذا القلب كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن بالمدينة رجالا ما سرتم ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر 8

488 فهؤلاء بقلوبهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغزاة فلهم معنى صحبته في الغزاة فالله معهم بحسب تلك الصحبة المعنوية ولو انفرد الرجل في بعض الأمصار والأعصار

بحق جاء به الرسول ولم تنصره الناس عليه فإن الله معه وله نصيب من قوله إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا سورة التوبة فإن نصر الرسول هو نصر دينه الذي جاء به حيث كان ومتى كان ومن وافقه فهو صاحبه عليه في المعنى فإذا قام به ذلك الصاحب كما أمر الله فإن الله مع ما جاء به الرسول ومع ذلك القائم به وهذا المتبع له حسبه الله وهو حسب الرسول كما قال تعالى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين سورة الأنفال

****

ولذلك كان موقفه حازما وصريحا مع أولاد ابن العلقمي وهو القتل فلا لقاء بيننا وبينهم
وهذا هو الشريط الذي تكلم فيه عن هذا الموضوع :
وعاد أحفاد ابن العلقمي - الشيخ أبو مصعب الزرقاوي
http://www.tajdeed.org.uk/forums/showthread.php?s=&threadid=27820

وأما الذين يحاولون أن يستروا هذه الحقيقة ويلبسوا عليها أمثال المرجع الديني عندهم ((محمد حسين فضل الله)) وغيره فهؤلاء يزيفون الحقيقة ويستعملون التقية كعادتهم فلا يجوز الوثوق بكلامهم وما يجري على الأرض يكذب جميع مزاعمهم
وقد قمت بالرد عليه في لقاء له مع الجزيرة
وهناك أخوة غيورين على دينهم حاولوا كشف حقيقة الرافضة ودورهم التآمري على الإسلام والمسلمين أمثال :
كتاب وجاء دور المجوس
تجده هنا :
http://www.tajdeed.org.uk/forums/showthread.php?s=&threadid=35603
وكتاب أبعاد التحالف الرافضي الصليبي في العراق وآثاره على المنطقة
http://www.tajdeed.org.uk/forums/showthread.php?s=&threadid=33719

وهنا كتب كثيرة في الرد عليهم
http://www.tawhed.ws/f?k=%C7%E1%D4%ED%DA%C9&c=83&s=t

- **سادسا- موقفه من البرزاني وطالباني الكرديين**

موقف واضح وصريح فهما مرتدان ويتعاونان مع المحتل الغازي فالحرب بيننا وبينهم

وهذا هو الموقف الصحيح فالمسلم الحق ولاؤه وبراؤه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فلا قومية ولا إقليمية ، رضي من رضي وأنكر من أنكر

قال تعالى :

{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (55) سورة المائدة

وقال تعالى :

{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (4 }رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5) { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (6) سورة الممتحنة

فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم . وهو الكفر بهم والإيمان بالله . وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده . وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان . وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل . وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين .

ولقد كان بعض المسلمين يجد في استغفار إبراهيم لأبيه - وهو مشرك - ثغرة تنفذ منها عواطفهم الحبيسة ومشاعرهم الموصولة بذوي قرباهم من المشركين . فجاء القرآن ليشرح لهم حقيقة موقف إبراهيم في قوله لأبيه: (لأستغفرن لك) . .

فلقد قال هذا قبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك . قاله وهو يرجو إيمانه ويتوقعه: (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) . . كما جاء في سورة أخرى .

ويثبت هنا أن إبراهيم فوض الأمر كله لله , وتوجه إليه بالتوكل والإنابة والرجوع إليه على كل حال:

(وما أملك لك من الله من شيء . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) . .

وهذا التسليم المطلق لله , هو السمة الإيمانية الواضحة في إبراهيم يبرزها هنا ليوجه إليها قلوب أبنائه المسلمين . كحلقة من حلقات التربية والتوجيه بالقصص والتعقيب عليه , وإبراز ما في ثناياه من ملامح وسمات وتوجيهات على طريقة القرآن الكريم .

ويستطرد لهذا في إثبات بقية دعاء إبراهيم ونجواه لمولاه:
(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) . .
فلا تسلطهم علينا . فيكون في ذلك فتنة لهم , إذ يقولون:لو كان الإيمان يحمي أهله ما سلطنا عليهم وقهرناهم ! وهي الشبهة التي كثيرا ما تحيك في الصدور , حين يتمكن الباطل من الحق , ويتسلط الطغاة على أهل الإيمان - لحكمة يعلمها الله - في فترة من الفترات . والمؤمن يصبر للابتلاء , ولكن هذا لا يمنعه أن يدعو الله ألا يصيبه البلاء الذي يجعله فتنة وشبهة تحيك في الصدور .
وبقية الدعاء:
(واغفر لنا) . .
يقولها إبراهيم خليل الرحمن . إدراكا منه لمستوى العبادة التي يستحقها منه ربه , وعجزه ببشريته عن بلوغ المستوى الذي يكافئ به نعم الله وآلاءه , ويمجد جلاله وكبرياءه فيطلب المغفرة من ربه , ليكون في شعوره وفي طلبه أسوة لمن معه ولمن يأتي بعده .
ويختم دعاءه وإنابته واستغفاره يصف ربه بصفته المناسبة لهذا الدعاء:
(ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) . .
العزيز:القادر على الفعل , الحكيم:فيما يمضي من تدبير .
وفي نهاية هذا العرض لموقف إبراهيم والذين معه , وفي استسلام إبراهيم وإنابته يعود فيقرر الأسوة ويكررها ; مع لمسة جديدة لقلوب المؤمنين:
(لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) . .
فالأسوة في إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . وهؤلاء هم الذين يدركون قيمة التجربة التي عاناها هذا الرهط الكريم , ويجدون فيها أسوة تتبع , وسابقة تهدي . فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتخذ منها أسوة . .
وهو تلميح موح للحاضرين من المؤمنين .
فأما من يريد أن يتولى عن هذا المنهج . من يريد أن يحيد عن طريق القافلة . من يريد أن ينسلخ من هذا النسب العريق . فما بالله من حاجة إليه - سبحانه - (فإن الله هو الغني الحميد) . . (الظلال)

وقال تعالى :

{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (22) سورة المجادلة

إنها المفاضلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان , والانحياز النهائي للصف المتميز , والتجرد من كل عائق وكل جاذب , والارتباط في العروة الواحدة بالحبل الواحد .
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) . .
فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه , وما يجمع إنسان في قلب واحد ودين:ودا لله ورسوله وودا لأعداء الله ورسوله ! فإما إيمان أو لا إيمان . أما هما معا فلا يجتمعان .
(ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) . .
فروابط الدم والقرابة هذه تتقطع عند حد الإيمان . إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين:لواء الله ولواء الشيطان . والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان . فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد . ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر . وهم الصديق أبو بكر بقتل ولده عبد الرحمن . وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير . وقتل عمر وحمزة وعلي وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم . متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة . وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله .
(أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) . .
فهو مثبت في قلوبهم بيد الله مكتوب في صدورهم بيمين الرحمن . فلا زوال له ولا اندثار , ولا انطماس فيه ولا غموض !
(وأيدهم بروح منه) . .
وما يمكن أن يعزموا هذه العزمة إلا بروح من الله . وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح الذي يمدهم بالقوة والإشراق , ويصلهم بمصدر القوة والإشراق .
(ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) . .
جزاء ما تجردوا في الأرض من كل رابطة وآصرة ; ونفضوا عن قلوبهم كل عرض من أعراضها الفانية .
(رضي الله عنهم ورضوا عنه) . .
وهذه صورة وضيئة راضية مطمئنة , ترسم حالة المؤمنين هؤلاء , في مقام عال رفيع . وفي جو راض وديع . .
ربهم راض عنهم وهم راضون عن ربهم . انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به ; فتقبلهم في كنفه , وأفسح لهم في جنابه , وأشعرهم برضاه . فرضوا . رضيت نفوسهم هذا القرب وأنست به واطمأنت إليه . .

(أولئك حزب الله) . .
فهم جماعته . المتجمعة تحت لوائه . المتحركة بقيادته . المهتدية بهديه . المحققة لمنهجه . الفاعلة في الأرض ما قدره وقضاه . فهي قدر من قدر الله .
(ألا إن حزب الله هم المفلحون) .
ومن يفلح إذن إذا لم يفلح أنصار الله المختارون ؟
وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين:حزب الله وحزب الشيطان . وإلى رايتين اثنتين:
راية الحق وراية الباطل . فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق , وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل . .
وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان !!
لا نسب ولا صهر , ولا أهل ولا قرابة , ولا وطن ولا جنس , ولا عصبية ولا قومية . . أنما هي العقيدة , والعقيدة وحدها . فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله . تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم , وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم , ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله , فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة . ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت رايةالباطل , فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة لا من أرض , ولا من جنس , ولا من وطن ولا من لون , ولا من عشيرة ولا من نسب ولا من صهر . . لقد أنبتت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فأنبتت هذه الوشائج جميعا . .
ومع إيحاء هذه الآية بأنه كان هناك في الجماعة المسلمة من تشده أواصر الدم والقرابة وجواذب المصلحة والصداقة , مما تعالجه هذه الآية في النفوس , وهي تضع ميزان الإيمان بهذا الحسم الجازم , والمفاضلة القاطعة . .
إلا أنها في الوقت ذاته ترسم صورة لطائفة كانت قائمة كذلك في الجماعة المسلمة , ممن تجردوا وخلصوا ووصلوا إلى ذلك المقام . وهذه الصورة هي أنسب ختام للسورة التي بدأت بتصوير رعاية الله وعنايته بهذه الأمة في واقعة المرأة الفقيرة التي سمع الله لها وهي تجادل رسوله صلى الله عليه وسلم في شأنها وشأن زوجها !
فالانقطاع لله الذي يرعى هذه الأمة مثل هذه الرعاية هو الاستجابة الطبيعية . والمفاضلة بين حزب الله وحزب الشيطان هي الأمر الذي لا ينبغي غيره للأمة التي اختارها الله للدور الكوني الذي كلفها إياه . (الظلال)

وهذا ما يجب أن يعيه أصحاب الصحوة الإسلامية في كل زمان ومكان

- **سابعا – ضم أجنحة الجهاد تحت راية واحدة بعنوان ((جماعة التوحيد والجهاد))**

وهذا ما سر الصديق وأغاظ العدو بل وأعلن انضمامه لقاعدة الجهاد العالمية

وهو مطلب شرعي حتى لا يتفتت الجهاد في سبيل الله وهو ما رحب به أمير المجاهدين الشيخ المجاهد أسامة بن دلان حفظه الله وباركه ونصب أبا معصب أميرا للجهاد في بلاد الرافدين مما أغاظ الأعداء أكثر الذين يحاولون الاصطياد في الماء العكر

- **ثامنا - يحاول أعداء الإسلام والمنافقين التقليل من شأن أبي مصعب الزرقاوي ويقولون كيف يستطيع أن يفعل كل هذا الذي ينسب إليه ؟؟**

فيقال لهم :

بما أنكم فقدتم الإيمان الحقيقي الذي يصنع المعجزات وتعيشون في ظل الفراعنة فإنكم بلا شك سوف تستغربون ذلك لكن إجماع المجاهدين وذوي الشأن على الزرقاوي حفظه الله يجعله حقيقة لا ريب فيها وغصة في حلوقكم وحلوق أعداء الإسلام

فالأمة التي أنجبت الخلفاء الراشدين وسعدا وأبا عبيدة وخالدا والمثنى وعمروا وعقبة بن نافع وطارق بن زياد وموسى بن نصير وقتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي وهارون الرشيد والمعتصم عماد الدين الزنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي والعز بن عبد السلام وقطز وشيخ الإسلام ابن تيمية ومن جاء بعدهم من الأخيار الأبرار قادرة على أن تنجب مثلهم

لقد نسي هؤلاء التأييد الإلهي الذي يمنحه الله تعالى لعباده الصالحين في وقت الكرب والشدة

فلا تلتفت أخي المؤمن لمثل هذه الترهات والأراجيف

- **تاسعا- لماذا ينكر بعض أهل العراق وجود الزرقاوي بينهم ؟؟**

قلت : هذا أمر طبيعي فالرزقاوي حفظه الله يأخذ بعنصر الحيطة والحذر الشديدين ويبقى مقنعا فلا يعرفه إلا من كان له صلة به مباشرة

ولا سيما أنه المطلوب رقم واحد في العراق لكل الجهات فكلها تتمنى القضاء على الزرقاوي
وفاتهم جميعا قول الله تعالى :
{ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (64) سورة يوسف

- عاشرا – سرعة الحركة عند الزرقاوي حفظه الله حيث إنك تجده في كل مكان في العراق فهو يخطط ويشارك في المعارك الفاصلة بين المجاهدين وبين أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من الكفار والمرتدين والمنافقين فهو يصول ويجول في كل مكان بالعراق وبحماية من الله تعالى
وهكذا يجب أن يكون القائد المغوار الشجاع

- الحادي عشر – أين المقاومة العراقية إذن ؟؟
لقد وجد الزرقاوي مكانا خصبا في العراق حيث فيها الرجال الأشداء وفيها ذووي خبرة بالقتال وفيها أسلحة تركها النظام البائد كل ذلك وفر له المناخ المناسب للجهاد وأدواته
وأمر طبيعي أن يكون هو القائد الأعلى في الجهاد في العراق وليس واحد من أهل العراق والسبب في ذلك يعود لأمور عدة : منها عقيدة الزرقاوي العميقة في الجهاد في سبيل الله تعالى من خلال التربية الجهادية التي تربى عليها وهذا كان مفقودا في العراق في ظل البعث الكافر الذي ربى الناس على الذل والهوان والسجود للطاغوت صدام والتسبيح بحمده ليل نهار ومنها خبرة الزرقاوي القتالية في غير العراق مما لا يعرفه العراقيون
ومنها خبرته بحرب المدن وحرب العصابات والتي لا تكون إلا في ظل الاحتلال
ولذلك نجد جماعة الزرقاوي هم أشد الناس فتكا بالعدو غالب العمليات الاستشهادية يقومون بها هم وغالبهم من غير العراق
ومع كل هذه الأسباب وغيرها فقد تجاوب معه الإخوة في العراق لأن المحنة محنتهم والمصيبة مصيبتهم
وهناك فرق كبير بين أهدافهم

- الثاني عشر – لماذا القائم مثلا ؟؟
بالرغم أن المقاومة الإسلامية في العراق تعمل بطول البلاد وعرضها من البصرة حتى كركوك

ولكن مدينة القائم لها وضعها الخاص حيث جرت فيها معارك شرسة وعنيدة وما زالت وستبقى بعون الله تعالى حتى زوال الاحتلال
والسبب في هذا فيما أرى أنها مدينة حدودية يتقاطر إليها المجاهدون وخاصة من الشام فهي تعطي المقاومة مددا دائما
وربما يسأل سائل كيف تسمح سوريا والأردن بدخول هؤلاء المجاهدين إليها ؟؟
فيقال لهم :
إنهم يدخلون في الغالب سرا وليس علانية لأن جميع هذه الدول متآمرة على الجهاد في العراق وفي غيره وكلها موالية لأعداء الإسلام تقدم لهم كل عون ومساعدة
بل ومن تمسك به تزج به في السجون وتعذبه ثم تسلمه لبلده وهذا كثير جدا
ولكن قد يحدث أحيانا أن يتغاضى بعض المسئولين عن تسلل المجاهدين وذلك من أجل التخلص منهم في العراق حيث إن الذي يذهب للعراق ذاهب للموت
فيتخلصون منهم دون عناء كما كانت تفعل دول الخليج في إرسال المجاهدين لأفغانستان
وأحيانا أخرى يتغاضون عنهم من أجل امتصاص الغضب الشعبي العارم
وأحيانا يبتعدون عن مكان دخول المجاهدين لأنهم لا يريدون أن يموتوا ((أعني حرس الحدود)) فهم حريصون على الدنيا كالأمريكان وخاصة أن الكثيرين صار يشعر أن الجميع مستهدف من قبل أعداء الإسلام وأن أمريكا وحلفاءها تريد القضاء على الإسلام والمسلمين

• - الثالث عشر – ماذا قدمت المقاومة الإسلامية في العراق ؟؟

لقد الكثير الكثير فقد قدمت آلاف الشهداء الذين رووا هذه الأرض بدمائهم الطاهرة الزكية العطرة
وبينت للعالم أجمع أن هذه الأمة لم تمت بل ما زالت حية ، وفيها بقية من خير مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم
ففي البخاري 7460 حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِىُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ حَدَّثَنِى عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ « لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِى أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ » فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ سَمِعْتُ

مُعَاذًا يَقُولُ وَهُمْ بِالشَّأْمِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ وَهُمْ بِالشَّأْمِ .
ولذلك فقد غيرت جميع مخططات العدو الذي كان يريد أن يجعل من العراق مركز انطلاقه إلى بقية الدول يفعل بها ما يشاء كما فعلت بريطانيا وفرنسا ببلاد المسلمين في اتفاقية سايكس بيكو
ولكن الله تعالى قد أبطل عليهم هذه المخططات
قال تعالى :
{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (30) سورة الأنفال
وقد أوقعت المقاومة الإسلامية في صفوف العدو الخسائر الفادحة والتي ما كان يتوقعها أبدا
وجعلته يعيش في رعب وخوف دائمين ومن ثم لا يدري العدو ماذا يفعل مع هؤلاء الذين يحبون الموت أكثر مما يحب الحياة

- **الرابع عشر- مهما شوه الأعداء الحقيقة فلن يستطيعوا ذلك**

لقد حاول العدو السيطرة على جميع وسائل الإعلام المرئية وغير المرئية ومنع الصحفيين في العراق من نقل أي خبر حتى يمر على مقص الرقيب الأمريكي وحاول ضرب المواقع الجهادية على النت
فباءت جميع محاولاته بالفشل الذريع وهاهي أخبار المجاهدين على النت في مواقع كثيرة جدا
فقد استطاعت أن تصمد أمام المحنة وصار المصدر الوحيد لتلقي أخبار المجاهدين هي المواقع الجهادية وليس قناة الجزيرة ولا غيرها من قنوات صارت بوقا للعدو الغازي المحتل كما أنها أصحبت تشوه الجهاد في العراق وتقلل من أهميته فباءت محاولاتها بالفشل كذلك
قال تعالى :
{ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (32) سورة التوبة
إن أهل الكتاب هؤلاء لا يقفون عند حد الانحراف عن دين الحق , وعبادة أرباب من دون اللّه . وعدم الإيمان باللّه واليوم الآخر - وفق المفهوم الصحيح للإيمان باللّه واليوم الآخر - إنما هم كذلك يعلنون الحرب على دين الحق ; ويريدون إطفاء نور اللّه في الأرض المتمثل في هذا الدين , وفي الدعوة التي تنطلق به في الأرض , وفي المنهج الذي يصوغ على وفقه حياة البشر . .
(يريدون أن يطفئوا نور اللّه بأفواههم) . .

فهم محاربون لنور اللّه . سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن ; أو بما يحرضون به أتباعهم وأشياعهم على حرب هذا الدين وأهله , والوقوف سداً في وجهه - كما كان هو الواقع الذي تواجهه هذه النصوص وكما هو الواقع على مدار التاريخ .
وهذا التقرير - وإن كان يراد به استجاشة قلوب المسلمين إذ ذاك - هو كذلك يصور طبيعة الموقف الدائم لأهل الكتاب من نور اللّه المتمثل في دينه الحق الذي يهدي الناس بنور اللّه .
(ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) . .
وهو الوعد الحق من اللّه , الدال على سنته التي لا تتبدل , في إتمام نوره بإظهار دينه ولو كره الكافرون . .
وهو وعد تطمئن له قلوب الذين آمنوا ; فيدفعهم هذا إلى المضي في الطريق على المشقة واللأواء في الطريق ; وعلى الكيد والحرب من الكافرين [والمراد بهم هنا هم أهل الكتاب السابق ذكرهم] . . كما أنه يتضمن في ثناياه الوعيد لهؤلاء الكافرين وأمثالهم على مدار الزمان !
ويزيد السياق هذا الوعيد وذلك الوعد توكيداً:
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله , ولو كره المشركون) . .
وفي هذا النص يتبين أن المراد بدين الحق الذي سبق في قوله تعالى:(قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) . .
هو هذا الدين الذي أرسل اللّه به رسوله الأخير . وأن الذين لا يدينون بهذا الدين هم الذين يشملهم الأمر بالقتال . .
وهذا صحيح على أي وجه أوّلنا الآية . فالمقصود إجمالاً بدين الحق هو الدينونة للّه وحده في الاعتقاد والشعائر والشرائع - وهذه هي قاعدة دين اللّه كله , وهو الدين الممثل أخيراً فيما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - فأيما شخص أو قوم لم يدينوا للّه وحده في الاعتقاد والشعائر والشرائع مجتمعة ; انطبق عليهم أنهم لا يدينون دين الحق , ودخلوا في مدلول آية القتال . . مع مراعاة طبيعة المنهج الحركي للإسلام , ومراحله المتعددة , ووسائله المتجددة كما قلنا مراراً .
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله , ولو كره المشركون) . .
وهذا توكيد لوعد اللّه الأول:

(ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) . . ولكن في صورة أكثر تحديداً . فنور اللّه الذي قرر سبحانه أن يتمه , هو دين الحق الذي أرسل به رسوله ليظهره على الدين كله .
ودين الحق - كما أسلفنا - هو الدينونة للّه وحده في الاعتقاد والعبادة والتشريع مجتمعة . وهو متمثل في كل دين سماوي جاء به رسول من قبل . . ولا يدخل فيه طبعاً تلك الديانات المحرفة المشوبة بالوثنيات في الاعتقاد التي عليها اليهود والنصارى اليوم . كما لا تدخل فيه الأنظمة والأوضاع التي ترفع لافتة الدين , وهي تقيم في الأرض أرباباً يعبدها الناس من دون اللّه , في صورة الاتباع للشرائع التي لم ينزلها اللّه .
واللّه سبحانه يقول:إنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . . ويجب أن نفهم "الدين" بمدلوله الواسع الذي بيناه , لندرك أبعاد هذا الوعد الإلهي ومداه . .
إن "الدين" هو "الدينونة " . .
فيدخل فيه كل منهج وكل مذهب وكل نظام يدين الناس له بالطاعة والاتباع والولاء . .
واللّه سبحانه يعلن قضاءه بظهور دين الحق الذي أرسل به رسوله على "الدين" كله بهذا المدلول الشامل العام !
إن الدينونة ستكون للّه وحده . والظهور سيكون للمنهج الذي تتمثل فيه الدينونة للّه وحده .
ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان . وكان دين الحق أظهر وأغلب ; وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة للّه تخاف وترجف ! ثم تخلى أصحاب دين الحق عنه ; خطوة فخطوة بفعل عوامل داخلة في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية وبفعل الحرب الطويلة المدى , المنوعة الأساليب , التي أعلنها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء . .
ولكن هذه ليست نهاية المطاف . .
إن وعد اللّه قائم , ينتظر العصبة المسلمة , التي تحمل الراية وتمضي , مبتدئة من نقطة البدء , التي بدأت منها خطوات رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - وهو يحمل دين الحق ويتحرك بنور اللّه . . (الظلال)
وقال تعالى :
{يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (8) سورة الصف

ولقد وقف بنو إسرائيل في وجه الدين الجديد وقفة العداء والكيد والتضليل , وحاربوه بشتى الوسائل والطرق حربا شعواء لم تضع أوزارها حتى اليوم . حاربوه بالاتهام:
(فلما جاءهم بالبينات قالوا:هذا سحر مبين) . .
كما قال الذين لا يعرفون الكتب ولا يعرفون البشارة بالدين الجديد . وحاربوه بالدس والوقيعة داخل المعسكر الإسلامي , للإيقاع بين المهاجرين والأنصار في المدينة , وبين الأوس والخزرج من الأنصار . وحاربوه بالتآمر مع المنافقين تارة ومع المشركين تارة . وحاربوه بالانضمام إلى معسكرات المهاجمين كما وقع في غزوة الأحزاب . وحاربوه بالإشاعات الباطلة كما جرى في حديث الإفك على يد عبدالله بن أبي بن سلول , ثم ما جرى في فتنة عثمان على يد عدو الله عبدالله بن سبأ . وحاربوه بالأكاذيب والإسرائيليات التي دسوها في الحديث وفي السيرة وفي التفسير - حين عجزوا عن الوضع والكذب في القرآن الكريم .
ولم تضع الحرب أوزارها لحظة واحدة حتى اللحظة الحاضرة . فقد دأبت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على الكيد للإسلام , وظلتا تغيران عليه أو تؤلبان عليه في غير وناة ولا هدنة في جيل من الأجيال . حاربوه في الحروب الصليبية في المشرق , وحاربوه في الأندلس في المغرب , وحاربوه في الوسط في دولة الخلافة الأخيرة حربا شعواء حتى مزقوها وقسموا تركة ما كانوا يسمونه "الرجل المريض" . .
واحتاجوا أن يخلقوا أبطالا مزيفين في أرض الإسلام يعملون لهم في تنفيذ أحقادهم ومكايدهم ضد الإسلام . فلما أرادوا تحطيم "الخلافة " والإجهاز على آخر مظهر من مظاهر الحكم الإسلامي صنعوا في تركيا "بطلا" ! . .
ونفخوا فيه . وتراجعت جيوش الحلفاء التي كانت تحتل الأستانة أمامه لتحقق منه بطلا في أعين مواطنيه . بطلا يستطيع إلغاء الخلافة , وإلغاء اللغة العربية وفصل تركيا عن المسلمين , وإعلانها دولة مدنية لا علاقة لها بالدين ! وهم يكررون صنع هذه البطولات المزيفة كلما أرادوا أن يضربوا الإسلام والحركات الإسلامية في بلد من بلاد المسلمين , ليقيموا مكانه عصبية غير عصبية الدين ! وراية غير راية الدين .
(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . والله متم نوره ولو كره الكافرون) . .
وهذا النص القرآني يعبر عن حقيقة , ويرسم في الوقت ذاته صورة تدعو إلى الرثاء والاستهزاء ! فهي حقيقة أنهم كانوا يقولون بأفواههم: (هذا سحر مبين) . . ويدسون ويكيدون محاولين

القضاء على الدين الجديد . وهي صورة بائسة لهم وهم يحاولون إطفاء نور الله بنفخة من أفواههم وهم هم الضعاف المهازيل ! (والله متم نوره ولو كره الكافرون) . . وصدق وعد الله . أتم نوره في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فأقام الجماعة الإسلامية صورة حية واقعة من المنهج الإلهي المختار . صورة ذات معالم واضحة وحدود مرسومة , تترسمها الأجيال لا نظرية في بطون الكتب , ولكن حقيقة في عالم الواقع . وأتم نوره فأكمل للمسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام دينا يحبونه , ويجاهدون في سبيله , ويرضى أحدهم أن يلقى في النار ولا يعود إلى الكفر . فتمت حقيقة الدين في القلوب وفي الأرض سواء .
وما تزال هذه الحقيقة تنبعث بين الحين والحين . وتنبض وتنتفض قائمة - على الرغم من كل ما جرد على الإسلام والمسلمين من حرب وكيد وتنكيل وتشريد وبطش شديد . لأن نور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه , ولا أن تطمسه كذلك النار والحديد , في أيدي العبيد ! وإن خيل للطغاة الجبارين , وللأبطال المصنوعين على أعين الصليبيين واليهود أنهم بالغو هذا الهدف البعيد !
لقد جرى قدر الله أن يظهر هذا الدين , فكان من الحتم أن يكون: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله , ولو كره المشركون) . .
وشهادة الله لهذا الدين بأنه (الهدى ودين الحق) هي الشهادة . وهي كلمة الفصل التي ليس بعدها زيادة . ولقد تمت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله . ظهر في ذاته كدين , فما يثبت له دين آخر في حقيقته وفي طبيعته . فأما الديانات الوثنية فليست في شيء في هذا المجال . وأما الديانات الكتابية فهذا الدين خاتمتها , وهو الصورة الأخيرة الكاملة الشاملة منها , فهو هي , في الصورة العليا الصالحة إلى نهاية الزمان .
ولقد حرفت تلك الديانات وشوهت ومزقت وزيد عليها ما ليس منها , ونقصت من أطرافها , وانتهت لحال لا تصلح معه لشيء من قيادة الحياة . وحتى لو بقيت من غير تحريف ولا تشويه فهي نسخة سابقة لم تشمل كل مطالب الحياة المتجددة أبدا , لأنها جاءت في تقدير الله لأمد محدود .
فهذا تحقيق وعد الله من ناحية طبيعة الدين وحقيقته . فأما من ناحية واقع الحياة , فقد صدق وعد الله مرة , فظهر هذا الدين قوة وحقيقة ونظام حكم على الدين كله فدانت له معظم الرقعة المعمورة في الأرض في مدى قرن من الزمان . ثم زحف زحفا سلميا بعد ذلك إلى قلب آسيا وأفريقية , حتى دخل فيه بالدعوة المجردة خمسة أضعاف من دخلوا في إبان الحركات الجهادية

الأولى . . وما يزال يمتد بنفسه دون دولة واحدة - منذ أن قضت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على الخلافة الأخيرة في تركيا على يدي "البطل" الذي صنعوه ! - وعلى الرغم من كل ما يرصد له في أنحاء الأرض من حرب وكيد , ومن تحطيم للحركات الإسلامية الناهضة في كل بلد من بلاد الإسلام على أيدي "أبطال" آخرين من صنع الصهيونية العالمية والصليبية العالمية على السواء .
وما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها , ظاهرا بإذن الله على الدين كله تحقيقا لوعد الله , الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل , مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل !
ولقد كانت تلك الآيات حافزا للمؤمنين المخاطبين بها على حمل الأمانة التي اختارهم الله لها بعد أن لم يرعها اليهود والنصارى .
وكانت تطمينا لقلوبهم وهم ينفذون قدر الله في إظهار دينه الذي أراده ليظهر , وإن هم إلا أداة . وما تزال حافزا ومطمئنا لقلوب المؤمنين الواثقين بوعد ربهم , وستظل تبعث في الأجيال القادمة مثل هذه المشاعر حتى يتحقق وعد الله مرة أخرى في واقع الحياة بإذن الله . (الظلال) .

- الخامس عشر - رأيه في الحكومة العراقية

لقد بين رأيه واضحا أن هذه الحكومة قد وضعها العدو الغاصب فهي غير شرعية ولا تعدو أن تكون كالحكومات التي نصبت على المسلمين من قبل أعداء الإسلام دون اختيار منهم
ولذلك لا بد من تعرية هذه الحكومة العميلة والقضاء عليها وإفشال مخططاتها فهي حكومة وضعت للقضاء على الإسلام والمسلمين مهما بدت صورتها جميلة أمام السذج والمغفلين من الناس
وهذا هو الحق وما بعد الحق إلا الضلال
فكل من يؤيد هذه الحكومة فحكمه حكمها تماما لا فرق بينهما فالقضاء على الجميع مطلب شرعي
وأما زعمهم بأنها حكومة شرعية منتخبة ديمقراطيا فهذا عين الكذب
فمتى كان أعداء الإسلام حريصين على سعادتنا وأمننا ؟؟
إنها ديمقراطية الكفر والفسوق والعصيان ومحاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فالذي يؤمن بهذه الكذبة فهو ضال مضل بل أضل من حمار أهله
وقد كنت رددت عليهم بمقال مطول حول هذه الديمقراطية المزعومة منذ السنة الماضية
بعنوان ((أبشروا يا أهل العراق بخبر سار !!!!))

وهذا مكانها :
http://www.tajdeed.org.uk/forums/showthread.php?s=&threadid=27543
ومن أراد الوقوف على حقيقة الديمقراطية فليرجع إلى هذه الصفحة
http://www.tawhed.ws/f?k=%C7%E1%CF%ED%E3%DE%D1%C7%D8%ED%C9&c=91&s=c

وهذا بيان صادر عنهم يوضح هذه الحقيقة :

الديمقراطية ؛ حكمها وحكم القائل بها
بيان صادر من اللجنة الشرعية في تنظيم قاعدة الجهاد فيما يخص الانتخابات
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله منزل الشرائع، والعالم بما هو ضار ونافع، والصلاة والسلام على من أتم الله به النعمة محمداً صلى الله عليه وآله وصحبه.
أما بعد:
فإن جنود الإسلام أخذوا على أنفسهم أن يقاتلوا الكفر بألوانه وثناً كان أو شجراً أو مجلساً نيابياً يضاهي شرع الله ويناقضه ويمنع عن المسلمين خير ربهم ورحمته، فهم يقدمون بين يدي المسلمين هذه النصيحة إعذاراً إلى الله تعالى ورفعاً لحجة الجاهلين ونكاية فيمن حرف الكلم عن مواضعه وضيع النفس والدين.
فنقول وبالله نستعين:
الديمقراطية والمجالس البرلمانية؛ - يا إخواني - هي من دين الكفار وأهوائهم، والرضا بها دخول في دينهم واتباع لملتهم وخروج من ملة الإسلام، قال الله عز وجل: {أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً}، وقال تعالى :{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ}، فلا ترجعوا على الأدبار كفاراً مرتدين، ولا يسخفنكم الشيطان ويمنيكم بتحقيق الحكم بالشريعة عن طريق مجالس الكفر هذه، قال تعالى : {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}.
فالديمقراطية في عرف أهلها؛ هي سيادة الشعب، وأن السيادة سلطة عليا مطلقة غير محكومة بأي سلطة أخرى، وتتمثل في حق الشعب في اختيار حكامه وحقه في تشريع ما يشاء من القوانين، ويمارس الشعب هذه السلطة عادة بالإنابة بأن يختار نواباً عنه يمثلونه في البرلمان وينوبون عنه في ممارسة السلطة؛ أي أن مصدر التشريع والتحليل والتحريم هو الشعب وليس الله، ويتم ذلك

عن طريق اختياره لممثلين ينوبون عنه في مهمة التشريع وسن القوانين.. وقد يسمونها " المجلس الوطني " أو مجلس الحكم " أو"مجلس الأمة" أو" مجلس الشورى" أو " مجلس الشعب".
وهذا يعني أن المألوه المعبود المطاع - من جهة التشريع - هو الإنسان وليس الله جلَّ في علاه.. وهذا مغاير ومناقض لأصول الدين والتوحيد.
يدل على ذلك قوله تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاه}، وقوله تعالى: {وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً}، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللّهُ}.
وقوله تعالى: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}؛ لأن عبدتموهم من جهة طاعتكم إياهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فإنكم لعابدون لهم من دون الله؛ لأن الشرك لا يطلق في القرآن أو السنة إلا لنوع عبادة تصرف لغير الله عز وجل.
وكذلك قوله تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّه}، فهم أرباب من دون الله لما اعترفوا لهم بحق التشريع والتحليل والتحريم وسن القوانين من دون الله تعالى.
الديمقراطية؛ تعني رد أي نزاع أو اختلاف بين الحاكم والمحكوم إلى الشعب وليس إلى الله والرسول..
وهذا مغاير مناقض لقوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللّه}، بينما الديمقراطية تقول: فحكمه إلى الشعب، وليس غير الشعب!
وقال تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}، فجعل الله عز وجل من لوازم الإيمان رد النزاع - أي نزاع - إلى الله والرسول؛ أي الكتاب والسنة.
الديمقراطية؛ - يا قوم - تعني العلمانية بكل أبعادها؛ حيث تقوم على مبدأ فصل الدين - أيَّ دين - عن الدولة والحياة، فالله تعالى ليس له في نظر الديمقراطية سوى الزوايا، والمساجد، شريطة أن لا يكره أحد على دخول هذه الأماكن، وما سوى ذلك من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها فهي ليست من خصوصياته، وإنما هي من خصوصيات الشعب وحده.. وللشعب كذلك صلاحيات التدخل في شؤون المساجد لو اقتضت الضرورة لذلك..
{قَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}، وقال تعالى: {يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً}.

{أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً}؛ هو حكم كل ديمقراطي علماني يفصل الدين عن الدولة والسياسة، وشؤون الحياة.. وإن زعم بلسانه - ألف مرة - أنه من المسلمين المؤمنين.
الديمقراطية؛ تعني مبدأ الحرية الشخصية للفرد، فالمرء له - في ظل الديمقراطية - أن يفعل ما يشاء من الموبقات والفواحش والمنكرات.. من غير حسيب! ولا رقيب فلو غيَّر المسلم دينه فصار يهودياً أو نصرانياً فلا ضير في عرف الديمقراطيين! والإباحية التي عرفت بها فرق الزندقة عبر التاريخ، ماذا تعني غير ذلك؟!
الديمقراطية؛ تعني مساواة الناس جميعاً في الحقوق والواجبات، بغض النظر عن انتمائهم العقدي الديني وسيرتهم الذاتية الأخلاقية؛ حيث أن أكفر وأفجر وأجهل الناس يتساوى مع أتقى وأعلم وأصلح الناس في تقرير أهم القضايا وأخطرها، وهي من يحكم البلاد والعباد!
وهذا مناقض لقوله تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}، وقال تعالى {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ}، وقال تعالى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}.
في دين الله لا يستوون؛ بينما في الديمقراطية نعم يستوون!
الديمقراطية؛ تقوم على مبدأ اعتبار وإقرار موقف ورأي الأكثرية، مهما كان نوع هذه الأكثرية، وأياً كان موقف هذه الأكثرية، هل وافقت الحق أم لا، فالحق في نظر الديمقراطية والديمقراطيين هو ما تجتمع عليه الأكثرية ولو اجتمعت على الباطل أو الكفر الصريح!
بينما الحق المطلق في نظر الإسلام - الذي يجب التزامه والعض عليه بالنواجذ - ولو فارقك جماهير الناس - هو الحق المسطور في الكتاب والسنة.
فالحق ما وافق الكتاب وطابق ما في الكتاب والسنة وإن اجتمعت جماهير الناس على خلاف ذلك. فالحكم لله وحده وليس للبشر أو الأكثرية.
قال تعالى: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون}.
وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا رجل واحد). فأين موقع هذا النبي ومعه الرجل الواحد في ميزان أكثرية الديمقراطية؟!
وهذه - يا إخواني - ما هي إلا حيلة خبيثة لصرف المسلمين عن الجهاد الواجب عليهم، جهاد الحكام المرتدين وغيرهم من الكافرين، فيأتي شياطين الإنس ليقولوا ولِمَ الجهاد والمشقة

وصندوق الانتخابات هو الحل؟! وما عليك من واجب شرعي إلا أن تذهب لتلقي ورقة في الصندوق.
ولاشك في أن أسعد الناس بهذا المسلك الشيطاني هم الطواغيت على اختلاف أشكالهم، الذين ما سمحوا لبعض المنتسبين إلى الإسلام بدخول البرلمانات إلا لصرف المسلمين عن جهادهم؛ ومما لاشك فيه أن الإمامة تنعقد ببيعة أهل الشوكة - أي القوة - فكذلك لن تقوم الحكومة الإسلامية في زماننا هذا ولن تطهر بلادنا من رجس المحتلين وأذنابهم من المرتدين الخونة إلا بالشوكة أي بالقوة، ولا تغتر بملايين البشر الذين يصوتون لصالح الذين يزعمون أنهم إسلاميون في الانتخابات النيابية، فإن هؤلاء الملايين لو طلب منهم حمل السلاح والجهاد لأجل فرض حكم الإسلام ولفك قيد إخواننا وأخواتنا من الأسر لتسللوا لواذاً، فأيّ شوكة في هؤلاء وقوة الجيوش مع الكافرين؟، والدولة لمن يملك القوة.
والقوة؛ رجال وسلاح ثم مدد، فنتائج هذه الانتخابات البرلمانية ما هي إلا زيف ووهم لا يستند إلى قوة فضلاً عن أن يكون مستنداً لشرعية؛ والديمقراطية ببرلماناتها وانتخاباتها ما هي إلا حيلة لتخدير الطاقات الإسلامية، وما هي إلا قناة لتصريف هذه الطاقات بعيداً عن عروش الطواغيت، قال تعالى :{قَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}.
والكفار على اختلاف أنواعهم يقولون بالديمقراطية مادامت تحقق مآربهم فإذا تعارضت ومصالحهم كانوا أول من يهدمها، شأنهم في ذلك شأن الكافر الذي صنع صنماً من العجوة ليعبده فلما جاع يوماً أكل إلهه الذي كان يعبده، والأمثلة على ذلك كثيرة من الشرق والغرب.
والخلاصة؛ - يا أخي المسلم - أن أعضاء البرلمان - أصحاب الحق في التشريع للناس - هم في الحقيقة أرباب معبودون من دون الله، والذين ينتخبونهم من الناس إنما ينصبونهم أرباباً من دون الله، وكلا الفريقين يكفر بهذا، قال تعالى :{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اَشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُون}، فلا يجوز دخول هذه المجالس ولا المشاركة في انتخاب أعضائها.
ولا يفوتنا في هذا المقام أن نوصي كل من يفتي الناس - أيما كانت رتبته - بأن يكون ذا بصيرة في الواقع الذي يفتي فيه حتى لا يخدعه المستفتي في عرض الواقع القبيح في ثوب حسن، كما

ألبس هؤلاء الديمقراطية الشركية ثوب الدعوة إلى الله، فإن من شروط المفتي معرفة الواقع الذي يفتي فيه.
ومن المعلوم أن المفتي "يحرم عليه إذا جاءته مسألة فيها تحيل على إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلى مطلوبه، أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده، بل ينبغي له أن يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذراً فطناً فقيهاً بأحوال الناس وأمورهم، يؤازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغَ وأزاغ، وكم من مسألة ظاهرها جميل، وباطنها مكر وخداع وظلم، فالغر ينظر إلى ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة ينقد مقصدها وباطنها، فالأول يروج عليه زَغَل المسائل كما يروج على الجاهل بالنقد زَغَل الدراهم، والثاني يخرج زيفها كما يخرج الناقد زيف النقود.
وكم من باطل يخرجه الرجل بحسن لفظه وتنميقه وإبرازه في صورة حق، وكم من حق يخرجه بتهجينه وسوء تعبيره في صورة باطل، ومن له أدنى فطنة وخبرة لا يخفى عليه ذلك، بل هذا أغلب أحوال الناس، ولكثرته وشهرته يستغنى عن الأمثلة.
بل من تأمل المقالات الباطلة والبدع وجدها قد أخرجها أصحابها في قوالب مستحسنة وكسوها ألفاظاً يقبلها بها من لم يعرف حقيقتها".
هذه هي الديمقراطية باختصار...
واعلموا يا أبناء أمتنا؛ أن هذه الأنظمة خائنة فلا تلقوا لها بالاً.. فبمجرد تخلي أمريكا عنهم أو انهيارها فإنها ستنهار طبيعياً وبدون أي مجهود يذكر وذلك لأنها لا تقوم على قاعدة صلبة من تطبيق شرع الله، فالقاعدة التي تقوم عليها هي قاعدة كرتونية هشة تزول في أول عاصفة تعصف بها، وذلك لعدم وجود الساند الأول لها وهي أمريكا، فقد اتخذوها إلهاً يعبد من دون الله عز وجل.
وقد - والله - صدق شيخ المجاهدين أسامة بن لادن حفظه الله عندما أسماها "هبل العصر"؛ فانزعوا أيديكم عن طاعة هؤلاء وافتحوا قلوبكم لهدي القرآن وقولوا ل "علاوي" وزمرته بيننا كتاب الله وسنة نبيه؛ فإما أن تقبلوها طاعة لله ورسوله أو أن يسلط الله عليكم جنده ويضربوا منكم الأعناق ويضربوا منكم كل بنان.
وبناء على ما تقدم:
فإننا نقول جازمين غير مترددين ولا شاكين في أن الديمقراطية حكمها في دين الله تعالى هو الكفر البواح الذي لا يخفى إلا على كل أعمى البصر والبصيرة. وأن من اعتقدها، أو دعى إليها، أو

أقرها ورضيها، أو حسنها - من غير مانع شرعي معتبر - فهو كافر مرتد عن دينه وإن تسمى بأسماء المسلمين.
فهذه هي الديمقراطية، وهذا حكمها، وحكم القائل والعامل بها..
كتبناها لكم بياناً للحق ونصحاً للخلق... فهل أنتم منتهون؟ فهل أنتم منتهون؟
اللهم إنا قد بلغنا فاشهد.
اللجنة الشرعية
في تنظيم قاعدة الجهاد
بلاد الرافدين

- **السادس عشر – هل هيئة علماء المسلمين في العراق تمثل المجاهدين ؟؟**

كلا وألف كلا صحيح أنها الأقرب للمجاهدين ولكنها لا تمثل المجاهدين بحال وذلك لاختلاف الأهداف بين الطرفين
فهيئة علماء المسلمين أقصى ما تطالب به هو خروج المحتل الغاصب ووجود حكومة عراقية منتخبة تمثل العشب العراقي بكل أطيافه
وهذا المطلب كان مطلب جميع الثورات التي قامت في العالم الإسلامي حتى حماس والجهاد الإسلامي فهمهم الأوحد خروج الصهاينة ((لا يقولون اليهود !!!!)) إلى حدود ما قبل 67 وإنشاء الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية !!!
****

وهذا رأيهم في هيئة علماء المسلمين
هيئة علماء المسلمين في ميزان التوحيد والجهاد
بسم الله الرحمن الرحيم
"هيئة علماء المسلمين"
في ميزان التوحيد والجهاد
الحمد لله رب العالمين، ناصر المجاهدين، وهازم الكفرة المعتدين والمرتدين المارقين، وفاضح المنافقين المتلونين... وصلى الله على محمد المبعوث باللسان والسنان حجة على العالمين.
وبعد:
فهذا كلمات يسيرة كتبتها على عجالة نصحا للأمة عموماً، وللمجاهدين الصادقين على جهة الخصوص، مذكراً لهم وناصحاً، ومحذراً إياهم من الاغترار بالمتسلقين على أكتافهم، المستغلين لجهودهم، المتكاثرين بسعي غيرهم، من أمثال "هيئة علماء المسلمين".

وما كنت لأسطر هذه الأوراق لولا ما لمسته من صنيع هذه الهيئة من مواقف متلونة، وشعارات مغررة، وأيدي ممتدة لأعداء التوحيد والجهاد في الخفاء بل وفي العلن أحياناً، وبالرغم من هذا كله، فقد نجحت الهيئة في التعمية على أعين بعض من سلك طريق الجهاد في سبيل الله تعالى، وما ذاك إلا بسبب إتقان القائمين على "الهيئة" لسياسة اللعب على الحبال! فاقتضى المقام التنبيه على شيء من حال الهيئة فيما كان متعلقاً بالتوحيد والجهاد على جهة الخصوص.
فنقول والله المستعان...
****
أولاً- تعريف بـ"هيئة علماء المسلمين"
قال الشيخ محمد عياش الكبيسي في تعريفه بـ "هيئة علماء المسلمين":
("هيئة علماء المسلمين" في العراق تشكلت بهذا الإسم بعد احتلال العراق مباشرة.
وهي تضم عدداً كبيراً من علماء أهل السنة والجماعة في داخل العراق وخارجه.
مرجعية الهيئة الكتاب والسنة.
وآلية اتخاذ القرار فيها تستند إلى الشورى.
لا تمثل الهيئة حزباً سياسياً ولا تياراً معيناً وإنما هي مرجعية شرعية لأهل السنة والجماعة.
تضم الهيئة ما يزيد على ألفين عالم وتشرف على ما يقرب من ستة آلاف مسجد في مختلف مدن العراق وقراه... ويتبعها عدد من المدارس الشرعية ومعاهد تخريج الدعاة... إضافة إلى بعض المؤسسات الإنسانية والصحية بدأت بالاندماج والانتساب مع الهيئة.
اكتسبت الهيئة ثقة الناس بها من خلال مواقفها الثابتة وحكمتها في معالجة الكثير من القضايا المعقدة، وكل هذا بفضل الله وكرمه... بحيث أن مركز الهيئة في بغداد وفروعها في المدن الاخرى تزدحم بالناس من مختلف الأصناف والتوجهات لاسيما من ممثلي الدول والمؤسسات الشعبية والإعلامية).
أقول: لنا على هذا التعريف ملاحظات:
أولا: قوله: ("هيئة علماء المسلمين" في العراق تشكلت بهذا الإسم بعد احتلال العراق مباشرة):
أقول: أعلن عن تشكيل الهيئة بصورة رسمية في أواخر الشهر الرابع من عام 2003. وكان القائمون على تشكيل "هيئة علماء المسلمين" هم ممن يتبنى فكر الإخوان المسلمين كأمثال الدكتور

حارث الضاري والدكتور محمد عياش الكبيسي وغيرهم. والذين إختلفوا مع قيادات "الحزب الإسلامي العراقي" في بعض المسائل، ومن أهمها مسألة دخول "الحزب الإسلامي" في العملية السياسية في ظل الاحتلال، فضلاً عن الخلاف حول بعض المناصب في قيادة "الحزب الإسلامي".. فلما أن لم تتوصل هذه الأطراف إلى نقاط اتفاق، حصل الانشقاق عن قيادة "الحزب الإسلامي". وأعلن بعد ذلك عن تشكيل ما سمي بـ "هيئة علماء المسلمين".. فهي لم تشكل كردة فعل للإحتلال، بل كردة فعل لسياسة "الحزب الإسلامي العراقي".
وبقي دور الهيئة محدوداً، ونشاطها محجماً حتى جاءت أحداث الفلوجة الأولى. فاستغلت الهيئة هذه الأحداث ونجحت في استقطاب الأضواء إليها، وأبرزت نفسها على أنها ذات ثقل لدى تيارات المقاومة الإسلامية في العراق. فكان ظهورها الفعلي بعد عام كامل من إعلان تأسيسها.
ثانيا: قوله: (وهي تضم عدداً كبيراً من علماء أهل السنة والجماعة في داخل العراق وخارجه):
بعيد كل البعد عن جانب الصواب.. فأما أنها تضم عدداً كبيرا من العلماء، فهذا مبني على ماهية مفهوم العالم، وهو عند الهيئة يتناول كل من كان خطيباً على منبر، أو إماماً في مسجد، أو حاملا لشهادة أكاديمية في جانب من جوانب العلوم الشرعية، أو من كان ذو ثقافة إسلامية لا ترتقي لأن توصل صاحبها إلى منزلة العلماء ممن ارتضى الانضواء تحت راية "هيئة علماء المسلمين"!! وشتان بين المفهوم الشرعي للعالم، ومفهوم الهيئة له، والذي امتهنته بأن نسبت إليه كل من هب ودب.
ثالثاً: وأما أن الهيئة عبارة عن تجمع يضم أهل السنة والجماعة: فلا، بل هي مزيج من الإخوان المسلمين والمتصوفة وبعض المنتسبين إلى المنهج السلفي, فضلاً عن غيرهم ممن ليس له توجه محدد.. بل مجرد ميول إسلامية من الأكاديميين والعشائريين والعسكريين.. ومعلوم مدى بعد "الإخوان" والمتصوفة عن منهج أهل السنة والجماعة.
رابعاً: قوله: (مرجعية الهيئة الكتاب والسنة):
لا يصح بإطلاق، بل هي مجرد دعوى عارية عن الدليل، والدعاوى أصحابها أدعياء ما لم يأتوا عليها بالبينات.. بل الواقع يدل بما لا يقبل الشك أن مرجعية الهيئة هي المصالح السياسية والمنافع الحزبية التي تعتمدها الهيئة في اتخاذ مواقفها، وتحديد أسس عملها.. وسيأتيك العديد من الأمثلة الدالة على هذا المعنى.
خامساً: قوله: (لا تمثل الهيئة حزبا سياسياً ولا تياراً معيناً):

قول حق!.. فهي تمثل تياراً جديداً محدثاً في الكيان السني الذي مزقته الخلافات والنزاعات الفئوية والطمع على تحصيل المناصب والمكاسب الدنيوية الفانية.. فجاءت الهيئة لتمثل كياناً آخراً يخرج من جسد الأمة المثقل بالجراح رافعاً شعار التغيير. ولكن بعيداً عن طريق التوحيد والجهاد.
سادسًا: قوله: (وإنما هي مرجعية شرعية لأهل السنة والجماعة): زعم باطل مبني على سوء تقدير لحجم تمثيل الهيئة الحقيقي في الشارع السني العراقي، فالهيئة لا تمثل السلفيين بعموم تياراتهم.
- فالجهاديون منهم رافضون للهيئة وتوجهاتها، ولهم من سياساتها مواقف معلنة وصريحة.
- والمرجئة المحسوبون على التيار السلفي في العراق أيضاً؛ رافضون لطروحات الهيئة ومواقفها.
- أما المتصوفة الطرقيون، فقد عبروا عن رفضهم لسياسات الهيئة فأنشئوا لهم تجمعاً خاصاً تحت راية العلمانيين الأكراد، وعقدوا مؤتمرهم الأول في أواخر شهر أيلول من عام 2005 في مدينة السليمانية، والذي عبروا فيه عن رفضهم من تمثيل غيرهم لهم.
- أما الإخوان فحزبهم معروف، وخلافاته مع الهيئة أشهر من نار على علم.
- وأما حزب التحرير فقد عبر عن رفضه لسياسة "هيئة علماء المسلمين" في العديد من المنشورات الداخلية.
بل الواقع يدل على أن الهيئة ما كتب لها نوع من القبول في الشارع العراقي أو نوع من الانتشار الإعلامي في العالم الإسلامي لولا استغلالها لورقة المقاومة الإسلامية، وتسلقها على أكتاف المجاهدين الصادقين من خلال محاولة إبراز نفسها على أنها تمثل الجناح السياسي للمقاومة الإسلامية في العراق، وأنى لهم ذلك.
سابعاً: قوله: (تضم الهيئة ما يزيد على ألفين عالم وتشرف على ما يقرب من ستة آلاف مسجد في مختلف مدن العراق وقراه... ويتبعها عدد من المدارس الشرعية ومعاهد تخريج الدعاة... إضافة إلى بعض المؤسسات الانسانية والصحية بدأت بالإندماج والانتساب مع الهيئة):
أقول لو كان في العراق ألفين من العلماء لكان أهل السنة على خير كبير! ولكن هذا مبني كما سبق على مفهوم الهيئة للعالم.
أما قوله: أنها تشرف على ستة آلاف مسجد إلى غير ذلك من النشاطات؛ فمحض كذب مقصود قائله هو المكاثرة بما ليس له، فالواقع يدل بما لا يقبل الشك على أن وجود الهيئة الفعلي لا يكاد

يعدو العاصمة بغداد وتحديداً مسجد أم القرى وجامع أبي حنيفة، وأن كثيراً من المدن والأقضية والنواحي في مختلف مناطق العراق لا وجود للهيئة فيها، لا على الصعيد الرسمي، ولا حتى على مستوى الوجود الفردي.
إضافة إلى أن المساجد الوقفية تابعة لـ "ديوان الوقف السني" بشكل عام والذي يمثل أهل السنة عموماً، ولا يمثل تياراً معيناً، فوظيفته إدارية بحتة مع أن القائمين عليه من أصحاب الفكر الإخواني والصوفي، ناهيك عن إن معظم مساجد محافظة صلاح الدين يقوم بالإشراف عليها الآن المنتسبون إلى التيار السلفي من أصحاب التوجه الإرجائي.
وأما عموم المساجد في الأقضية والنواحي التابعة لمحافظات كركوك وديالى والأنبار وبغداد والموصل يتنازع الأشراف عليها السلفيون الجهاديون، أو أصحاب التوجه الإرجائي منهم، فضلاً عن المتصوفة، و"الحزب الإسلامي" العراقي. فلا وجود للهيئة مطلقاً في هذه المناطق البَتّة.
ثامناً: قوله: (اكتسبت الهيئة ثقة الناس بها من خلال مواقفها الثابتة وحكمتها في معالجة الكثير من القضايا المعقدة):
نسبة للفضل إلى غير أهله وسببه.. بل من وثق بالهيئة فإنما وثق بها بفضل ما تعلنه من دعمها لخيار المقاومة الإسلامية المسلحة، فالفضل في قبول الناس لطروحات الهيئة إنما يعود لسواعد المجاهدين وجهادهم لا إلى سياسات الهيئة ومواقفها التي لو وزنت في ميزان الشرع لما عدلت جناح بعوضة!!
تاسعاً: قوله: (إن مركز الهيئة في بغداد وفروعها في المدن الاخرى تزدحم بالناس من مختلف الأصناف والتوجهات، لاسيما من ممثلي الدول والمؤسسات الشعبية والإعلامية):
أيضاً هذا من التسويق الإعلامي للهيئة، وهو وإن كان حقاً فيما يتعلق "بمقر الهيئة العام" في بغداد وهو مسجد "أم القرى" فليس كذلك في مقار الهيئة في باقي محافظات العراق, والتي لا تخرج عن أن تكون مغلقة طيلة أيام الأسبوع أو تفتح على فترات متباعدة غير منتظمة، أو مفتوحة لكن مجهولة الموقع بالنسبة لعامة الناس.
أما المقر العام في بغداد فلا يرتاده عامة الناس لمعرفة شؤون دينهم وأحكام شرع ربهم، بل يرتادها من ذكرهم الكبيسي بقوله "ممثلي الدول والمؤسسات الشعبية والإعلامية" مقصودهم من الارتياد أما المفاوضة على تعطيل الجهاد أو تحجيمه، أو محاولة الوساطة لإطلاق سراح الكفار أو المرتدين الذين ثبتت ردتهم لدى المجاهدين، أو من يسعى لتمييع قضية الولاء والبراء من الرافضة والذين لا يكفيهم ما تبديه الهيئة من موالاة لهم بل يسعون إلى

المزيد والمزيد بغية حصر المقاومة الإسلامية في زاوية ضيقة..
وجهلوا - أعماهم الله - أن المقاومة تستمد وجودها من تأييد الله لا من تأييد الهيئة ونحوها من القواعد والخوالف.. أو يرتادها من يسعى للمفاوضة لدخول الهيئة في اللعبة السياسية الديموقراطية التي تجري في العراق، والتي لا تعارضها الهيئة من جهة المبدأ، بل هي تسلم بمشروعية النظم الديموقراطية الطاغوتية.
وأما أن الجهات الإعلامية ترتاد مقر الهيئة، فنعم لأن وجود الهيئة الفعلي مبني على استغلالها للإعلام الذي يظهرها بمظهر الجناح السياسي للمقاومة الإسلامية، والثقل الأكبر في الساحة السنية في الشارع العراقي، وبالتالي أنها المرجعية الشرعية لأهل السنة.
****
ثانياً- "هيئة علماء المسلمين" والجهاد في سبيل الله
قال الدكتور محمد عياش الكبيسي:
(الحكم الشرعي في مقاومة الاحتلال لا مجال فيه للاجتهاد والاختلاف والهيئة تبنت توضيح هذا الحكم الشرعي وإزالة الشبه التي يثيرها بعض العملاء أو الضعفاء.. ودعت في أكثر من موقف ومناسبة كافة أبناء الشعب العراقي إلى القيام بهذا الواجب المقدس.. وتحريم كل ما من شأنه أن يثبط المجاهدين أو يشككهم أو يفت في عضدهم مع تأكيد الهيئة في نفس الوقت أنها ليست جماعة عسكرية ولا جيشاً مسلحاً لكن واجبها أن تبين الحكم الشرعي بكل أمانة وصدق...).
أقول: كلام الرجل يوضح حقيقة موقف الهيئة من قضية الجهاد في سبيل الله، فموقفها منه لا يعدوا القول إلى الفعل، ولا يجاوز الحناجر إلى السواعد.. وهل ينفع القاعدين عذرهم؟! أم هل تنفعهم تبريراتهم؟! فصورة جهاد الدفع لا يكفي فيها مجرد التأييد باللسان من تخاذل الجوارح، بل المشاركة فيه واجب عل جميع المستطيعين.
كما قال شيخ الإسلام: (فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لإعانتهم، كما قال الله تعالى : {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاق} [الانفال: 72]، وكما أمر النبي بنصر المسلم وسواء كان الرجل من المرتزقه للقتال أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة، والمشي والركوب.. كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق، لم يأذن الله فى تركه لأحد كما أذن فى ترك الجهاد ابتداء لطلب العدو، الذى قسمهم فيه إلى قاعد وخارج، بل ذم الذين يستأذنون النبي ويقولون: {إن بيوتنا عورة وما

هي بعورة ان يريدون إلا فرارا}، فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس وهو قتال اضطرار)(1).
1- مجموع الفتاوى(28/358-359).
فمن قعد عن المشاركة في الجهاد الواجب بعد ذلك فحينئذ يكون قعوده من جنس قعود أهل النفاق عن المشاركة في الجهاد الواجب، وتتناوله نصوص الذم المذكورة في الكتاب والسنة، كما في قوله سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوص} [(الصف: 2-4].
حيث ورد في سبب نزول هذه الاية "أن المنافقين كانوا يقولون للنبي وأصحابه لو قد خرجتم خرجنا معكم ونصرناكم فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد)(2).
2- زاد المسير (8/250).
وكانوا من أحق الناس بوصف شيخ الإسلام لهم بـ "الطائفة المخذلة"، كما قال رحمه الله: (فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق:
- الطائفة المنصورة: وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين.
- والطائفة المخالفة وهم هؤلاء القوم ومن تحيز اليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام.
- والطائفة المخذلة وهم القاعدون عن جهادهم، وإن كانوا صحيحي الإسلام.
فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة فما بقى قسم رابع)(3).
3- مجموع الفتاوى (28/416-417).
فهذا شيخ الإسلام لم يكتفي بأن أوجب الجهاد، وقال؛ لا يعدو موقفي عن البيان! بل شارك وساهم في بيده فضلاً عن قلمه ولسانه به... وهؤلاء أسود التوحيد والجهاد على نهجه سائرون ولخطاه مقتفون.
وأما ما تظهره الهيئة من أعذار؛ فهي لا تخرج عن أن تكون من جنس الأعذار التي أظهرها سلفهم من المنافقين، والتي يظنون أنها تسوغ لهم التخلف عن الجهاد، وهي ليست بأعذار معتبرة شرعاً، والله تعالى قد ذم الذين قعدوا عن الجهاد الواجب وتذرعوا لقعودهم بالذرائع الباطلة ووضح أن فعلهم وتذرعهم هو من جنس صنيع المنافقين، حيث قال تعالى {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً

أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [الفتح: 11]، وقال تعالى : {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِين *وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} [ال عمران: 166 – 167].
وكذلك هم ههنا يقولون؛ إنما نحن لا نعلم كيفية القتال، ولا نستطيع المشاركة فيه، ومشاركتنا فيه لا تحقق النفع للمجاهدين، وإن بقائنا في الصفوف الخلفية أنفع للجهاد كيما نمد صفوف المجاهدين بمن نجند، أو نفاوض عنهم وننافح، وكثير منهم يعرضون عن تجنيد أبنائهم وأخوانهم وأقربائهم إلى تجنيد الأبعد عنهم ممن يغتر بطروحاتهم فيجنبون أبنائهم وأخوانهم وأنفسهم ما يقحمون به أبناء المسلمين، فإلى الله المشتكى.
بل إن قعود من قعد من المرجئة عن القتال من الذين لا يوجبون الجهاد لما يظنونه عدم استكمال لشروط الجهاد، أو لما يزعمونه من مفاسد قد تنجم على الجهاد، هو أنفع لهم وأقرب لهم عذراً عند الله من قعود من يوجب الجهاد على غيره ويحض عليه وهو جالس قابع خانع يتحين الفرص لقطف ثمار الجهاد في سبيل الله تعالى.
فـ "هيئة علماء المسلمين" في هذه المرحلة لا تعدوا أن تكون من قبيل "تجار الجهاد" الذين اتخذوا القضية الجهادية وسيلة لتحقيق مكاسب ذاتية ومادية ومعنوية، فأثخنت جيوب قياداتهم بالدولار التي تجمع باسم الجهاد، وتنعم "مثنى حارث الضاري" ابن الامين العام للهيئة بالزيارات الدولية التي يقوم بها تحت ذريعة أن الهيئة تمثل الجناح السياسي للمقاومة العراقية، وأصبح للهيئة نشاط إعلامي دولي.. تتسابق وسائل الإعلام لإجراء المقابلات مع ممثلي الهيئة!.. كل ذلك بفضل ما يقوم به المجاهدون، والذين استغلت الهيئة عملهم هذا في إبراز نفسها كواجهة سياسية للمقاومة.
وقد حذر من هذا الصنف من التيارات الإسلامية الشيخ أبو قتادة الفلسطيني بقوله: (مرّت فتراتٌ متقطّعة من أعمال الجهاد واقعة يتقمّصها غير أصحابها، ويتاجرُ بها غيرُ أبنائها، وسبب ذلك عائدٌ إلى عواملَ منها؛
رضا الجماهير المسلمة عن هذا الجهاد، ومن أجل الرِّفعة والظّهور على أكتاف المجاهدين، فتسارع هذه التّنظيمات الطّفيليّة إلى تقمّص دور البطولة، وإظهار نفسها في موقع الرّيادة في هذا الجهاد، فترتفع الأرصدة الإعلاميّة، وبالتّالي ترتفع الأرصدة الماليّة، وحينئذٍ يصبح الجهاد في مأزق حقيقيّ، حيث يضرب

المجاهدون ضرباً شرساً وذلك ليصبحوا تحت وطأة هؤلاء اللصوص وقطّاع الطّريق إلى الله تعالى، فتظهر الأمراض العجيبة، وتتكشّف النّفوس الخبيثة، ويقع الفِصام النّكد بين المجاهد الحقيقيّ والمموّل الخبيث - لص بغداد - وأمثلة هذا كثيرة الوقوع وعديدة فمِن أفغانستان إلى فلسطين إلى البوسنة والهرسك إلى سوريا.. إلى.. إلى..

ومن هذه العوامل كذلك: إرضاء القواعد التّحتيّة المتململة، فالإنسان المسلم الفطري السويّ تتوق نفسه فطريّاً إلى الجهاد، وإلى المشاركة في مواطن العبوديّة لله ضدّ الكفر بجميع صنوفه وأشكاله، فمن أجل تفريغ هذا المِرجل من بخاره الغاضب، فلا بدّ من بعض المنفّسات للتّفريغ الذّكيّ الخبيث، فتسارع الجماعة إلى تبنّي أعمال جهاديّة لتقنع القيادة قواعدها أنّها لم تغيّر الطّريق، أو لتعريف قواعِدها أنّ هناك فرقاً بين ما هو معلن من أجل الغطاء السّياسي، وبين ما هو مخفيّ حقيقيّ)(4).

(4) الجهاد والاجتهاد: 121-122

****

ثالثاُ -موقف "هيئة علماء المسلمين" من نشاطات المجاهدين

كثيرة هي صور الجهاد في سبيل الله تعالى، ومجالاته واسعة رحبة، وقد مضى معنا تقرير أن الهيئة تتبنى وجوب الجهاد كحكم شرعي، ولكن ما هي صورة الجهاد التي تتبناها الهيئة؟! وما هو حقيقة موقفها من نشاطات المجاهدين؟!

هذا الموقف يتضح لنا من خلال الخطابات والبيانات التي أصدرتها الهيئة والتي نددت وأدانت بالعديد من العمليات النوعية التي قام بها المجاهدون الأبطال.

حيث قال الكتور محمد بشار الفيضي: (أصدرنا أكثر من 7 بيانات، قلنا أن قتل رجال الشرطة والحرس الوطني لا يجوز شرعاً ما دامت هذه الأجهزة التزمت بواجباتها الوطنية ولم تخرج عن دائرة العمالة والتجسس)(5).

(5) برنامج "نقطة نظام" بتاريخ (27/3/2005).

[قوله؛ " ولم تخرج عن دائرة العمالة"، لعلها أراد بها؛ "ولم تخرج إلى دائرة العمالة"] [المنبر].

****

وجهل هذا الصوفي أن حركات التوحيد والجهاد تنظر إلى من يسميهم برجال الشرطة والجيش أنهم عساكر للشرك وأنصار للطاغوت، سواءً وجِدوا لحماية قوات الكافر المحتل، أو لحماية الحكومات الطاغوتية الكافرة المرتدة التي تحكم بغير ما أنزل الله،

وأنهم يقاتلون ويقتلون حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الطواغيت هي السفلى.
كما قال الشيخ أبو قتادة: (حركات الجهاد السّلفيّ تقاتل في بلاد الردّة تحت راية واضحة، وكذلك تصف العدوّ وصفاً واضحاً، فهي تصف هذه الطّوائف المعادية أنّها طوائفَ ردّةٍ وكفر، لأنّها اجتمعت بقوّة وشوكة على أمرٍ مكفّر، أجمعت على كفره ملّة الإسلام، فنوع قتال هؤلاء الخصوم، وجنس هذا القتال، أنّه قتال المرتدّين، وهذا القتالُ له أحكامه الخاصّة التي تجتمع وتفترق عن قتال الكفّارِ الأصليين، وحين تقاتل هذه الطّوائف السّلفيّة المجاهدة تحت هذه الرّاية، فإنّها لا تفرّق في هذا القتال بين مرتدٍّ - دكتاتور - متسلّط، وبين مرتدّ – ديمقراطيّ سِلميّ، فهي لا تفرّق بين قتال معمّر القذافي، المرتدّ الظّالم، وبين حسني مبارك - هذا إذا اعتبرناه قائداً ديمقراطيّا - فكلاهما في منهج هذه الجماعات السّلفيّة المجاهدة في الحكم سواء، وأنّهما مرتدّان، وليس لهما إلاّ السّيف، وبالتّالي لا حوار، ولا هدنة، ولا أمان، ولا عقود، لأنّ هذه هي الأحكام الشّرعيّة المستقرّة في قتال المرتدّين... الجماعات السّلفيّة المجاهدة الموحّدة لا ترى فرقاً بين شرطة عرفات تحت راية وقيادة عرفات وبين الجيش اليهوديّ، وشرطة اليهود إلاّ فرقاً واحداً وهو أنّ عرفات وحكومته وشرطته أشدّ كفراً فهم أشدّ حكماً من اليهود، لكنّ كلاهما له القتل والقتال، أمّا جماعات البدعة والوصوليّة لها رأي آخر)(6).
(6) بين منهجين (67)
ونددت الهيئة كذلك بما قام به بعض أسود التوحيد والجهاد من قتل رأس الزندقة الرافضي الخبيث "محمد باقر الصدر"، فأصدرت بياناً جاء فيه: (بيان رقم "5" حول اغتيال السيد محمد باقر الحكيم
رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية: بكل أسى وأسف تلقت "هيئة علماء المسلمين" في العراق نبأ اغتيال المرجع الديني آية الله سماحة السيد (!!) محمد باقر الحكيم وهي إذ تستنكر هذا العمل الإجرامي وغيره من الأعمال التي تستهدف بها علماء الأمة ومراجعها ورموزها الإسلامية والوطنية تجزم بأن هذه الأعمال لايقصد منها إلا إثارة الفوضى والإضطراب في هذا البلد في الوقت الذي يعمل فيه المخلصون من أبنائه لجمع الكلمة ورص الصف والقضاء على الفتن التي يؤججها الأشرار ويستثمرها الأعداء الذين لايريدون بالعراق وأبنائه إلا الشر. تغمد الله الفقيد بعفوه وغفرانه (!!). وإنا لله وإنا إليه راجعون)(7).
(7) بيان رقم (5) صادر بتاريخ 30/8/2003م.

وهل يجهل حال المقبور الرافضي الخبيث محمد باقر الحكيم إلا من أعمى الله بصيرته؟.. فهو رأس من رؤوس الرافضة الذين ما كانوا ليألوا جهدا في سوم أهل السنة عموماً والمجاهدين منهم على جهة الخصوص سوء العذاب... كيف لا وهو ذنب تابع مطيع لدولة الرفض الصفوي، وعميل من الطراز الأول لأسياده الامريكان؟.. ولهذا كان من أوليات عمل جماعات التوحيد والجهاد هو قطع تلك الرؤوس العفنة كي لا تنفث سمومها في جسد الأمة الممزق.

وأخيراً؛ جاءت تصريحات حارث الضاري منددة بمختلف نشاطات المجاهدين إلا ما كان منها من قبيل قتل قوات الاحتلال الكافر، وما عداها عده من قبيل الإرهاب الذي يستحق الإدانة والتنديد، وجاعلاً لها في خانة واحدة مع نشاطات التيارات الكافرة والمرتدة، حيث قال - ما ملخصه - في خطبة الجمعة بتاريخ 9/4/2005: (هناك عدة أنواع للإرهاب نحن ضده، ونحن مع كل معاد للإرهاب بكل معانيه وكل مصادره).

وأوضح أن الإرهاب الأول: (هو إرهاب قوات الاحتلال التي تقتل وتبطش وتسفك الدماء وتسرق الاموال وتهدم البيوت بكل قسوة في الليل مستخدمة الطائرات والدبابات، مشدداً علي أن الإرهاب الأول هو إرهاب قوات الاحتلال وما عداه ناجم عنه).

وأضاف أن الإرهاب الثاني: (هو إرهاب القوة التي تستخدمها الحكومة الموقتة المسؤولة عن الأمن قانونياً حيث تستخدم قوي مختلفة ذات دوافع ورغبات وجهات أمنية مختلفة تعمل بالوشايات والحقد ويقوم بها رجال الحرس والجيش، يأخذون الأسر والناس إلى معتقلات لا يعلمها إلا الله).

وتابع: (إن الارهاب الثالث يأتي من القوي الحزبية الرئيسية المستأثرة بالحكم وميليشياتها التي تعبث بأمن العراق في وسط العراق وجنوبه).

وأكد: (إن الارهاب الرابع هو إرهاب مخابرات الدول التي لها مصلحة في تمزيق العراق وإبقائه ضعيفاً وما أكثرها وفي مقدمتها الموساد الاسرائيلي الموجود في الشمال والوسط والجنوب).

أما الارهاب الخامس فهو برأي الضاري إرهاب القوى التي تدعي المقاومة، والمقاومة الشريفة منهم براء، وقال: (نحن رافضون سلمياً للاحتلال ونرفض الإرهاب بشتى طرقه من عدو أو صديق خصوصاً إذا كان هذا الإرهاب يستهدف الأبرياء والمؤسسات والمنشآت الأمنية والثقافية ويستهدف قادة الفكر)(8).

(8) خطبة الجمعة 8/4/2005.

فهذا هو الجهاد الذي يزعم البعض أن الهيئة تؤيده، وليتها تشارك فيما تؤيد!! أما أنها لا تشارك في الجهاد بفعلها، وتنتقد ما يقوم به المجاهدون مما لا ترضاه الهيئة مجاملة لأعداء التوحيد والجهاد، ثم بعد ذلك يراد من أهل التوحيد والجهاد النزول والرضوخ لما يصدر عن الهيئة !لا يقول هذا إلا من كان جاهلاً بحال المجاهدين الذين لهم قياداتهم الشرعية ومرجعياتهم العلمية من أهل التوحيد والجهاد، لا أهل الخنوع والخضوع من المعممين والاستغلاليين النفعيين.

فهؤلاء لو قدر وجودهم في صفوف الجهاد لحق على المجاهدين الصادقين إبعادهم عن صفوفهم، فهم لو دخلوا لابتغوا الفتنة بين صفوف المجاهدين.

وفي أمثال هؤلاء يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني: (التّمايز شرطٌ لتحقيق الجهاد السنّي، ويقع التّمايز بتحقيق حقيقته المتقدّمة عن طريق التّنظيم المتميّز والذي يعلن افتراقه عن الآخرين واختلافه عنهم من جهة الشّعار المخالف فلا يلتبس لدى الأفراد تداخل الصّورتين بين هذا التّنظيم وبين غيره من التّنظيمات، وعن طريق تعميم الفهم لدى الأفراد كذلك بمخالفة الآخرين للشّرع والعقل ودخولهم في دائرة الرّأي والهوى أو البدعة الممقوتة، وهذا يتمُّ عن طريق كشف وتعرية طُرُق الآخرين من جهة أصوليّة عميقة فلا يكون الرّجل معك في التّنظيم وهو يرقب إشارات المشايخ وفتاويهم من خارج السّرب، فإنّ هذا النّوع من الشّباب خطيرٌ جِدّاً ومُذهِبٌ للقوّة والرّيح لدى أيّ تنظيم من التّنظيمات في أيّ ظرف من الظّروف.

إذا فهمنا هذا واستبان لنا حقيقة هذه المقالة بأنّ العمل الصّحيح لا بدّ بأن ينشأ بقناعةٍ علميّة وبمحرّضٍ نفسيٍّ صحيح – التّمايز - يتبيّن لنا عمق الخطأ في قول من يقول بإمكانيّة استخدام قواعد التّنظيمات البدعيّة مادّةً للجهاد في سبيل الله تعالى مع بقائهم في تنظيماتهم تحت دعوى سلامة فِطَرِهم واختلافهم عن قادتهم، أي التّفريق بين القواعد والشّيوخ، أو بين الشّباب الصّالح والقيادة الزمنى، وهذا يُظهر كذلك خطأ من يقول إنّ المشكلة في عدم الجهاد هي مشكلة القادة الزمنى والمشايخ الأئمّة وأمّا القواعد فهي صالحةٌ للجهاد فهذا خطأ كبير لأنّ القضيّة ليست قضيّة حماسٍ وعدمَ حماس، أو تأجّج عواطف وسكون أخرى، بل المشكلة الأولى والأخيرة في التركيبة العقليّة والعِلميّة في الفرد بغضِّ النّظر عن كونه قائداً أو مَقُوداً، شابّاً أم كهلاً أم شيخاً، فتحليل عدم جهاد جماعةٍ مثل الإخوان المسلمين بسبب القادة مثلاً أو عدم جهاد السّلفيّة المزعومة بسبب مشايخهم وكذا أصحاب الصّوفيّة،

خطأٌ محض فهؤلاء في هذا الجهاد - وأقصد جهاد المرتدّين - ليسوا مقتنعين به قناعةً علميّةً في أصل القضيّة، فإنْ حدث جهادٌ من بعضهم حيناً فإنّما هو من دافع توريط الصّغار للكبار، أو دفع التّيّار أي ما يسمّى بغريزة القطيع، وهؤلاء سُرعان ما يؤوبون إلى مواقعهم وتبدأ عمليّة الجلد المشيخيّ والتّنظيمي.
نعم يُمكن للأفراد والقواعد أن يخرجوا من أسر قادتهم ومشايخهم، لكن بعد أن يتمكّنوا علميّاً من اكتشاف تهافت البناء العلميّ عند مشايخهم وقادتهم فيخرجوا عليهم وعنهم وحينها يتميّز الشّخص ويُمكن إلحاقه بالتّنظيم المميّز، أمّا إن جاء من باب التوريط وتحت غثائيّة غريزة القطيع ودفْعِ التيّار فارقب في كلّ لحظة سكونٍ ثورته وعودته إلى قواعده سالماً محصّراً نفسه للوقوف أمام قائده وشيخه ليعترف له أنّه اكتشف صواب ما يقوله وخطأ أولئك المتسرّعين والمتهوّرين.
هذه نصيحة أسجّلها هنا، وهي أمانة أضعها في أعناق تنظيمات الجهاد السنّي السّلفيّ لئلاّ يكتشفوا بعد حين أنّ ما معهم مِن رجال إنّما هم شِبهُ المجاهدين - والشّبه هو صنم من نحاس تدخل فيه الرّيح فيصفر فيظنّ الجاهل أنّه شخص حقيقيّ - وليسوا مجاهدين حقيقة)(9).
(9) بين منهجين (95)
ولقد إعتمدت الهيئة أسلوباً خبيثاً في اختراقها لبعض التيارات الجهادية عن طريق بعض المنتسبين إلى السلفية في عضويتها من الذين قد وثق بهم الشباب السلفي فأخذوا يرجعون إليهم في بعض مسائل الجهاد، ظانين أنهم من قيادات الجهاد الذين يرجع إليهم. وغفل هؤلاء الشباب عن أن هؤلاء من الخوالف القاعدين الذين لم يعرف عنهم انهم شاركوا بأي عملية جهادية، بل غاية جهدهم وجهادهم هو القول المجرد عن الفعل، والذين - وللأسف الشديد - استغلوا من وثق بهم للترويج للهيئة باعتبارها جناحاً سياسياً للحركات الجهادية في العراق، فنجحوا في استغلال سياسة التوريط في تحقيق كسب شعبي لدى بعض أفراد المقاومة وجماعاتها، غاضين الطرف عن عمد أو جهل بمدى مخالفة الهيئة لحقيقة التوحيد والجهاد في سبيل الله تعالى.
وأسلوب التوريط هذا قد حذر منه الشيخ أبو قتادة الفلسطيني بقوله: (فالذين يعتمدون على طريقة التّوريط أو دفع الآخرين بأيّ طريقة من الطّرق غير طريقة الإقتناع إلى عملٍ من الأعمال إنّما يبعدون في المذهب ويتعاملون مع القضيّة بغير الطريقة السننيّة في إظهار العمل وإيجاده، لا بدّ من الاقتناع وهذا طريقه إلى الدّماغ وإلى الفكر عن طريق المجادلة بالحسنى وعرض الأدلّة

وتكرار ذلك مع اعتماد عامل الزّمن حتّى يحصل قبولاً للفكرة والدّعوة، ولا بدّ من وجود الدّافع لتحقيق هذه القناعات وذلك عن إيجاد المحرّضات الكافيةِ لإثارة النّفس البشريّة لتحقيق هذا العمل عن طريق الوعظ والتّذكرة وربط نفسيّة المرء بمحبّة تحقيق رضاء الله سبحانه وتعالى وتحصيل الدّار الآخرة، فإذا حصل الاطمئنان النّفسيّ لهذا العمل تحرّكت النّفس نحوه برغبةٍ صادقةٍ فلا يَرُدُّ عنانها عن ذلك إلاّ الذي فطرها، وهي بحاجة إلى التّذكير مرّة بعد مرّة {وذكّر فإنّ الذّكرى تنفع المؤمنين} وذلك عن طريق استثارة القناعات بوضعها في جوّ التّأثير العاطفيّ والنّفسيّ.
بهذا يحصل التّمايز عن الآخرين وبه فقط يتمُّ السّير نحو الهدف المطلوب وفي باب الجهاد فإنّ هذه هي الطّريقة السننيّة لتحقيقه وليست المسألة مسألة عواطف شباب جيّاشة سرعان ما تنتكس تحت ظروفٍ جديدةٍ وأحداث متغيّرةٍ، فالقائلون بأنّ الجهاد هو تهوّر واندفاع وحماسة شباب لا خِبرةَ لهم في الحياة هم واهمون، نعم يكون كذلك حين يكون الجهاد دافعه هو الحماس الفِطريُّ غير المؤصَّل، وتمّت الاستجابة له دون الفهم له على الوجه المطلوب فإنّ هذه الحماسة سرعان ما تزول إمّا لوقوع البلاء أو تخلّف النّصر أو كثرة المعوِّقات في طريق الجهاد.
هذه القناعات العقليّة والمبنيّة على أُسُسٍ علميّة واضحةٍ وعندها القدرة على كشف ودحض تلبيس الخصوم وأخطائهم مع نفسيّة محرّضة هي التي تصنع التّمايز في الشّخص المجاهد طول حياته وتؤمّن له عدم الانتكاس بالعودة إلى الجلاّدين من قادة تنظيمات بدعيّة أو مشايخ معوّقة)(10).
(10) بين منهجين (95)
****
رابعاً -موقف "هيئة علماء المسلمين" من قضية التوحيد
التوحيد هو الغاية من خلق السموات والأرض، وهو الغاية من خلق الجن والإنس؛ {مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، وهو الغاية من إرسال الرسل؛ {مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}، ولأجله قامت سوق الحرب والجهاد؛ {فَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.
أما موقف "هيئة علماء المسلمين" من هذه القضية الحساسة فلا يكاد يعرف لها أدنى اهتمام بهذا المطلب العظيم، فهي قد أصدرت إلى تاريخ كتابة هذا المقال ما يربو على المئة بيان، نددت فيها بالمجاهدين وما يقومون به، ونددت بما تقترفه قوات الاحتلال من مجازر وانتهاكات، وما تقوم به الحكومة العميلة من خروقات،

ولكنها لم تصدر بياناً واحداً يندد بالشرك الذي يشاع في أرض الرافدين، ولم نسمع لها تنديداً أو استنكارا لما يجري من سب لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم... ولا غرابة فالبحث في مسائل التوحيد والشرك والإيمان والكفر، بل والسنة والبدعة؛ ليس من صلاحياتها واختصاصاتها، بل أن الهيئة واقعة في جملة من الممارسات المنافية لتوحيد الله تعالى!!

ومن ذلك:

أولا: موقف "هيئة علماء المسلمين" من الانتخابات النيابية الديموقراطية:

تتبنى الهيئة مشروعية الممارسة الديموقراطية، لكنها ترفض المشاركة فيها في الوقت الحالي لأنها تجري بحسب زعمها في ظل الاحتلال.

وهذا ما جاء في بيان صادر عن الهيئة، جاء فيه: (بيان رقم "14" حول موضوع الانتخابات:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن والاه... وبعد

فإن "هيئة علماء المسلمين" في العراق تتابع الجدل الدائر بين بعض الأطراف العراقية وقوات الاحتلال حول ما يسمى بكيفية نقل السلطة بالانتخاب أم التعيين.

وعليه تود الهيئة أن تؤكد أنها مع الانتخابات إذا توافرت لها الظروف والشروط الموضوعية لضمان نجاحها ونزاهتها وتمثيلها العادل لكل فئات الشعب ومكوناته.

غير أنها تشك في توفر الشروط اللازمة لذلك الآن، لأسباب أهمها أن الهيمنة الكاملة على البلد لسلطات الاحتلال ولديها من الإمكانات والأساليب ما يمكنها من تسيير الانتخابات لمصالحها الخاصة، وأن هناك أطرافاً وفئات سياسية استفادت من التعامل مع سلطات الاحتلال وجمعت كثيراً من الأوراق التي يمكن لها أن تستخدمها في الانتخابات المقترحة لتفوز بنتائجها إن هي أجريت، وخلاصة القول فإن الهيئة لا تعول كثيراً لا على الانتخابات ولا على غيرها من المشاريع المطروحة لنقل السلطة ما دام الاحتلال موجوداً وما دام الشعب مسلوب الإرادة)(11).

(11) بيان رقم (14) في تاريخ: كانون الثاني /2004.

فالهيئة تنظر إلى قضية الانتخابات من منظار سياسي بحت، وكأنه من المسلمات في شرع الله تعالى ودينه هو جواز المشاركة في الانتخابات الديموقراطية الطاغوتية التي تعطي للبشر حق التشريع مع الله تعالى، بل مقدم على مراد الله تعالى، فمراد الله

تعالى لا ينفذ إلا إن وافق مراد المخلوقين، فالنفاذ إنما لمراد المخلوقين لا لمراد الله تعالى!!
ولهذا كان موقف حركات التوحيد والجهاد من قضية الانتخابات واضح جلي تمثل بما صدر عن شيخ المجاهدين في هذا الزمان "أسامة بن لادن" حيث قال: (وبالتالي لو فرضنا جدلا أن 90% من القوانين والأحكام مصدرها الشريعة الإسلامية و 10% مصدرها التشريعات الوضعية، فإن هذا الدستور يعتبر في ميزان الإسلام دستورا كفرياً... وبناء عليه فإن كل من يشارك في هذه الانتخابات يكون قد كفر بالله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله, وينبغي الحذر من الدجالين الذين يتكلمون باسم الأحزاب والجماعات الإسلامية ويحثون الناس على المشاركة في هذه الردة)(12).
(12) الرسالة الصوتية لأسامة بن لادن في تاريخ (27/12/2004).
ثانيا: موقف الهيئة من قضية الولاء والبراء:
تعد قضية الولاء والبراء. من صور الترجمة العملية لقضية التوحيد في أرض الواقع. فلا يستقيم توحيد العبد إلا بتحقيق التوحيد لأهله، والبراء ممن نقضه وخالفه. ولـ "هيئة علماء المسلمين" العديد من المواقف الدالة على غياب المفهوم الشرعي الصحيح لقضية الولاء والبراء، فتراها في الوقت الذي تتبرأ فيه من صنيع المجاهدين المخلصين وتستنكر ما يقومون به من عمليات جهادية، تراها تتولى النصارى وتصفهم بوصف الأخوة!!
كما جاء في بيان الهيئة: (بيان رقم "50" حول تفجير الكنائس:
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:
فيبدو أننا أمام مسلسل جديد من المحاولات اليائسة لاستهداف وحدة العراق، وتمزيق صفوفه، تجلى هذه المرة باستهداف معنى جديداً من معاني الأديان، فبعد أن استهدفت من قبل الجوامع والحسينيات بالتفجير لمرات عديدة، طالعتنا الأحداث باستهداف الكنائس هذه المرة، عبر عمليات تفجير خالية من المعاني الدينية والإنسانية.
إن استهداف دور العبادة لهذا الطيف من أبناء شعبنا، لا يمكن فهمه على أنه ظاهرة عراقية أبداً، فطيلة القرون التي مضت من عمر بلدنا لم تؤثر عن أهله أفعال إجرامية من هذا النوع، وإن الهيئة لترى على هذه الحوادث بصمات لجهات خارجية هدفها إيقاد الفتنة بين أبناء الشعب الواحد، وإبقاء البلد في حال من الفوضى لخدمة مصالح المحتل في البلاد.
إن "هيئة علماء المسلمين" إذ تستنكر هذا العمل وتدينه أياً كانت الجهة التي تقف وراءه، لتدعو إخواننا من أبناء الوطن أرباب

الديانة المسيحية إلى تحمل الصدمة وضبط النفس، كما فعل إخوانهم من قبل، والعمل معاً لتفويت الفرصة على من يبغي الشرّ بالوطن وأهله.
وتقدم الهيئة تعازيها إلى ذوي الذين لقوا ربهم يشكونه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان... وتقدم أمنياتها بالشفاء العاجل للجرحى.
وحسبنا الله وهو نعم الوكيل)(13).
(13) بيان رقم (50) بتاريخ 2/8/2004.
فأين هم من قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}؟
ومن مواقفهم الدالة على سوء تطبيقهم لقضية الولاء والبراء؛ هو موقفهم من الروافض عباد الأئمة والأولياء، سدنة القبور والأضحية، أعداء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، شاتمي أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فيصفونهم بوصف الأخوة، ويستنكرون ما قام به المجاهدون، من دون أن يتعرضوا لما يقوم به أهل الرفض من الشرك بالله تعالى، والسب لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناسباتهم البدعية تلك.
كما جاء في بيان الهيئة: (بيان رقم "23" حول الاعتداءات الآثمة في كربلاء والكاظمية:
الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه... وبعد:
في أسوء ما يمكن أن يوحي به الشيطان لجنوده، قام شذاذ ممن فقدوا معاني الإنسانية (!!)، باستهداف أبناء وطننا من زوار سيدنا الحسين في كربلاء، وسيدنا موسى الكاظم في بغداد، ولعمرنا هذا ما كنا نخشاه، وقد سبق أن حذرنا من وقوعه في هذه الأمكنة وهذا اليوم في بيان سابق، لأن المتابع الدقيق لأحداث الاغتيالات السابقة لا يخالجه الشك في أنها مصممة ببراعة لإثارة الفتن الطائفية في هذا الوقت العصيب الذي يمر به قطرنا.
إننا نشك أن يقوم بهذه الأدوار مسلمون، لأن من يستهدف هذه الأماكن الطاهرة، وهذه الأرواح البريئة (!!)، في مثل هذه المناسبة، ليس من الإسلام في شيء (!!)، ولا يمكن لمفاهيم الإسلام أن تكون قد خالجت قلبه.
إن "هيئة علماء المسلمين" إذ تشاطر إخواننا الزائرين آلامهم وغضبهم وأحزانهم، وترى أن المصاب مصاب العراقيين جميعاً، تدين هذه الجرائم النكراء، وتسأل الله أن يلحق بفاعليه الخزي والعار في الدنيا، والعذاب والجحيم في الآخرة (!!!)، وتحمّل - في الوقت نفسه- قوات الاحتلال المسؤولية الكاملة، حين نسفت كل

مؤسسات الحماية الوطنية، ولم تف بالتزاماتها الدولية كقوة محتلة لتوفير الأمان لهذا الشعب المظلوم.
وثقتنا بالتالي في أبناء شعبنا كبيرة ألا يسقطوا في منزلقات الفتن، وألا يخدعوا بمكر الشيطان.
تغمد الله أبناءنا البررة ممن قضوا نحبهم في تلك الأمكنة الطاهرة بالرحمة، واسكنهم فسيح جناته (!!)، وألهم ذويهم الصبر والسلوان.
إنا لله وإنا إليه راجعون)(14).
(14) بيان رقم (23) بتاريخ 2/3/2004
ثالثا: موقف الهيئة من الحكومات الطاغوتية المنتخبة وفق النظم الديموقراطية:
من الطبيعي أن ينجم عن تبني الهيئة لمشروعية الانتخابات الديموقراطية، فضلاً عن موالاتها لأصحاب التوجهات الكفرية من الرافضة والنصارى، أن ترى مشروعية الحكومات المنتخبة بالممارسة الديموقراطية.. ولهذا ترى الهيئة أن الحكومات المنتخبة تستمد شروعيتها بناءً على حجم مشاركة الشعب في انتخابها، لا على موافقتها للشرع أو مخالفتها له.
حيث جاء في بيان الهيئة: (بيان رقم "86" حول الانتخابات:
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:
فعلى الرغم من حرصنا على ألا يخوض شعبنا انتخابات جزئية لا تخدم سوى مصالح قوى الاحتلال، فإن فئات كثيرة من هذا الشعب وبتعبئة من رجال دين وسياسة خاضت هذه الانتخابات، وبغض النظر عن المآخذ الجمة التي سجلت على هذه العملية برمتها من تزوير وسوء إعداد وتحضير واستفراد أصحاب المصلحة بإدارتها مما يفتح باب الريبة حولها على مصراعيه في هذه الجهة أو تلك, وبغض النظر عن النتائج التي ستسفر عنها والادعاء بحجم المشاركة فيها، فإنه من المهم القول؛ إن هذه الانتخابات ناقصة الشرعية؛ لأن جزءاً كبيراً من هذا الشعب يمثل مختلف الأطياف والأحزاب والتيارات ذات الثقل في الساحة العراقية قاطعها, وهذا يقتضي بالضرورة أن المجلس الوطني القادم والحكومة التي ستنبثق عنه لن يملكا من الشرعية ما يمكنهما من كتابة الدستور القادم أو إبرام أية اتفاقات أمنية أو اقتصادية أو غير ذلك مما يمس الصالح العام؛ لأنهما لم يحصلا على تفويض كامل من كل فئات الشعب.
ونحن ننبه الأمم المتحدة والمجتمع الدولي إلى خطورة التورط في منح هذه الانتخابات الشرعية؛ لأن هذا سيفتح باباً من الشر سيكونان في مقدمة من يتحمل تبعاته.

ومع ذلك فإننا سنحترم خيار الذين أدلوا بأصواتهم من أبناء شعبنا وسننظر إلى الحكومة القادمة - إذا اتفق عليها جميع الأطراف المشاركة في العملية الانتخابية - على أنها حكومة تسيير أمور محدودة الصلاحيات، على أن تبقى قراراتها قابلة للطعون؛ لأنها لا تمتلك الشرعية الكافية لإمضائها، مع ضرورة أن نسجل ملاحظة مهمة للذين أخذوا بخيار الانتخاب من أبناء شعبنا أنه ليس الخيار الصائب. فالاحتلال سيبقى جاثماً على صدورنا ولن يتغير الحال كثيراً عمّا هو عليه زمن الحكومة المؤقتة، والشواهد على ذلك من تصريحات رموز الاحتلال كثيرة آخرها قول بعضهم: "إن الوضع الأمني في العراق يقتضي بقائنا مدة طويلة"، وهذا يعني أن الدم العراقي سيبقى نازفاً، وأن التدخل الأمريكي في الشؤون العراقية سيبقى قائماً على قدم وساق.
وفي كل الأحوال فإن الشعب العراقي كله ينتظر الفرصة المؤاتية لخوض انتخابات شاملة حرة ونزيهة وعادلة تحظى بالشرعية، وكتابة دستوره بملء إرادته بعد زوال الاحتلال بتوفيق الله)(15).

(15) بيان رقم (86) الصادر في 2/2/2005.

****

خامساً مستقبل الهيئة

الغيب هو من خصوصيات الله تعالى والذي لا يشرك فيه سبحانه وتعالى غيره إلا من شاء، كما قال :{مَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ}، ولكن قد ظهرت من "هيئة علماء المسلمين" بوادر وإرهاصات تدل بمجموعها على أن "هيئة علماء المسلمين" سينتهي بها المطاف كما انتهى بـ "الحزب الإسلامي" بالرضى بالفتات الذي يرميه الكافر المحتل بعد لعقه من قبل الروافض والعلمانيين. وهو الرضى ببضع مقاعد في المجلس النيابي الطاغوتي.
فهم يؤمنون بمشروعية الدخول في مثل هذه المجالس، ويعلقون دخولهم فيها على وضع جدولة لانسحاب قوات الاحتلال، وقوات الاحتلال بعون الله سوف تنسحب - وإن لم يكن بصورة كلية، فبصورة عامة - تحت وطئة ضربات المجاهدين، وتصريحات الاحتلال الأخيرة مشعرة بقرب انسحاب هذه القوات، والهيئة على عادتها بالتشبع بما لم تعطه سوف تحاول تغطية عورة مشاركتها في هذه المجالس برفع شعار أن قوات الاحتلال انسحب من العراق رضوخاً لمطالب الهيئة ونزولاً عند رغباتها تخوفا من الثقل الجماهيري الذي تدعي الهيئة امتلاكة وبالتنسيق مع التيارات الجهادية التي تدعي الهيئة أنها تمثل الجناح السياسي لها!

كما سبق وصنعت في مسألة الانتخابات السابقة حيث عزت الفضل في عزوف السنة العرب عن المشاركة في هذه الانتخابات إليها، وأن هذا العزوف جاء نتيجة لتفاعل العرب السنة مع الهيئة ورضوخهم لما تطلبه الهيئة منهم، بما يبرز الثقل الذي تمتلكه الهيئه في الواقع السني العربي، والواقع أن عزوف من امتنع عن المشاركة في الانتخابات يرجع إلى أحد أمرين:
الأول: القناعة الفكرية بحرمة المشاركة في الانتخابات النيابية الطاغوتية، وهذه القناعة جاءت نتيجة للجهود الجبارة التي بذلها أهل التوحيد في إيضاح حكم المشاركة في هذه الانتخابات وما يشاكلها ويشابهها.
الثاني: الخوف من أن تطال سيوف المجاهدين من يشارك في الادلاء بصوته في هذه الممارسة الكفرية، لا سيما بعد إيضاح حكم المشاركة فيها، وتوزيع المنشورات والملصقات المحذرة من المشاركة في هذه الانتخابات.
فالعرب السنة المقاطعون للانتخابات قاطعوها قناعة لدى البعض. وخوفاً لدى البعض الآخر، وليس نزولاً عند رغبة الهيئة، والتي أنا على يقين لولا طروحات المجاهدين وموقفهم من هذه الانتخابات الحاسم لكانت الهيئة من أوائل الداعين للمشاركة فيها، ولكنها استغلت جهد المجاهدين ووظفته في كسب إعلامي لها, وما عند الله خير وأبقى.
وفي القريب العاجل سوف تصعد الهيئة من لهجتها في انتقاد العمليات الجهادية التي يقوم بها المجاهدون ضد الكفار الأصليين والمرتدين المارقين، وبوادر هذا التصعيد بدأت ملامحه قبل برهة من الزمان سواء في بيانات الهيئة، أو في التصريحات الصحفية التي تصدر عنها، أو في خطب الجمعة في المساجد التي تمثل الهيئة.. وإن غداً لناظره لقريب.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد القائم بذروة سنام الدين
وعلى صحابته الغر المجاهدين
ومن سار على خطاهم من الموحدين إلى يوم الدين

- **السابع عشر - من يمثل المقاومة الإسلامية في العراق ؟؟**

إنه الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله ومن معه لأن الأفكار التي طرحتها القاعدة ليست موجودة في العراق ولا غيره
كما سنرى

- **الثامن عشر –ما هو برنامج المقاومة الإسلامية إذن ؟؟**

ليس برنامجها هو طرد المحتل الغازي فقط كما هو في برامج الآخرين بما فيهم حماس والجهاد الإسلامي

وليست الغاية التخلص من طاغوت صليبي واستبداله بطاغوت عربي مرتد فالطاغوت هو الطاغوت أينما كان وأينما حل

قال تعالى :

{ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (256) سورة البقرة

و لأنهم قد تعلموا من الواقع المرير ومن الشرع الثابت دروسا كثيرة فلن يلدغوا من جحر مرتين بإذن الله

فغايتهم أولا أن يكون الدين كله لله ومن أجل إقامة منهج الله تعالى في الأرض

قال تعالى :

{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (39) سورة الأنفال

لخص الإمام ابن القيم سياق الجهاد في الإسلام في " زاد المعاد " في الفصل الذي عقده باسم : " فصل في ترتيب هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقي الله عزَّ وجلَّ " :

(أول ما أوحى به تبارك وتعالى ، أن يقرأ باسم ربه الذي خلق ، وذلك أولى نبوته ، فأمره أن يقرأ في نفسه " فأنذر " فنبأه بقوله : " اقرأ " وأرسله بـ : " يا أيها المدثر " ، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين . فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح . ثم أذن له في الهجرة وأذن له في القتال . ثم أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله .. ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام : أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة .. فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم ، وأن يوفى لهم به ما استقاموا على العهد ، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد ، وأمر أن يقاتل من نقض عهده .. ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها : فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، أو يدخلوا في الإسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان . والمنافقين بالحجة واللسان ، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم .. وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام : قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له ، فحاربهم وظهر عليهم . وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم . وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان

لهم عهد مطلق ، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر ، فإذا انسلخت قاتلهم .. فقتل الناقض لعهده ، وأجل من لا عهد له أو له عهد مطلق ، أربعة أشهر ، وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده إلى مدته ، فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم . وضرب على أهل الذمة الجزية .. فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة .. ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين : محاربين ، وأهل ذمة . والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف محارب .. وأما سيرته في المنافقين فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمر أن يعرض عنهم ، ويغلظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ، ونهى أن يصلى عليهم ، وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم .. فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين) ..

* * *

ومن هذا التلخيص الجيد لمراحل الجهاد في الإسلام تتجلى سمات أصيلة وعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين ، جديرة بالوقوف أمامها طويلاً ، ولكننا لا نملك هنا إلا أن نشير إليها إشارات مجملة :

السمة الأولى : هي الواقعية الجدية في منهج هذا الدين .. فهو حركة تواجه واقعاً بشرياً .. وتواجهه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي .. إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية ، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية ، تسندها سلطات ذات قوة مادية .. ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه .. تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات ، وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها ، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات ، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبِّدهم لغير ربهم الجليل .. إنها حركة لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان المادي ، كما إنها لا تستخدم القهر المادي لضمائر الأفراد .. وهذه كتلك سواء في منهج هذا الدين وهو يتحرك لإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده كما سيجيء .

والسمة الثانية في منهج هذا الدين : هي الواقعية الحركية .. فهو حركة ذات مراحل ، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية ، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها .. فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة . كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة .. والذين يسوقون النصوص القرآنية

للاستشهاد بها على منهج هذا الدين في الجهاد ، ولا يراعون هذه السمة فيه ، ولا يدركون طبيعة المراحل التي مر بها هذا المنهج ، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها .. الذين يصنعون هذا يخلطون خلطاً شديداً ويلبسون منهج هذا الدين لبساً مضللاً ، ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادئ والقواعد النهائية . ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصاً نهائياً ، يمثل القواعد النهائية في هذا الدين ، ويقولون - وهم مهزومون روحياً وعقلياً تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان - : أن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع ! ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً ، وتعبيد الناس لله وحده ، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد لا بقهرهم على اعتناق عقيدته ، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة .. بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة ، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة ، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها .

والسمة الثالثة : هي أن هذه الحركة الدائبة ، والوسائل المتجددة ، لا تخرج هذا الدين عن قواعده المحددة ، ولا عن أهدافه المرسومة . فهو - منذ اليوم الأول - سواء وهـو يخاطب العشيرة الأقربين ، أو يخاطب قريشاً ، أو يخاطب العرب أجمعين ، أو يخاطب العالمين ، إنما يخاطبهم بقاعدة واحدة ، ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد هو إخلاص العبودية لله ، والخروج من العبودية للعباد . لا مساومة في هذه القاعدة ولا لين .. ثم يمضي إلى تحقيق هذا الهدف الواحد فـي خطة مرسومة ، ذات مراحل محددة ، لكل مرحلـة وسائلها المتجددة . على نحو ما أسلفنا في الفقرة السابقة .

والسمة الرابعة : هي ذلك الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى - على النحو الملحوظ في ذلك التلخيص الجيد الذي نقلناه عن " زاد المعاد " - وقيام ذلك الضبط على أساس أن الإسلام لله هو الأصل العالمي الذي على البشرية كلها أن تفيء إليه ، أو أن تسالمه بجملتها فلا تقف لدعوته بأي حائل من نظام سياسي ، أو قوة مادية ، وأن تخلي بينه وبين كل فرد ، يختاره أو لا يختاره بمطلق إرادته ، ولكن لا يقاومه ولا يحاربه ! فإن فعل ذلك أحد كان على الإسلام أن يقاتله حتى يقتله أو حتى يعلن استسلامه !

* * *

والمهزومون روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن " الجهاد في الإسلام " ليدفعوا عن الإسلام هذا " الاتهام " يخلطون بين منهج

هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة ، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه ، والتي تعبّد الناس للناس ، وتمنعهم من العبودية لله .. وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما .. ومن أجل هذا التخليط ، وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة ! - يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم : " الحرب الدفاعية " .. والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم ، ولا بواعثها ، ولا تكييفها كذلك .. إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة " الإسلام " ذاته ودوره في هذه الأرض ، وأهدافه العليا التي قررها الله ، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة ، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات .

إن هذا الدين إعلان عام لتحرير " الإنسان " في " الأرض " من العبودية للعباد - ومن العبودية لهواه أيضاً وهي من العبودية للعباد - وذلك بإعلان ألوهية الله وحده - سبحانه - وربوبيته للعاليمن .. ! إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها : الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها ، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض ، الحكم فيه للبشر بصورة من الصور .. أو بتعبير آخر مرادف : الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور .. ذلك أن الحكم الذي مردّ الأمر فيه إلى البشر ، ومصدر السلطات فيه هم البشر ، هو تأليه للبشر ، يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله . إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله ، وطرد المغتصبين له ، الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم ، فيقـومون منهم مقام الأرباب ويقـوم الناس منهم مكان العبيد .. إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض ، أو بالتعبير القرآني الكريم :

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } [الزخرف : 84] .

{ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } [يوسف : 40] .

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران : 64] .

ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم - هم رجال الدين - كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة ، كما كان الحال فيما يعرف باسم " الثيوقراطية " أو الحكم الإلهي المقدس !! - ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة ، وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة .

وقيام مملكة الله في الأرض ، وإزالة مملكة البشر ، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده .. وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية .. كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان ، لأن المتسلطين على رقاب العباد ، والمغتصبين لسلطان الله في الأرض ، لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان ، وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض ! وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال !

إن هذا الإعلان العام لتحرير " الإنسان " في " الأرض " من كل سلطان غير سلطان الله ، بإعلان إلوهية الله وحده وربوبيته للعالمين ، لم يكن إعلاناً نظرياً فلسفياً سلبياً .. إنما كان إعلاناً حركياً واقعياً إيجابياً .. إعلاناً يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشر بشريعة الله ، ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك .. ومن ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل " الحركة " إلى جانب شكل " البيان " .. ذلك ليواجه " الواقع " البشري بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه .

والواقع الإنساني ، أمس واليوم وغداً ، يواجه هذا الدين - بوصفه إعلاناً عاماً لتحرير " الإنسان " في " الأرض " من كل سلطان غير سلطان الله - بعقبات اعتقادية تصورية ، وعقبات مادية واقعية .. وعقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعنصرية وطبقية ، إلى جانب عقبات العقائد المنحرفة والتصورات الباطلة .. وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد .

وإذا كان " البيان " يواجه العقائد والتصورات ، فإن " الحركة " تواجه العقبات المادية الأخرى - وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة - .. وهما معاً - البيان والحركة - يواجهان " الواقع البشري " بجملته ، بوسائل مكافئة لكل مكوناته .. وهما معاً لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للإنسان في الأرض .. " الإنسان " كله في " الأرض " كلها .. وهذه نقطة هامة لا بد من تقريرها مرة أخرى !

إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحريـر الإنسان العربي ! وليس رسالة خاصة بالعرب ! .. إن موضوعه هو " الإنسان " .. نوع " الإنسان " .. ومجاله هو " الأرض " .. كل " الأرض " . إن الله - سبحانه - ليس رباً للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم .. إن الله هو " رب العالمين " .. وهذا الدين يريد أن يرد " العالمين " إلى ربهم ، وأن ينتزعهم من العبودية لغيره . والعبودية الكبرى - في نظر الإسلام - هي خضوع البشـر لأحكام يشرعها لهم ناس من البشر .. وهذه هي " العبادة " التي يقرر أنها لا تكون إلا

لله ، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه في هذا الدين . ولقد نص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن " الاتِّباع " في الشريعة والحكم هو " العبادة " التي صار بها اليهود والنصارى " مشركين " مخالفين لما أمروا به من " عبادة " الله وحده ..

أخرج الترمذي - بإسناده - عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنه لما بلغته دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فر إلى الشام ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم منَّ رسول الله - - صلى الله عليه وسلم - على أخته فأعطاها ، فرجعت إلى أخيها فرغَّبته في الإسلام ، وفي القدوم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقه - أي " عدي " صليب من فضة وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ هذه الآية .. { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ } [1] .. قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، فقال : " بلى ! إنهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم " .

وتفسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقول الله سبحانه ، نص قاطع على أن الاتِّباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين ، وأنها هي اتخاذ بعض الناس أرباباً لبعض .. الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه ، ويعلن تحرير " الإنسان " في " الأرض " من العبودية لغير الله ..

ومن ثم لم يكن بد للإسلام أن ينطلق في " الأرض " لإزالة " الواقع " المخالف لذلك الإعلان العام .. بالبيان وبالحركة مجتمعين .. وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التي تعبِّد الناس لغير الله .. - أي تحكمهم بغير شريعة الله وسلطانه - والتي تحول بينهم وبين الاستماع إلى " البيان " واعتناق " العقيدة " بحرية لا يتعرض لها السلطان . ثم لكي يقيم نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي - بعد إزالة القوة المسيطرة - سواء كانت سياسية بحتة ، أو متلبسة بالعنصرية ، أو الطبقية داخل العنصر الواحد !

إنه لم يكن من قصد الإسلام قط أن يكره الناس على اعتناق عقيدته .. ولكن الإسلام ليس مجرد " عقيدة " . إن الإسلام كما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد . فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان .. ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً - بالفعل - في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم - بعد رفع الضغط السياسي عنهم ، وبعد البيان المنير

---

[1] التوبة : 31

لأرواحهم وعقولهم - ولكن هذه التجربة ليس معناهـا أن يجعلوا إلاههم هواهم ، أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيداً للعباد ! وأن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ! .. إن النظام الذي يحكم البشر في الأرض يجب أن تكون قاعدته العبودية لله وحده ، وذلك بتلقـي الشرائع منه وحده . ثم ليعتنق كل فرد - في ظل هذا النظام العام - ما يعتنقه من عقيدة ! وبهذا يكون " الدين " كله لله . أي تكون الدينونة والخضوع والاتباع والعبودية كلها لله .. إن مدلول " الدين " أشمل من مدلول " العقيدة " . إن الدين هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة ، وهو في الإسلام يعتمد على العقيدة ، ولكنه في عمومه أشمل من العقيدة .. وفي الإسلام يمكن أن تخضع جماعات متنوعة لمنهجه العام الذي يقوم على أساس العبودية لله وحده ولو لم يعتنق بعض هذه الجماعات عقيدة الإسلام .

والذي يدرك طبيعة هذا الدين - على النحو المتقدم - يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف - إلى جانب الجهاد بالبيان - ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية - بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح " الحرب الدفاعية " كما يريد المهزومون - أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر - أن يصوروا حركة الجهاد في الإسلام - إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير " الإنسان " في " الأرض " .. بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري ، وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة .

وإذا لم يكن بد أن نسمي حركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية ، فلا بد أن نغير مفهوم كلمة " دفاع " ، ونعتبره " دفاعاً عن الإنسان " ذاته ، ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق تحرره .. هذه العوامل التي تتمثل في المعتقدات والتصورات ، كما تتمثل في الأنظمة السياسية ، القائمة على الحواجز الاقتصادية والطبقية والعنصرية ، التي كانت سائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام ، والتي ما تزال أشكال منها سائدة في الجاهلية الحاضرة في هذا الزمان !

وبهذا التوسع في مفهوم كلمة " الدفاع " نستطيع أن نواجه حقيقة بواعث الانطلاق الإسلامي في " الأرض " بالجهاد ، ونواجه طبيعة الإسلام ذاتها ، وهي أنه إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد ، وتقرير ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين ، وتحطيم مملكة الهوى البشري في الأرض ، وإقامة مملكة الشريعة الإلهية في عالم الإنسان ..

أما محاولة إيجاد مبررات دفاعية للجهاد الإسلامي بالمعنى الضيق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية ، ومحاولة البحث عن أسانيد لإثبات أن وقائع الجهاد الإسلامي كانت لمجرد صد العدوان

من القوى المجاورة على " الوطن الإسلامي " - وهو في عرف بعضهم جزيرة العرب - فهي محاولة تنم عن قلة إدراك لطبيعة هذا الدين ، ولطبيعة الدور الذي جاء ليقوم به في الأرض . كما أنها تشي بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي !

ترى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة أكانوا يقعـدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض ؟ وكيف كانوا يدفعون هذا المد ، وأمام الدعوة تلك العقبات المادية من أنظمة الدولة السياسية ، وأنظمة المجتمع العنصرية والطبقية ، والاقتصادية الناشئة من الاعتبارات العنصرية والطبقية ، والتي تحميها القوة المادية للدولة كذلك ؟!

إنها سذاجة أن يتصـور الإنسان دعوة تعلن تحريـر " الإنسان " .. نوع الإنسان .. في " الأرض " .. كل الأرض .. ثم تقف أمام هذه العقبات تجاهدها باللسان والبيان ! .. إنها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد ، تخاطبهم بحرية ، وهم مطلقو السراح من جميع تلك المؤثرات .. فهنا " لا إكراه في الدين " .. أما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية ، فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة ، للتمكن من مخاطبة قلب الإنسان وعقله ، وهو طليق من هذه الأغلال !

إن الجهاد ضرورة للدعوة ، إذا كانت أهدافها هي إعلان تحرير الإنسان إعلاناً جاداً يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه ، ولا يكفي بالبيان الفلسفي النظري ! سواء كان الوطن الإسلامي - وبالتعبير الإسلامي الصحيح : دار الإسلام - آمناً أم مهدداً من جيرانه . فالإسلام حين يسعى إلى السلم ، لا يقصد تلك السلم الرخيصة ، وهي مجرد أن يؤمن الرقعة الخاصة التي يعتنق أهلها العقيدة الإسلامية . إنما هو يريـد السلم التي يكون فيها الدين كله لله . أي تكون عبودية الناس كلهم فيها لله ، والتي لا يتخذ فيها الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله . والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية في الإسلام - بأمر من الله لا بأوائل أيام الدعوة ولا بأواسطها .. ولقـد انتهت هذه المراحل كما يقـول الإمام ابن القيم : " فاستقر أمر الكفار معه - بعد نزول براءة - على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة .. ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام .. فصاروا معه قسمين : محاربين ، وأهل ذمة . والمحاربون له خائفون منه .. فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن (وهم أهل الذمة كما يفهم من الجملة السابقة) وخائف محارب " ..

وهذه هي المواقف المنطقية مع طبيعة هذا الدين وأهدافه ، لا كما يفهم المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وأمام هجوم المستشرقين الماكر !

ولقـد كف الله المسلمين عن القتال في مكة ، وفي أول العهد بالهجرة إلى المدينة .. وقيل للمسلمين : { كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } [2] .. ثم أذن لهم فيه ، فقيل لهم : { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُـونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْـرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِـعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُـوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَـرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ } [3] .. ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقيل لهم : { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } [4] .. ثم فرض عليهم قتال المشركين كافـة ، فقيل لهم : { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً } [5] .. وقيل لهم : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [6] . فكان القتال - كما يقول الإمام ابن القيم - " محرماً ، ثم مأذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين .. "

إن جدِّية النصوص القرآنية الواردة في الجهاد ، وجدية الأحاديث النبوية التي تحض عليه ، وجدية الوقائع الجهادية في صدر الإسلام ، وعلى مدى طويل من تاريخه .. إن هذه الجدية الواضحة تمنع أن يجول في النفس ذلك التفسير الذي يحاوله المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي !

ومن ذا الذي يسمع قول الله سبحانه في هذا الشأن وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويتابع وقائع الجهاد الإسلامي ، ثم يظنه شأناً عارضاً مقيداً بملابسات تذهب وتجيء ، ويقف عند حدود الدفاع لتأمين الحدود ؟!

لقد بين الله للمؤمنين في أول ما نزل من الآيات التي أذن لهم فيها بالقتال أن الشأن الدائم الأصيل في طبيعة هذه الحياة الدنيا أن يدفع الناس بعضهم ببعض ، لدفع الفساد عن الأرض :

---

[2] النساء : 77
[3] الحج : 39-41
[4] البقرة : 190
[5] التوبة : 36
[6] التوبة : 29

{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً } .. [الحج : 39 - 40]

وإذن فهو الشأن الدائم لا الحالة العارضة . الشأن الدائم أن لا يتعايش الحق والباطل في هذه الأرض . وأنه متى قام الإسلام بإعلانه العام لإقامة ربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من العبودية للعباد ، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموه قط ، وانطلق هو كذلك يدمر عليهم ليخرج الناس من سلطانهم ويدفع عن " الإنسان " في " الأرض " ذلك السلطان الغاصب .. حال دائمة لا يقف معها الانطلاق الجهادي التحريري حتى يكون الدين كله لله .

إن الكف عن القتال في مكة لم يكن إلا مجرد مرحلة في خطة طويلة . كذلك كان الأمر أول العهد بالهجرة . والذي بعث الجماعة المسلمة في المدينة بعد الفترة الأولى للانطلاق لم يكن مجرد تأمين المدينة .. هذا هدف أولي لا بد منه ، ولكنه ليس الهدف الأخير .. إنه هدف يضمن وسيلة الانطلاق ، ويؤمن قاعدة الانطلاق .. الانطلاق لتحرير " الإنسان " ، ولإزالة العقبات التي تمنع " الإنسان " ذاته من الانطلاق !

وكف أيدي المسلمين في مكة عن الجهاد بالسيف مفهوم . لأنه كان مكفولاً للدعوة في مكة حرية البلاغ .. كان صاحبها - صلى الله عليه وسلم - يملك بحماية سيوف بني هاشم ، أن يصدع بالدعوة ، ويخاطب بها الآذان والعقول والقلوب ، ويواجه بها الأفراد .. لم تكن هناك سلطة سياسية منظمة تمنعه من إبلاغ الدعوة ، أو تمنع الأفراد من سماعه ! فلا ضرورة - في هذه المرحلة - لاستخدام القوة ، وذلك إلى أسباب أخرى لعلها كانت قائمة في هذه المرحلة . وقد لخصتها في ظلال القرآن عند تفسير قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ .. } [الآية 77 من سورة النساء] . ولا بأس في إثبات بعض هذا التلخيص هنا :

" ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد ، في بيئة معينة ، لقوم معينين ، وسط ظروف معينة . ومن أهداف التربية والإعداد في مثل هذه البيئة بالذات ، تربية نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم على شخصه أو على من يلوذون به ، ليخلص من شخصه ، ويتجرد من ذاته ، ولا تعود ذاته ولا من يلوذون به محور الحياة في نظره ودافع الحركة في حياته . وتربيته كذلك على ضبط أعصابه ، فلا يندفع لأول مؤثر - كما هي طبيعته - ولا يهتاج لأول مهيج ، فيتم الاعتدال في طبيعته وحركته . وتربيته على أن يتبع مجتمعاً منظماً له قيادة

يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته ، ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره به - مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته - وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي ، لإنشاء " المجتمع المسلم " الخاضع لقيادة موجهة ، المترقي المتحضر ، غير الهمجي أو القبلي !

" وربما كان ذلك أيضاً . لأن الدعوة السلمية كانت أشد أثراً وأنفذ ، في مثل بيئة قريش . ذات العنجهية والشرف . والتي قد يدفعها القتال معها - في مثل هذه المرحلة - إلى زيادة العناد ، وإلى نشأة ثارات دموية جديدة كثارات العرب المعروفة التي أثارت حرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس ، أعواماً طويلة ، تفانت فيها قبائل برمتها . وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في أذهانهم وذكرياتهم بالإسلام ، فلا تهدأ بعد ذلك أبداً ، ويتحول الإسلام من دعوة ودين إلى ثارات وذحول تنسى معها وجهته الأساسية ، وهو في مبدئه ، فلا تذكر أبداً !

" وربما كان ذلك أيضاً ، اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت . فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة ، هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم ، إنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد يعذبونه ويفتنونه " ويؤدبونه ! " ومعنى الإذن بالقتال - في مثل هذه البيئة - أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت .. ثم يقال : هذا هو الإسلام ! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال ! فقد كانت دعاية قريش في الموسم . في أواسط العرب القادمين للحج والتجارة : إن محمداً يفرق بين الوالد وولده ، فوق تفريقه لقومه وعشيرته ! فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد ، والمولى بقتل الولي .. في كل بيت وفي كل محلة ؟

" وربما كان ذلك أيضاً لما يعلمه الله من أن كثيرين من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم ، ويعذبونهم ويؤذونهم ، هم بأنفسهم سيكونون جند الإسلام المخلص ، بل من قادته .. ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء ؟!

" وربما كان ذلك أيضاً ، لأن النخوة العربية ، في بيئة قبلية ، من عادتها أن تثور للمظلوم الذي يحتمل الأذى ، ولا يتراجع ! وبخاصة إذا كان واقعاً على كرام الناس فيهم .. وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة - في هذه البيئة - فابن الدغنة لم يرض أن يترك أبا بكر - وهو رجل كريم - يهاجر ويخرج من مكة ، ورأى في ذلك عاراً على العرب ! وعرض عليه جواره وحمايته .. وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب ، بعد ما طال عليهم الجوع واشتدت المحنة .. بينما في بيئة أخرى من بيئات " الحضارة " القديمة التي مردت على الذل ، قد يكـون

السكوت على الأذى مدعاة للهزء والسخرية والاحتقار من البيئة ، وتعظيم المؤذي الظالم المعتدي !

" وربما كان ذلك ، أيضاً ، لقلة عدد المسلمين حينذاك . وانحصارهم في مكة ، حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة أو بلغت أخبارها متناثرة ، حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض أبنائها ، حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف . ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة ، إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة - حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم - ويبقى الشرك ، وتنمحي الجماعة المسلمة ، ولم يقم في الأرض للإسلام نظام ، ولا وجد له كيان واقعي . وهو دين جاء ليكون منهاج حياة ، وليكون نظاماً واقعياً عملياً للحياة .

" ... إلخ " ...

فأما في المدينة - في أول العهد بالهجرة - فقد كانت المعاهدة التي عقدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع اليهود من أهلها ومن بقي على الشرك من العرب فيها وفيما حولها ، ملابسة تقتضيها طبيعة المرحلة كذلك ..

أولاً : لأن هناك مجالاً للتبليغ والبيان ، لا تقف له سلطة سياسية تمنعه وتحول بين الناس وبينه ، فقد اعترف الجميع بالدولة المسلمة الجديدة ، وبقيادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تصريف شؤونها السياسية . فنصت المعاهدة على ألا يعقد أحد منهم صلحاً ولا يثير حرباً ، ولا ينشئ علاقة خارجية إلا بإذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان واضحاً أن السلطة الحقيقة في المدينة في يد القيادة المسلمة . فالمجال أمام الدعوة مفتوح ، والتخلية بين الناس وحرية الاعتقاد قائمة .

ثانياً : إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يريد التفرغ فـي ، هذه المرحلة - لقريش ، التي تقوم معارضتها لهذا الدين حجر عثرة في وجه القبائل الأخرى الواقعة في حالة انتظار لما ينتهي إليه الأمر بين قريش وبعض بنيها ! لذلك بادر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإرسال " السرايا " وكان أول لواء عقده لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة .

ثم توالت هذه السرايا ، على رأس تسعة أشهر . ثم على رأس ثلاثة عشر شهراً . ثم على رأس ستة عشر شهراً . ثم كانت سرية عبد الله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، وهي أول غزاة وقع فيها قتل وقتال ، وكان ذلك في الشهر الحَرام ، والتي نزلت فيها آيات البقرة : {يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا

يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا .. } [البقرة : 217] .

ثم كانت غزوة بدر الكبرى في رمضان من هذه السنة .. وهي التي نزلت فيها سورة الأنفال .

ورؤية الموقف من خلال ملابسات الواقع ، لا تدع مجالاً للقول بأن " الدفاع " بمفهومه الضيق كان هو قاعدة الحركة الإسلامية ، كما يقول المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر !

إن الذين يلجأون إلى تلمس أسباب دفاعية بحتة لحركة المد الإسلامي ، إنما يؤخذون بحركة الهجوم الاستشراقية ، في وقت لم يعد للمسلمين شوكة ، بل لم يعد للمسلمين إسلام ! - إلا من عصم الله ممن يصرون على تحقيق إعلان الإسلام العام بتحرير " الإنسان " في " الأرض " من كل سلطان إلا من سلطان الله ، ليكون الدين كله لله - فيبحثون عن مبررات أدبية للجهاد في الإسلام !

والمد الإسلامي ليس في حاجة إلى مبررات أدبية له أكثر من المبررات التي حملتها النصوص القرآنية :

{ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ، وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ، الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً } .. [النساء : 74 - 76]

{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } [الأنفال : 38 - 40]

{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، يُرِيدُونَ أَنْ

يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } ... [التوبة : 29 - 32] .

إنها مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض ، وتحقيق منهجه في حياة الناس ، ومطاردة الشياطين ومناهج الشياطين ، وتحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس ، والناس عبيد لله وحده ، لا يجوز أن يحكمهم أحد من عباده بسلطان من عند نفسه وبشريعة من هواه ورأيه ! وهذا يكفي .. مع تقرير مبدأ : " لا إكراه في الدين " .. أي لا إكراه على اعتناق العقيدة ، بعد الخروج من سلطان العبيد ، والإقرار بمبدأ أن السلطان كله لله ، أو أن الدين كله لله ، بهذا الاعتبار .

إنها مبررات التحرير العام للإنسان في الأرض . بإخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك .. وهذه وحدها تكفي .. لقد كانت هذه المبررات ماثلة في نفوس الغزاة من المسلمين ، فلم يسأل أحد منهم عما أخرجه للجهاد فيقول : خرجنا ندافع عن وطننا المهدد ! أو خرجنا نصد عدوان الفرس أو الروم علينا نحن المسلمين ! أو خرجنا نوسع رقعتنا ونستكثر من الغنيمة !

لقد كانوا يقولون كما قال ربعي بن عامر . وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة جميعاً لرستم قائد جيش الفرس في القادسية ، وهو يسألهم واحداً بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية ، قبل المعركة : ما الذي جاء بكم ؟ فيكون الجواب : " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا إلى سعتها . ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .. فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه ، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه . ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر " .

إن هناك مبرراً ذاتياً في طبيعة هذا الدين ذاته ، وفي إعلانه العام ، وفي منهجه الواقعي لمقابلة الواقع البشري بوسائل مكافئة لكل جوانبه ، في مراحل محددة ، بوسائل متجددة .. وهذا المبرر الذاتي قائم ابتداء - ولو لم يوجد خطر الاعتداء على الأرض الإسلامية وعلى المسلمين فيها - إنه مبرر في طبيعة المنهج وواقعيته ، وطبيعة المعوقات الفعلية في المجتمعات البشرية لا من مجرد ملابسات دفاعية محدودة ، وموقوتة !

وإنه ليكفي لأن يخرج المسلم مجاهداً بنفسه وماله .. " في سبيل الله " .. في سبيل هذه القيم التي لا يناله هو من ورائها مغنم ذاتي ، ولا يخرجه لها مغنم ذاتي ..

إن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر في نفسه مع الشيطان .. مع هواه وشهواته .. مع مطامعه ورغباته .. مع مصالحه ومصالح عشيرته وقومه .. مع كل شارة غير شارة الإسلام .. ومع كل دافع إلا العبودية لله ، وتحقيق

سلطانه في الأرض وطرد سلطان الطواغيت المغتصبين لسلطان الله ..

والذين يبحثون عن مبررات للجهاد الإسلامي في حماية " الوطن الإسلامي " يغضون من شأن " المنهج " ويعتبرونه أقل من " الموطن " وهذه ليست نظرة الإسلام إلى هذه الاعتبارات . إنها نظرة مستحدثة غريبة على الحس الإسلامي ، فالعقيدة والمنهج الذي تتمثل فيه والمجتمع الذي يسود فيه هذا المنهج هي الاعتبارات الوحيدة في الحس الإسلامي . أما الأرض - بذاتها - فلا اعتبار لها ولا وزن ! وكل قيمة للأرض في التصور الإسلامي إنما هي مستمدة من سيادة منهج الله وسلطانه فيها ، وبهذا تكون محضن العقيدة وحقل المنهج و " دار الإسلام " ونقطة الانطلاق لتحرير " الإنسان " .

وحقيقة إن حماية " دار الإسلام " حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج . ولكنها ليست الهدف النهائي ، وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي ، إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ، ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته . فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير !

وكما أسلفنا فإن الانطلاق بالمذهب الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ، ونظام المجتمع ، وأوضاع البيئة .. وهذه كلها هي التي ينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة ، كي يخلو له وجه الأفراد من الناس ، يخاطب ضمائرهم وأفكارهم ، بعد أن يحررها من الأغلال المادية ، ويترك لها بعد ذلك حرية الاختيار .

يجب ألا تخدعنا أو تفزعنا حملات المستشرقين على مبدأ " الجهاد " وألا يثقل على عاتقنا ضغط الواقع وثقله في ميزان القوى العالمية ، فنروح نبحث للجهاد الإسلامي عن مبررات أدبية خارجة عن طبيعة هذا الدين ، في ملابسات دفاعية وقتية ، كان الجهاد سينطلق في طريقه سواء وجدت أم لم توجد !

ويجب ونحن نستعرض الواقع التاريخي ألا نغفل عن الاعتبارات الذاتية في طبيعة هذا الدين وإعلانه العام ومنهجه الواقعي ، وألا نخلط بينها وبين المقتضيات الدفاعية الوقتية ..

حقاً إنه لم يكن بد لهذا الدين أن يدافع المهاجمين له ، لأن مجرد وجوده في صورة إعلان عام لربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله ، وتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية ، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية ، لأن الحاكمية فيه لله وحده .. إن مجرد وجود هذا الدين في هذه الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات الجاهلية من حوله - القائمة على قاعدة

العبودية للعباد - أن تحاول سحقه ، دفاعاً عن وجودها ذاته ، ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفاع عن نفسه ..

هذه ملابسة لا بد منها ، تولد مع ميلاد الإسلام ذاته ، وهذه معركة مفروضة على الإسلام فرضاً ، ولا خيار له في خوضها ، وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلاً .. .

هذا كله حق .. ووفق هذه النظرة يكون لا بد للإسلام أن يدافع عن وجوده ، ولا بد أن يخوض معركة دفاعية مفروضة عليه فرضاً ..

ولكن هناك حقيقة أخرى أشد أصالة من هذه الحقيقة .. إن من طبيعة الوجود الإسلامي ذاته أن يتحرك إلى الأمام ابتداء . لإنقاذ " الإنسان " في " الأرض " من العبودية لغير الله ، ولا يمكن أن يقف عند حدود جغرافية ، ولا أن ينزوي داخل حدود عنصرية ، تاركاً " الإنسان " .. نوع الإنسان .. في " الأرض " .. كل الأرض .. للشر والفساد والعبودية لغير الله .

إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم الإسلام ، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية ، ورضى أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام ! ولكن الإسلام لا يهادنها ، إلا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية ، ضماناً لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها .

هذه طبيعة هذا الدين ، وهذه وظيفته ، بحكم أنه إعلان عام لربوبية الله للعالمين ، وتحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله في الناس أجمعين !

وفرق بين تصور الإسلام على هذه الطبيعة ، وتصوره قابعاً داخل حدود إقليمية أو عنصرية ، لا يحركه إلا خوف الاعتداء ! إنه في هذه الصورة الأخيرة يفقد مبرراته الذاتية في الانطلاق !

إن مبررات الانطلاق الإسلامي تبرز بوضوح وعمق عند تذكر أن هذا الدين هو منهج الله للحياة البشرية ، وليس منهـج إنسان ، ولا مذهب شيعة من الناس ، ولا نظـام جنس من الأجناس ! .. ونحن لا نبحث عن مبررات خارجية إلا حين تفتر في حسنا هذه الحقيقة الهائلة .. حين ننسى أن القضية هي قضية ألوهية الله وعبودية العباد .. إنه لا يمكن أن يستحضر إنسان ما هذه الحقيقة الهائلة ثم يبحث عن مبرر آخر للجهاد الإسلامي !

والمسافة قد لا تبدو كبيرة عند مفرق الطريق ، بين تصور أن الإسلام كان مضطراً لخوض معركة لا اختيار له فيها ، بحكم وجوده الذاتي ووجود المجتمعات الجاهلية الأخرى التي لا بد أن تهاجمه ، وتصور أنه هو بذاته لا بد أن يتحرك ابتداء ، فيدخل في هذه المعركة ..

المسافة عند مفرق الطريق قد لا تبدو كبيرة ، فهو في كلتا الحالتين سيدخل المعركة حتماً ، ولكنها في نهاية الطريق تبدو هائلة شاسعة ، تغير المشاعر والمفهومات الإسلامية تغييراً كبيراً .. خطيراً .

إن هناك مسافة هائلة بين اعتبار الإسلام منهجاً إلهياً ، جاء ليقرر ألوهية الله في الأرض ، وعبودية البشر جميعاً لإله واحد ، ويصب هذا التقرير في قالب واقعي ، هو المجتمع الإنساني الذي يتحرر فيه الناس من العبودية للعباد ، بالعبودية لرب العباد ، فلا تحكمهم إلا شريعة الله ، التي يتمثل فيها سلطان الله ، أو بتعبير آخر تتمثل فيها ألوهيته .. فمن حقه إذن أن يزيل العقبات كلها من طريقه ، ليخاطب وجدان الأفراد وعقولهم دون حواجز ولا موانع مصطنعة من نظام الدولة السياسي ، أو أوضاع الناس الاجتماعية .. إن هناك مسافة هائلة بين اعتبار الإسلام على هذا النحو ، واعتباره نظاماً محلياً في وطن بعينه فمن حقه فقط أن يدفع الهجوم عليه في داخل حدوده الإقليمية !

هذا تصور .. وذاك تصور .. ولو أن الإسلام في كلتا الحالتين سيجاهد .. ولكن التصور الكلي لبواعث هذا الجهاد وأهدافه ونتائجه ، يختلف اختلافاً بعيداً ، يدخل في صميم الاعتقاد كما يدخل في صميم الخطة والاتجاه .

إن من حق الإسلام أن يتحرك ابتداء . فالإسلام ليس نحلة قوم ، ولا نظام وطن ، ولكنه منهج إله ، ونظام عالم .. ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع التي تغل من حرية " الإنسان " في الاختيار . وحسبه أنه لا يهاجم الأفراد ليكرههم على اعتناق عقيدته ، إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرر الأفراد من التأثيرات الفاسدة ، المفسدة للفطرة ، المقيدة لحرية الاختيار .

من حق الإسلام أن يُخرج " الناس "من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .. ليحقق إعلانه العام بربوبية الله للعالمين ، وتحرير الناس أجمعين .. وعبادة الله وحده لا تتحقق - في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي - إلا في ظل النظام الإسلامي ، فهو وحده النظام الذي يشرع الله فيه للعباد كلهم ، حاكمهم ومحكومهم ، أسودهم وأبيضهم ، قاصيهم ودانيهم ، فقيرهم وغنيهم ، تشريعاً واحداً يخضع له الجميع على السواء .. أما في سائر الأنظمة ، فيعبد الناس العباد ، لأنهم يتلقون التشريع لحياتهم من العباد . وهو من خصائص الألوهية ، فأيما بشر ادعى لنفسه سلطان التشريع للناس من عند نفسه ، فقد ادّعى الألوهية اختصاصاً وعملاً ، سواء ادَّعاها قولاً أم لم يعلن هذا الادعاء . وأيما بشر آخر اعترف لذلك البشر بذلك الحق فقد اعترف له بحق الألوهية ، سواء سماها باسمها أم لم يسمها !

والإسلام ليس مجرد عقيدة ، حتى يقنع بإبلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان . إنما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس ، والتجمعات الأخرى لا تمكّنه من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو ، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات للتحرير العام ، وهذا - كما قلنا من قبل - معنى أن يكون الدين كله لله ، فلا تكون هناك دينونة ولا طاعة لعبد من العباد لذاته . كما هو الشأن في سائر الأنظمة التي تقم على عبودية العباد للعباد !

إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر ، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة ، لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة . والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيداً أن هذه ليست هي الحقيقة ، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة .. ومن ثم يقوم المنافحون - المهزومون - عن سمعة الإسلام ، بنفي هذا الاتهام ، فيلجأون إلى تلمس المبررات الدفاعية ! ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته ، وحقه في " تحرير الإنسان " ابتداء .

وقد غشى على أفكار الباحثين العصريين - المهزومين - ذلك التصور الغربي لطبيعة " الدين " .. وإنه مجرد " عقيدة " في الضمير ، لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحياة . ومن ثم يكون الجهاد للدين ، جهاداً لفرض العقيدة على الضمير !

ولكن الأمر ليس كذلك في الإسلام ، فالإسلام منهج الله للحياة البشرية ، وهو منهج يقوم على إفراد الله وحده بالألوهية - متمثلة في الحاكمية - وينظم الحياة الواقعية بكل تفصيلاتها اليومية ! فالجهاد له جهاد لتقرير المنهج وإقامة النظام . أما العقيدة فأمر موكول إلى حرية الاقتناع ، في ظل النظام العام ، بعد رفع جميع المؤثرات .. ومن ثم يختلف الأمر من أساسه ، وتصبح له صورة جديدة كاملة .

وحيثما وجد التجمع الإسلامي ، الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي ، فإن الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام ، مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان ، فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد ، فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ ، مسألة مقتضيات الحركة لا مسألة عقيدة .. وعلى هذا الأساس الواضح يمكن أن نفهم النصوص القرآنية المتعددة ، في المراحل التاريخية المتجددة ، ولا نخلط بين دلالتها المرحلية ، والدلالة العامة لخط الحركة الإسلامية الثابت الطويل .

(معالم في الطريق)

فطرد العدو الغازي أولا بلا شك وقد وعد الله المؤمنين بالنصر على الكفار

قال تعالى :

{ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (12) سورة آل عمران

إن هذه الآيات واردة في صدد خطاب بني إسرائيل , وتهديدهم بمصير الكفار قبلهم وبعدهم . وفيها لفتة لطيفة عميقة الدلالة كذلك . . فهو يذكرهم فيها بمصير آل فرعون . . وكان الله سبحانه قد أهلك آل فرعون وأنجى بني إسرائيل . ولكن هذا لا يمنحهم حقا خاصا إذا هم ضلوا وكفروا , ولا يعصمهم أن يوصموا بالكفر إذا هم انحرفوا , وأن ينالوا جزاء الكافرين في الدنيا والآخرة كما نال آل فرعون الذين انجاهم الله منهم !

كذلك يذكرهم مصارع قريش في بدر - وهم كفار - ليقول لهم:إن سنة الله لا تتخلف . وإنه لا يعصمهم عاصم من أن يحق عليهم ما حق على قريش . فالعلة هي الكفر . وليس لأحد على الله دالة , ولا له شفاعة إلا بالإيمان الصحيح !

(إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا , وأولئك هم وقود النار) . .

والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية ; ولكنهما لا يغنيان شيئا في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه , لأنه لا إخلاف لميعاد الله . وهم فيه: (وقود النار) . . بهذا التعبير الذي يسلبهم كل خصائص "الإنسان" ومميزاته , ويصورهم في صورة الحطب والخشب وسائر (وقود النار) . .

لا بل إن الأموال والأولاد , ومعهما الجاه والسلطان لا تغني شيا في الدنيا:

(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا , فأخذهم الله بذنوبهم , والله شديد العقاب) . .

وهو مثل مضى في التاريخ مكرورا , وقصة الله في هذا الكتاب تفصيلا:

وهو يمثل سنة الله في المكذبين بآياته , يجريها حيث يشاء . فلا أمان إذن ولا ضمان لمكذب بآيات الله .

وإذن فالذين كفروا وكذبوا بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم وآيات الكتاب الذي نزله عليه بالحق , معرضون لهذا المصير في الدنيا والآخرة سواء . . ومن ثم يلقن الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينذرهم هذا المصير في الدارين , وأن يضرب لهم المثل بيوم بدر القريب , فلعلهم نسوا مثل فرعون والذين من قبله في التكذيب والأخذ الشديد:

(قل للذين كفروا: ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا:فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة , يرونهم مثليهم رأي العين . والله يؤيد بنصره من يشاء . إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) . .
وقوله تعالى: (يرونهم مثليهم رأي العين) يحتمل تفسيرين:فإما أن يكون ضمير(يرون) راجعا إلى الكفار , وضمير(هم) راجعا إلى المسلمين , ويكون المعنى أن الكفار على كثرتهم كانوا يرون المسلمين القليلين(مثليهم) . . وكان هذا من تدبير الله حيث خيل للمشركين أن المسلمين كثرة وهم قلة , فتزلزلت قلوبهم وأقدامهم .
وإما أن يكون العكس , ويكون المعنى أن المسلمين كانوا يرون المشركين(مثليهم) هم - في حين أن المشركين كانوا ثلاثة أمثالهم - ومع هذا ثبتوا وانتصروا .
والمهم هو رجع النصر إلى تأييد الله وتدبيره . . وفي هذا تخذيل للذين كفروا وتهديد . كما أن فيه تثبيتا للذين آمنوا وتهوينا من شأن أعدائهم فلا يرهبونهم . . وكان الموقف - كما ذكرنا في التمهيد للسورة - يقتضي هذا وذاك . . وكان القرآن يعمل هنا وهناك . .
وما يزال القرآن يعمل بحقيقته الكبيرة . وبما يتضمنه من مثل هذه الحقيقة . . إن وعد الله بهزيمة الذين يكفرون ويكذبون وينحرفون عن منهج الله , قائم في كل لحظة . ووعد الله بنصر الفئة المؤمنة - ولو قل عددها - قائم كذلك في كل لحظة . وتوقف النصر على تأييد الله الذي يعطيه من يشاء حقيقة قائمة لم تنسخ , وسنة ماضية لم تتوقف .
وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تطمئن إلى هذه الحقيقة ; وتثق في ذلك الوعد ; وتأخذ للأمر عدته التي في طوقها كاملة ; وتصبر حتى يأذن الله ; ولا تستعجل ولا تقنط إذا طال عليها الأمد المغيب في علم الله , المدبر بحكمته , المؤجل لموعده الذي يحقق هذه الحكمة .
(إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) . .
ولا بد من بصر ينظر وبصير تتدبر , لتبرز العبرة , وتعيها القلوب . وإلا فالعبرة تمر في كل لحظة في الليل والنهار ! (الظلال)
وقال تعالى:
{لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ} (196) سورة آل عمران
وتقلب الذين كفروا في البلاد , مظهر من مظاهر النعمة والوجدان , ومن مظاهر المكانة والسلطان , وهو مظهر يحيك في القلوب منه شيء لا محالة . يحيك منه شيء في قلوب المؤمنين ;

وهم يعانون الشظف والحرمان , ويعانون الأذى والجهد , ويعانون المطاردة أو الجهاد . . وكلها مشقات وأهوال , بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون ! . . ويحيك منه شيء في قلوب الجماهير الغافلة , وهي ترى الحق وأهله يعانون هذا العناء , والباطل وأهله في منجاة , بل في مسلاة ! ويحيك منه شيء في قلوب الضالين المبطلين أنفسهم ; فيزيدهم ضلالا وبطرا ولجاجا في الشر والفساد .

هنا تأتي هذه اللمسة:

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل . ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) .

متاع قليل . . ينتهي ويذهب . . أما المأوى الدائم الخالد , فهو جهنم . . وبئس المهاد !

وفي مقابل المتاع القليل الذاهب جنات . وخلود . وتكريم من الله: (جنات تجري من تحتها الأنهار) . . (خالدين فيها) . . (نزلا من عند الله) . . (وما عند الله خير للأبرار) . .

وما يشك أحد يضع ذلك النصيب في كفة , وهذا النصيب في كفة , أن ما عند الله خير للأبرار . وما تبقى في القلب شبهة في أن كفة الذين اتقوا أرجح من كفة الذين كفروا في هذا الميزان . وما يتردد ذو عقل في اختيار النصيب الذي يختاره لأنفسهم أولو الألباب !

إن الله - سبحانه - في موضع التربية , وفي مجال إقرار القيم الأساسية في التصور الإسلامي لا يعد المؤمنين هنا بالنصر , ولا يعدهم بقهر الأعداء , ولا يعدهم بالتمكين في الأرض , ولا يعدهم شيئا من الأشياء في هذه الحياة . . مما يعدهم به في مواضع أخرى , ومما يكتبه على نفسه لأوليائه في صراعهم مع أعدائه .

إنه يعدهم هنا شيئا واحدا . هو (ما عند الله) . فهذا هو الأصل في هذه الدعوة . وهذه هي نقطة الانطلاق في هذه العقيدة:

التجرد المطلق من كل هدف ومن كل غاية , ومن كل مطمع - حتى رغبة المؤمن في غلبة عقيدته وانتصار كلمة الله وقهر أعداء الله - حتى هذه الرغبة يريد الله أن يتجرد منها المؤمنون , ويكلوا أمرها إليه , وتتخلص قلوبهم من أن تكون هذه شهوة لها ولو كانت لا تخصها !

هذه العقيدة:عطاء ووفاء وأداء . .

فقط . وبلا مقابل من أعراض هذه الأرض , وبلا مقابل كذلك من نصر وغلبة وتمكين واستعلاء . .

ثم انتظار كل شيء هناك !

ثم يقع النصر , ويقع التمكين , ويقع الاستعلاء . . ولكن هذا ليس داخلا في البيعة . ليس جزءا من الصفقة . ليس في الصفقة مقابل في هذه الدنيا . وليس فيها إلا الأداء والوفاء والعطاء . . والابتلاء . . على هذا كانت البيعة والدعوة مطاردة في مكة ; وعلى هذا كان البيع والشراء . ولم يمنح الله المسلمين النصر والتمكين والاستعلاء ; ولم يسلمهم مقاليد الأرض وقيادة البشرية , إلا حين تجردوا هذا التجرد , ووفوا هذا الوفاء:
قال محمد بن كعب القرظي وغيره:قال عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ليلة العقبة [ونقباء الأوس والخزرج يبايعونه صلى الله عليه وسلم على الهجرة إليهم]:اشترط لربك ولنفسك ما شئت . فقال:" أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا . وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم " . قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك ? قال:" الجنة " . . قالوا:ربح البيع . ولا نقيل ولا نستقيل . .
هكذا . . "الجنة " . .
والجنة فقط ! لم يقل . .
النصر والعز والوحدة . والقوة . والتمكين . والقيادة . والمال . والرخاء - مما منحهم الله وأجراه على أيديهم - فذلك كله خارج عن الصفقة !
وهكذا . .
ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل . . لقد أخذوها صفقة بين متبايعين ; أنهي أمرها , وأمضي عقدها . ولم تعد هناك مساومة حولها !
وهكذا ربى الله الجماعة التي قدر أن يضع في يدها مقاليد الأرض , وزمام القيادة , وسلمها الأمانة الكبرى بعد أن تجردت من كل أطماعها , وكل رغباتها , وكل شهواتها , حتى ما يختص منها بالدعوة التي تحملها , والمنهج الذي تحققه , والعقيدة التي تموت من أجلها . فما يصلح لحمل هذه الأمانة الكبرى من بقي له أرب لنفسه في نفسه , أو بقيت فيه بقية لم تدخل في السلم كافة . (الظلال)
وقال تعالى :
{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (21) سورة المجادلة
وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون على الرغم مما قد يبدو أحيانا من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق . فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك . واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض ; ودانت لها

البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية , وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد . وإذا كانت هناك فترات عاد فيها الإلحاد أو الشرك إلى الظهور في بعض بقاع الأرض - كما يقع الآن في الدول الملحدة والوثنية - فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة . فضلا على أن فترات الإلحاد والوثنية إلى زوال مؤكد , لأنها غير صالحة للبقاء . والبشرية تهتدي في كل يوم إلى أدلة جديدة تهدي إلى الاعتقاد في الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد .
والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة . فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة , فهذا الواقع هو الباطل الزائل . الذي يوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة . لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم .
وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان في صورها المتنوعة , من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود متطاولة , بلغ في بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قتلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع النكاية . ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين , يحميهم من الانهيار , ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها , ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تنقض عليه وتحطمه . .
حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى . يجده في هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل !!
وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود , وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون , وأن الله ورسله هم الغالبون . وأن هذا هو الكائن والذي لا بد أن يكون . ولتكن الظواهر غير هذا ما تكون ! (الظلال)
****

استمرار المعركة بين الهدى والضلال

وقال تعالى :
إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ

يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41) سورة الحج

إن قوى الشر والضلال تعمل في هذه الأرض , والمعركة مستمرة بين الخير والشر والهدى والضلال ; والصراع قائم بين قوى الإيمان وقوى الطغيان منذ أن خلق الله الإنسان .

والشر جامح والباطل مسلح . وهو يبطش غير متحرج , ويضرب غير متورع ; ويملك أن يفتن الناس عن الخير إن اهتدوا إليه , وعن الحق إن تفتحت قلوبهم له . فلا بد للإيمان والخير والحق من قوة تحميها من البطش , وتقيها من الفتنة وتحرسها من الأشواك والسموم .

ولم يشأ الله أن يترك الإيمان والخير والحق عزلا تكافح قوى الطغيان والشر والباطل , اعتمادا على قوة الإيمان في النفوس وتغلغل الحق في الفطر , وعمق الخير في القلوب . فالقوة المادية التي يملكها الباطل قد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وتزيغ الفطر . وللصبر حد وللاحتمال أمد , وللطاقة البشرية مدى تنتهي إليه . والله أعلم بقلوب الناس ونفوسهم . ومن ثم لم يشأ أن يترك المؤمنين للفتنة , إلا ريثما يستعدون للمقاومة , ويتهيأون للدفاع , ويتمكنون من وسائل الجهاد . .

وعندئذ أذن لهم في القتال لرد العدوان .

وقبل أن يأذن لهم بالانطلاق إلى المعركة آذنهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم فهم في حمايته: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) . .

وأنه يكره أعداءهم لكفرهم وخيانتهم فهم مخذولون حتما: (إن الله لا يحب كل خوان كفور) . .

وأنه حكم لهم بأحقية دفاعهم وسلامة موقفهم من الناحية الأدبية فهم مظلومون غير معتدين ولا متبطرين:

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) . .

وأن لهم أن يطمئنوا إلى حماية الله لهم ونصره إياهم: (وإن الله على نصرهم لقدير) . .

وأن لهم ما يبرر خوضهم للمعركة فهم منتدبون لمهمة إنسانية كبيرة لا يعود خيرها عليهم وحدهم , إنما يعود على الجبهة المؤمنة كلها ; وفيها ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة . وذلك فوق أنهم مظلومون أخرجوا من ديارهم بغير حق:

(الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا:ربنا الله) . . وهي أصدق كلمة أن تقال , وأحق كلمة بأن تقال . ومن أجل هذه الكلمة وحدها كان إخراجهم . فهو البغي المطلق الذي لا يستند إلى شبهة من ناحية المعتدين . وهو التجرد من كل هدف شخصي من ناحية

المعتدى عليهم , إنما هي العقيدة وحدها من أجلها يخرجون لا الصراع على عرض من أعراض هذه الأرض , التي تشتجر فيها الأطماع ; وتتعارض فيها المصالح ; وتختلف فيها الاتجاهات وتتضارب فيها المنافع !
ووراء هذا كله تلك القاعدة العامة . .
حاجة العقيدة إلى الدفع عنها: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) . .
والصوامع أماكن العبادة المنعزلة للرهبان , والبيع للنصارى عامة وهي أوسع من الصوامع , والصلوات أماكن العبادة لليهود .
والمساجد أماكن العبادة للمسلمين .
وهي كلها معرضة للهدم - على قداستها وتخصيصها لعبادة الله لا يشفع لها في نظر الباطل أن اسم الله يذكر فيها , ولا يحميها إلا دفع الله الناس بعضهم ببعض . أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرمتها , ويعتدون على أهلها . فالباطل متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول . ولا يكفي الحق أنه الحق ليقف عدوان الباطل عليه , بل لا بد من القوة تحميه وتدفع عنه . وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان !
ولا بد من وقفة أمام هذه النصوص القليلة الكلمات العميقة الدلالة , وما وراءها من أسرار في عالم النفس وعالم الحياة .
إن الله يبدأ الإذن بالقتال للذين قاتلهم المشركون , واعتدى عليهم المبطلون , بأن الله يدافع عن الذين آمنوا , وأنه يكره المعتدين عليهم من الكفار الخائنين:
(إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور) . .
فقد ضمن للمؤمنين إذن أنه هو تعالى يدافع عنهم . ومن يدافع الله عنه فهو ممنوع حتما من عدوه , ظاهر حتما على عدوه . .
ففيم إذن يأذن لهم بالقتال ? وفيم إذن يكتب عليهم الجهاد ? وفيم إذن يقاتلون فيصيبهم القتل والجرح , والجهد والمشقة , والتضحية والآلام . . .
والعاقبة معروفة , والله قادر على تحقيق العاقبة لهم بلا جهد ولا مشقة , ولا تضحية ولا ألم , ولا قتل ولا قتال ?
والجواب أن حكمة الله في هذا هي العليا , وأن لله الحجة البالغة . .
والذي ندركه نحن البشر من تلك الحكمة ويظهر لعقولنا ومداركنا من تجاربنا ومعارفنا أن الله سبحانه لم يرد أن يكون حملة دعوته وحماتها من "التنابلة " الكسالى , الذين يجلسون في استرخاء , ثم يتنزل عليهم نصره سهلا هينا بلا عناء , لمجرد أنهم يقيمون الصلاة

ويرتلون القرآن ويتوجهون إلى الله بالدعاء , كلما مسهم الأذى ووقع عليهم الاعتداء !
نعم إنهم يجب أن يقيموا الصلاة , وأن يرتلوا القرآن , وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء في السراء والضراء . ولكن هذه العبادة وحدها لا تؤهلهم لحمل دعوة الله وحمايتها ; إنما هي الزاد الذي يتزودونه للمعركة . والذخيرة التي يدخرونها للموقعة , والسلاح الذي يطمئنون إليه وهم يواجهون الباطل بمثل سلاحه ويزيدون عنه سلاح التقوى والإيمان والاتصال بالله .
لقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم كي يتم نضجهم هم في أثناء المعركة .
فالبنية الإنسانية لا تستيقظ كل الطاقات المذخورة فيها كما تستيقظ وهي تواجه الخطر ; وهي تدفع وتدافع , وهي تستجمع كل قوتها لتواجه القوة المهاجمة . . عندئذ تتحفز كل خلية بكل ما أودع فيها مناستعداد لتؤدي دورها ; ولتتساند مع الخلايا الأخرى في العمليات المشتركة ; ولتؤتي أقصى ما تملكه , وتبذل آخر ما تنطوي عليه ; وتصل إلى أكمل ما هو مقدور لها وما هي مهيأة له من الكمال .
والأمة التي تقوم على دعوة الله في حاجة إلى استيقاظ كل خلاياها , واحتشاد كل قواها , وتوفز كل استعدادها , وتجمع كل طاقاتها , كي يتم نموها , ويكمل نضجها , وتتهيأ بذلك لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها .
والنصر السريع الذي لا يكلف عناء , والذي يتنزل هينا لينا على القاعدين المستريحين , يعطل تلك الطاقات عن الظهور , لأنه لا يحفزها ولا يدعوها .
وذلك فوق أن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانه وضياعه . أولا لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة . وثانيا لأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ولم تحشد طاقاتهم وتشحد لكسبه . فهي لا تتحفز ولا تحتشد للدفاع عنه .
وهناك التربية الوجدانية والدربة العملية تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة , والكر والفر , والقوة والضعف والتقدم والتقهقر . ومن المشاعر المصاحبة لها . .
من الأمل والألم . ومن الفرح والغم , ومن الاطمئنان والقلق . ومن الشعور بالضعف والشعور بالقوة . .
ومعها التجمع والفناء في العقيدة والجماعة والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة وقبلها وبعدها وكشف نقط الضعف ونقط القوة , وتدبير الأمور في جميع الحالات . .
وكلها ضرورية للأمة التي تحمل الدعوة وتقوم عليها وعلى الناس .

من أجل هذا كله , ومن أجل غيره مما يعلمه الله . . جعل الله دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم ; ولم يجعله لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء .
والنصر قد يبطى ء على الذين ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا:ربنا الله . فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريدها الله .
قد يبطى ء النصر لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها , ولم يتم بعد تمامها , ولم تحشد بعد طاقاتها , ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات . فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكا لعدم قدرتها على حمايته طويلا !
وقد يبطى ء النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة , وآخر ما تملكه من رصيد , فلا تستبقي عزيزا ولا غالبا لا تبذله هينا رخيصا في سبيل الله .
وقد يبطى ء النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها , فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من اللهلا تكفل النصر . إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله .
وقد يبطى ء النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله , وهي تعاني وتتألم وتبذل ; ولا تجد لها سندا إلا الله , ولا متوجها إلا إليه وحده في الضراء . وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله . فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله .
وقد يبطى ء النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته فهي تقاتل لمغنم تحققه , أو تقاتل حمية لذاتها , أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها . والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله , بريئا من المشاعر الأخرى التي تلابسه . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى . فأيها في سبيل الله . فقال:" من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " .
كما قد يبطى ء النصر لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير , يريد الله أن يجرد الشر منها ليتمحض خالصا , ويذهب وحده هالكا لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار !
وقد يبطى ء النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماما . فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه , لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله ; فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم

الحقيقة . فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عاريا للناس , ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية !
وقد يبطى ء النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة . فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار . فيظل الصراع قائما حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر , ولاستبقائه ! من أجل هذا كله , ومن أجل غيره مما يعلمه الله , قد يبطى ء النصر , فتتضاعف التضحيات , وتتضاعف الآلام . مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية .
وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه , وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه:
(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة , وآتوا الزكاة , وأمروا بالمعروف , ونهوا عن المنكر ; ولله عاقبة الأمور) . .
فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره . . فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله , فيستحقون نصر الله , القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه ? إنهم هؤلاء:
(الذين إن مكناهم في الأرض) . .
فحققنا لهم النصر , وثبتنا لهم الأمر . .
(أقاموا الصلاة) . .
فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به , واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين . .
(وآتوا الزكاة) . . فأدوا حق المال , وانتصروا على شح النفس , وتطهروا من الحرص , وغلبوا وسوسة الشيطان , وسدوا خلة الجماعة , وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج , وحققوا لها صفة الجسم الحي - كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . .
(وأمروا بالمعروف) . .
فدعوا إلى الخير والصلاح , ودفعوا إليه الناس . . (ونهوا عن المنكر) . .
فقاوموا الشر والفساد , وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره , ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه . .
هؤلاء هم الذين ينصرون الله , إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة , معتزين بالله وحده دون سواه . وهؤلاء هم الذين يعدهم الله بالنصر على وجه التحقيق واليقين .

فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته . المشروط بتكاليفه وأعبائه . .
والأمر بعد ذلك لله , يصرفه كيف يشاء , فيبدل الهزيمة نصرا , والنصر هزيمة , عندما تختل القوائم , أو تهمل التكاليف: (ولله عاقبة الأمور) . .
إنه النصر الذي يؤدي إلى تحقيق المنهج الإلهي في الحياة . من انتصار الحق والعدل والحرية المتجهة إلى الخير والصلاح . المنظور فيه إلى هذه الغاية التي يتوارى في ظلها الأشخاص والذوات , والمطامع والشهوات . .
وهو نصر له سببه . وله ثمنه . وله تكاليفه . وله شروطه . فلا يعطى لأحد جزافا أو محاباة ولا يبقى لأحد لا يحقق غايته ومقتضاه . . (الظلال)
****

الله الغالب وأعداؤه أذلون

ولما كان أولئك المنافقون يأوون إلى اليهود شعورا منهم بأنهم قوة تخشى وترجى . ويطلبون عندهم العون والمشورة . فإن الله ييئسهم منهم , ويقرر أنه كتب على أعدائه الذلة والهزيمة , وكتب لنفسه ولرسوله الغلبة والتمكين:
قال تعالى :
إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (20)كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) المجادلة
وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون على الرغم مما قد يبدو أحيانا من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق . فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك . واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض ; ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية , وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد . وإذا كانت هناك فترات عاد فيها الإلحاد أو الشرك إلى الظهور في بعض بقاع الأرض - كما يقع الآن في الدول الملحدة والوثنية - فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة . فضلا على أن فترات الإلحاد والوثنية إلى زوال مؤكد , لأنها غير صالحة للبقاء . والبشرية تهتدي في كل يوم إلى أدلة جديدة تهدي إلى الاعتقاد في الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد .
والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة . فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة , فهذا الواقع هو الباطل الزائل . الذي يوجد فترة في

الأرض لحكمة خاصة . لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم .
وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان في صورها المتنوعة , من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود متطاولة , بلغ في بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قتلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع النكاية . ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين , يحميهم من الانهيار , ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها , ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تنقض عليه وتحطمه . .
حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى . يجده في هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل !!
وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود , وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون , وأن الله ورسله هم الغالبون . وأن هذا هو الكائن والذي لا بد أن يكون . ولتكن الظواهر غير هذا ما تكون !
****

إهلاك الكافرين والمجرمين

وقال تعالى :
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8)وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9)وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11)فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12)فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)
هؤلاء هم " الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد " . .
وليس وراء الطغيان إلا الفساد . فالطغيان يفسد الطاغية ، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء . كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة . ويحول الحياة عن خطها السليم النظيف ، المعمر الباني ، إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال . .
إنه يجعل الطاغية أسير هواه ، لأنه لا يفيء إلى ميزان ثابت ، ولا يقف عند حد ظاهر ، فيفسد هو أول من يفسد ؛ ويتخذ له مكانا في الأرض غير مكان العبد المستخلف ؛ وكذلك قال فرعون . . " أنا ربكم الأعلى " عندما أفسده طغيانه ، فتجاوز به مكان العبد المخلوق ، وتطاول به إلى هذا الادعاء المقبوح ، وهو فساد أي فساد .

ثم هو يجعل الجماهير أرقاء أذلاء ، مع السخط الدفين والحقد الكظيم ، فتتعطل فيهم مشاعر الكرامة الإنسانية ، وملكات الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية . والنفس التي تستذل تأسن وتتعفن ، وتصبح مرتعا لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة . وميدانا للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك . وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع ، وهو فساد أي فساد . .

ثم هو يحطم الموازين والقيم والتصورات المستقيمة ، لأنها خطر على الطغاة والطغيان . فلابد من تزييف للقيم ، وتزوير في الموازين ، وتحريف للتصورات كي تقبل صورة البغي البشعة ، وتراها مقبولة مستساغة . .

وهو فساد أي فساد .

فلما أكثروا في الأرض الفساد ، كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد :

" فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد " . .

فربك راصد لهم ومسجل لأعمالهم . فلما أن كثر الفساد وزاد صب عليهم سوط عذاب ، وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط ، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب . حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية ، على الطغاة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد .

ومن وراء المصارع كلها تفيض الطمأنينة على القلب المؤمن وهو يواجه الطغيان في أي زمان وأي مكان . ومن قوله تعالى :

" إن ربك لبالمرصاد " تفيض طمأنينة خاصة . فربك هناك . راصد لا يفوته شيء . مراقب لا يند عنه شيء . فليطمئن بال المؤمن ، ولينم ملء جفونه . فإن ربه هناك ! . . بالمرصاد . .

للطغيان والشر والفساد

وهكذا نرى هنا نماذج من قدر الله في أمر الدعوة ، غير النموذج التي تعرضه سورة البروج لأصحاب الأخدود . وقد كان القرآن - ولا يزال - يربي المؤمنين بهذا النموذج وذاك . وفق الحالات والملابسات . ويعد نفوس المؤمنين لهذا وذاك على السواء . لتطمئن على الحالين . وتتوقع الأمرين ، وتكل كل شيء لقدر الله يجريه كما يشاء . (الظلال)

****

الصراع بين الرسل وأعدائهم والنهاية السوداء لكل جبار عنيد

ويستمر موسى في بيانه وتذكيره لقومه . ولكنه يتوارى عن المشهد لتبرز المعركة الكبرى بين أمة الأنبياء والجاهليات المكذبة بالرسل والرسالات . وذلك من بدائع الأداء في القرآن , لإحياء المشاهد , ونقلها من حكاية تروى إلى مشهد ينظر ويسمع , وتتحرك فيه الشخوص , وتتجلى فيه السمات والانفعالات . .
والآن إلى الساحة الكبرى التي يتلاشى فيها الزمان والمكان:
{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9) إبراهيم
هذا التذكير من قول موسى . ولكن السياق منذ الآن يجعل موسى يتوارى ليستمر في عرض قصة الرسل والرسالات في جميع أزمانها . قصة الرسل والرسالات وحقيقتها في مواجهة الجاهلية , وعاقبة المكذبين بها على اختلاف الزمان والمكان . .
وكأن موسى "راوية " يبدأ بالإشارة إلى أحداث الرواية الكبرى . ثم يدع أبطالها يتحدثون بعد ذلك ويتصرفون . . وهي طريقة من طرق العرض للقصة في القرآن , تحول القصة المحكية إلى رواية حية كما أسلفنا . وهنا نشهد الرسل الكرام في موكب الإيمان , يواجهون البشرية متجمعة في جاهليتها . حيث تتوارى الفواصل بين أجيالها وأقوامها . وتبرز الحقائق الكبرى مجردة عن الزمان والمكان . كما هي في حقيقة الوجود خلف حواجز الزمان والمكان:
(ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم:قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ؟) . .
فهم كثير إذن , وهناك غير من جاء ذكرهم في القرآن . ما بين ثمود وقوم موسى . والسياق هنا لا يعني بتفصيل أمرهم , فهناك وحدة في دعوة الرسل ووحدة فيما قوبلت به:
(جاءتهم رسلهم بالبينات) . .
الواضحات التي لا يلتبس أمرها على الإدراك السليم .
(فردوا أيديهم في أفواههم , وقالوا:إنا كفرنا بما أرسلتم به ; وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب) . .
ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل من يريد تمويج الصوت ليسمع عن بعد , بتحريك كفه أمام فمه وهو يرفع صوته ذهابا وإيابا فيتموج الصوت ويسمع . يرسم السياق هذه الحركة التي تدل على جهرهم بالتكذيب والشك , وإفحاشهم في هذا الجهر , وإتيانهم بهذه الحركة الغليظة التي لا أدب فيها ولا ذوق , إمعانا منهم في الجهر بالكفر .

ولما كان الذي يدعوهم إليه رسلهم هو الاعتقاد بألوهية الله وحده , وربوبيته للبشر بلا شريك من عباده . . فإن الشك في هذه الحقيقة الناطقة التي تدركها الفطرة , وتدل عليها آيات الله المبثوثة في ظاهر الكون المتجلية في صفحاته , يبدو مستنكرا قبيحا , وقد استنكر الرسل هذا الشك . والسماوات والأرض شاهدان .

(قالت رسلهم:أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ?) . .

أفي الله شك والسماوات والأرض تنطقان للفطرة بأن الله أبدعهما إبداعا وأنشأهما إنشاء ? قالت رسلهم هذا القول , لأن السماوات والأرض آيتان هائلتان بارزتان , فمجرد الإشارة إليهما يكفي , ويرد الشارد إلى الرشد سريعا , ولم يزيدوا على الإشارة شيئا لأنها وحدها تكفي ; ثم أخذوا يعددون نعم الله على البشر في دعوتهم إلى الإيمان , وفي إمهالهم إلى أجل يتدبرون فيه ويتقون العذاب:

(أفي الله شك فاطر السماوات والأرض . يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) .

والدعوة أصلا دعوة إلى الإيمان , المؤدي إلى المغفرة . ولكن السياق يجعل الدعوة مباشرة للمغفرة , لتتجلى نعمة الله ومنته . وعندئذ يبدو عجيبا أن يدعى قوم إلى المغفرة فيكون هذا تلقيهم للدعوة !

(يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) . . (ويؤخركم إلى أجل مسمى) . .

فهو - سبحانه - مع الدعوة للمغفرة لا يعجلكم بالإيمان فور الدعوة , ولا يأخذكم بالعذاب فور التكذيب . إنما يمن عليكم منة أخرى فيؤخركم إلى أجل مسمى . إما في هذه الدنيا وإما إلى يوم الحساب , ترجعون فيه إلى نفوسكم , وتتدبرون آيات الله وبيان رسلكم . وهي رحمة وسماحة تحسبان في باب النعم . . فهل هذا هو جواب دعوة الله الرحيم المنان ?!

هنا يرجع القوم في جهالتهم إلى ذلك الاعتراض الجهول:

(قالوا:إن أنتم إلا بشر مثلنا , تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) . .

وبدلا من أن يعتز البشر باختيار الله لواحد منهم ليحمل رسالته , فإنهم لجهالتهم ينكرون هذا الاختيار , ويجعلونه مثار ريبة في الرسل المختارين ; ويعللون دعوة رسلهم لهم بأنها رغبة في تحويلهم عما كان يعبد آباؤهم . ولا يسألون أنفسهم:لماذا يرغب الرسل في تحويلهم ?! وبطبيعة الجمود العقلي الذي تطبعه الوثنيات في العقول لا يفكرون فيما كان يعبد آباؤهم:ما قيمته ? ما حقيقته ? ماذا يساوي في معرض النقد والتفكير ?!

وبطبيعة الجمود العقلي كذلك لا يفكرون في الدعوة الجديدة , إنما يطلبون خارقة ترغمهم على التصديق:
(فأتونا بسلطان مبين) . .
ويرد الرسل .لا ينكرون بشريتهم بل يقررونها , ولكنهم يوجهون الأنظار إلى منة الله في اختيار رسل من البشر , وفي منحهم ما يؤهلهم لحمل الأمانة الكبرى:
(قالت لهم رسلهم:إن نحن إلا بشر مثلكم . ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) . .
ويذكر السياق لفظ(يمن) تنسيقا للحوار مع جو السورة . جو الحديث عن نعم الله . ومنها هذه المنة على من يشاء من عباده . وهي منة ضخمة لا على أشخاص الرسل وحدهم . ولكن كذلك على البشرية التي تشرف بانتخاب أفراد منها لهذه المهمة العظمى . مهمة الاتصال والتلقي من الملأ الأعلى . وهي منة على البشرية بتذكير الفطرة التي ران عليها الركام لتخرج من الظلمات إلى النور ; ولتتحرك فيها أجهزة الاستقبال والتلقي فتخرج من الموت الراكد إلى الحياة المتفتحة . .
ثم هي المنة الكبرى على البشرية بإخراج الناس من الدينونة للعباد إلى الدينونة لله وحده بلا شريك ; واستنقاذ كرامتهم وطاقتهم من الذل والتبدد في الدينونة للعبيد . . الذل الذي يحني هامة إنسان لعبد مثله ! والتبدد الذي يسخر طاقة إنسان لتأليه عبد مثله !
فأما حكاية الإتيان بسلطان مبين , وقوة خارقة , فالرسل يبينون لقومهم أنها من شأن الله . ليفرقوا في مداركهم المبهمة المظلمة بين ذات الله الإلهية , وذواتهم هم البشرية , وليمحصوا صورة التوحيد المطلق الذي لا يلتبس بمشابهة في ذات ولا صفة , وهي المتاهة التي تاهت فيها الوثنيات كما تاهت فيها التصورات الكنسية في المسيحية عندما تلبست بالوثنيات الإغريقية والرومانية والمصرية والهندية . وكانت نقطة البدء في المتاهة هي نسبة الخوارق إلى عيسى - عليه السلام - بذاته واللبس بين ألوهية الله وعبودية عيسى عليه السلام !
(وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) . .
وما نعتمد على قوة غير قوته:
(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) . .
يطلقها الرسل حقيقة دائمة . فعلى الله وحده يتوكل المؤمن لا يتلفت قلبه إلى سواه , ولا يرجو عونا إلا منه , ولا يرتكن إلا إلى حماه .

ثم يواجهون الطغيان بالإيمان , ويواجهون الأذى بالثبات ; ويسألون للتقرير والتوكيد:
(وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ? ولنصبرن على ما آذيتمونا , وعلى الله فليتوكل المتوكلون) . .
(وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) . .
إنها كلمة المطمئن إلى موقفه وطريقه . المالئ يديه من وليه وناصره . المؤمن بأن الله الذي يهدي السبيل لا بد أن ينصر وأن يعين . وماذا يهم حتى ولو لم يتم في الحياة الدنيا نصر إذا كان العبد قد ضمن هداية السبيل ? والقلب الذي يحس أن يد الله - سبحانه - تقود خطاه , وتهديه السبيل , هو قلب موصول بالله لا يخطئ الشعور بوجوده - سبحانه - وألوهيته القاهرة المسيطرة ; وهو شعور لا مجال معه للتردد في المضي في الطريق , أيا كانت العقبات في الطريق , وأيا كانت قوى الطاغوت التي تتربص في هذا الطريق . ومن ثم هذا الربط في رد الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - بين شعورهم بهداية الله لهم وبين توكلهم عليه في مواجهة التهديد السافر من الطواغيت ; ثم إصرارهم على المضي في طريقهم في وجه هذا التهديد .
وهذه الحقيقة - حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية الله وبين بديهية التوكل عليه لا تستشعرها إلا القلوب التي تزاول الحركة فعلا في مواجهة طاغوت الجاهلية ; والتي تستشعر في أعماقها يد الله - سبحانه - وهي تفتح لها كوى النور فتبصر الآفاق المشرقة وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة , وتحس الأنس والقربى . .
وحينئذ لا تحفل بما يتوعدها به طواغيت الأرض ; ولا تملك أن تستجيب للإغراء ولا للتهديد ; وهي تحتقر طواغيت الأرض وما في أيديهم من وسائل البطش والتنكيل . وماذا يخاف القلب الموصول بالله على هذا النحو ? وماذا يخيفه من أولئك العبيد ?!
(وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) . .
(ولنصبرن على ما آذيتمونا) .
لنصبرن لا نتزحزح ولا نضعف ولا نتراجع ولا نهن ; ولا نتزعزع ولا نشك ولا نفرط ولا نحيد . .
(وعلى الله فليتوكل المتوكلون) . .
وهنا يسفر الطغيان عن وجهه لا يجادل ولا يناقش ولايفكر ولا يتعقل , لأنه يحس بهزيمته أمام انتصار العقيدة , فيسفر بالقوة المادية الغليظة التي لا يملك غيرها المتجبرون:
(وقال الذين كفروا لرسلهم:لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) !

هنا تتجلى حقيقة المعركة وطبيعتها بين الإسلام والجاهلية . .
إن الجاهلية لا ترضى من الإسلام أن يكون له كيان مستقل عنها . ولا تطيق أن يكون له وجود خارج عن وجودها . وهي لا تسالم الإسلام حتى لو سالمها . فالإسلام لا بد أن يبدو في صورة تجمع حركي مستقل بقيادة مستقلة وولاء مستقل , وهذا ما لا تطيقه الجاهلية . لذلك لا يطلب الذين كفروا من رسلهم مجرد أن يكفوا عن دعوتهم ; ولكن يطلبون منهم أن يعودوا في ملتهم , وأن يندمجوا في تجمعهم الجاهلي , وأن يذوبوا في مجتمعهم فلا يبقى لهم كيان مستقل . وهذا ما تأباه طبيعة هذا الدين لأهله , وما يرفضه الرسل من ثم ويأبونه , فما ينبغي لمسلم أن يندمج في التجمع الجاهلي مرة أخرى . .
وعندما تسفر القوة الغاشمة عن وجهها الصلد لا يبقى مجال لدعوة , ولا يبقى مجال لحجة ; ولا يسلم الله الرسل إلى الجاهلية . .
إن التجمع الجاهلي - بطبيعة تركيبه العضوي لا يسمح لعنصر مسلم أن يعمل من داخله , إلا أن يكون عمل المسلم وجهده وطاقته لحساب التجمع الجاهلي , ولتوطيد جاهليته !
والذين يخيل إليهم أنهم قادرون على العمل لدينهم من خلال التسرب في المجتمع الجاهلي , والتميع في تشكيلاته وأجهزته هم ناس لا يدركون الطبيعة العضوية للمجتمع . هذه الطبيعة التي ترغم كل فرد داخل المجتمع أن يعمل لحساب هذا المجتمع ولحساب منهجه وتصوره . .
لذلك يرفض الرسل الكرام أن يعودوا في ملة قومهم بعد إذ نجاهم الله منها . .
وهنا تتدخل القوة الكبرى فتضرب ضربتها المدمرة القاضية التي لا تقف لها قوة البشر المهازيل , وإن كانوا طغاة متجبرين:
(فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم . ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) .
ولا بد أن ندرك أن تدخل القوة الكبرى للفصل بين الرسل وقومهم إنما يكون دائما بعد مفاصلة الرسل لقومهم . . بعد أن يرفض المسلمون أن يعودوا إلى ملة قومهم بعد إذ نجاهم الله منها . .
وبعد أن يصروا على تميزهم بدينهم وبتجمعهم الإسلامي الخاص بقيادته الخاصة . وبعد أن يفاصلوا قومهم على أساس العقيدة فينقسم القوم الواحد إلى أمتين مختلفتين عقيدة ومنهجا وقيادة وتجمعا . . عندئذ تتدخل القوة الكبرى لتضرب ضربتها الفاصلة , ولتدمر على الطواغيت الذين يتهددون المؤمنين , ولتمكن للمؤمنين في الأرض , ولتحقق وعد الله لرسله بالنصر والتمكين . . .
ولا يكون هذا التدخل أبدا والمسلمون متميعون في المجتمع

الجاهلي , عاملون من خلال أوضاعه وتشكيلاته , غير منفصلين عنه ولا متميزين بتجمع حركي مستقل وقيادة إسلامية مستقلة . .
(فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) . .
نون العظمة ونون التوكيد . .
كلتاهما ذات ظل وإيقاع في هذا الموقف الشديد . لنهلكن المتجبرين المهددين , المشركين الظالمين لأنفسهم وللحق وللرسل وللناس بهذا التهديد . .
(ولنسكننكم الأرض من بعدهم) . .
لا محاباة ولا جزافا , إنما هي السنة الجارية العادلة:
(ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) . .
ذلك الإسكان والاستخلاف لمن خاف مقامي , فلم يتطاول ولم يتعال ولم يستكبر ولم يتجبر . وخاف وعيد , فحسب حسابه , واتقى أسبابه , فلم يفسد في الأرض , ولم يظلم في الناس . فهو من ثم يستحق الاستخلاف , ويناله باستحقاق .
وهكذا تلتقي القوة الصغيرة الهزيلة - قوة الطغاة الظالمين - بالقوة الجبارة الطامة - قوة الجبار المهيمن المتكبر - فقد انتهت مهمة الرسل عند البلاغ المبين والمفاصلة التي تميز المؤمنين من المكذبين .
ووقف الطغاة المتجبرون بقوتهم الهزيلة الضئيلة في صف , ووقف الرسل الداعون المتواضعون ومعهم قوة الله - سبحانه - في صف . ودعا كلاهما بالنصر والفتح . . وكانت العاقبة كما يجب أن تكون:
(واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد . يتجرعه ولا يكاد يسيغه , ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت , ومن ورائه عذاب غليظ) . .
والمشهد هنا عجيب . إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد . مشهد الخيبة في هذه الأرض . ولكنه يقف هذا الموقف , ومن ورائه تخايل جهنم وصورته فيها , وهو يسقى من الصديد السائل من الجسوم . يسقاه بعنف فيتجرعه غصبا وكرها , ولا يكاد يسيغه , لقذارته ومرارته , والتقزز والتكره باديان نكاد نلمحها من خلال الكلمات ! ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان , ولكنه لا يموت , ليستكمل عذابه . ومن ورائه عذاب غليظ . .
إنه مشهد عجيب , يرسم الجبار الخائب المهزوم ووراءه مصيره يخايل له على هذا النحو المروع الفظيع . وتشترك كلمة(غليظ) في تفظيع المشهد , تنسيقا له مع القوة الغاشمة التي كانوا يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين .

****

وهم يعلمون أن النصر له ثمن باهض ومن ثم فإنهم يقدمون هذا الثمن

قال تعالى :

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} (214) سورة البقرة

إن هذا السؤال من الرسول والذين آمنوا معه . من الرسول الموصول بالله , والمؤمنين الذين آمنوا بالله . إن سؤالهم: (متى نصر الله ?) ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة . ولن تكون إلا محنة فوق الوصف , تلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب , فتبعث منها ذلك السؤال المكروب: (متى نصر الله ?) . .

وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة . .

عندئذ تتم كلمة الله , ويجيء النصر من الله:

(ألا إن نصر الله قريب) . .

إنه مدخر لمن يستحقونه . ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية . الذين يثبتون على البأساء والضراء . الذين يصمدون للزلزلة . الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة . الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله , وعندما يشاء الله . وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها , فهم يتطلعون فحسب إلى (نصر الله) لا إلى أي حل آخر , ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله . ولا نصر إلا من عند الله .

بهذا يدخل المؤمنون الجنة , مستحقين لها , جديرين بها , بعد الجهاد والامتحان , والصبر والثبات , والتجرد لله وحده , والشعور به وحده , وإغفال كل ما سواه وكل من سواه .

إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة , ويرفعها على ذواتها , ويطهرها في بوتقة الألم , فيصفو عنصرها ويضيء , ويهب العقيدة عمقا وقوة وحيوية , فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها .

وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجا كما وقع , وكما يقع في كل قضية حق , يلقي أصحابها ما يلقون في أول الطريق , حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين . .

على أنه - حتى إذا لم يقع هذا - يقع ما هو أعظم منه في حقيقته . يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنتها , وأن تنطلق من إسار الحرص على الدعة والراحة , والحرص على الحياة نفسها في النهاية . .

وهذا الانطلاق كسب للبشرية كلها , وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء . كسب يرجح جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون , والمؤتمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته .
وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف . .
وهذا هو الطريق . .
هذا هو الطريق كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولى , وللجماعة المسلمة في كل جيل .
هذا هو الطريق:إيمان وجهاد . .
ومحنة وابتلاء . وصبر وثبات . .
وتوجه إلى الله وحده . ثم يجيء النصر . ثم يجيء النعيم . .
(الظلال)

وهم يعلمون أنه قد يندس بينهم من يقول الله تعالى عنهم :
{ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا} (72) سورة النساء
إنهم لا يخجلون - وهم يعدون هذه النجاة مع التخلف نعمة - أن ينسبوها لله . الله الذي خالفوا عن أمره فقعدوا ! والنجاة في هذه الملابسة لا تكون من نعمة الله أبدا . فنعمة الله لا تنال بالمخالفة . ولو كان ظاهرها نجاة !
إنها نعمة ! ولكن عند الذين لا يتعاملون مع الله . عند من لا يدركون لماذا خلقهم الله . ولا يعبدون الله بالطاعة والجهاد لتحقيق منهجه في الحياة . نعمة عند من لا يتطلعون إلى آفاق أعلى من مواطى ء الأقدام في هذه الأرض . .
كالنمال . .
نعمة عند من لا يحسون أن البلاء - في سبيل الله وفي الجهاد لتحقيق منهج الله وإعلاء كلمة الله - هو فضل واختيار من الله , يختص به من يشاء من عباده ; ليرفعهم في الحياة الدنيا على ضعفهم البشري , ويطلقهم من إسار الأرض يستشرفون حياة رفيعة , يملكونها ولا تملكهم . وليؤهلهم بهذا الانطلاق وذلك الارتفاع للقرب منه في الآخرة . . في منازل الشهداء . .
إن الناس كلهم يموتون !
ولكن الشهداء - في سبيل الله - هم وحدهم الذين "يستشهدون" . .
وهذا فضل من الله عظيم .
فأما إذا كانت الأخرى . .
فانتصر المجاهدون ; الذين خرجوا مستعدين لقبول كل ما يأتيهم به الله . .

ونالهم فضل من الله بالنصر والغنيمة . .
ندم المتخلفون أن لم يكونوا شركاء في معركة رابحة !
رابحة بحسب مفهومهم القريب الصغير للربح والخسارة !(ولئن أصابكم فضل من الله , ليقولن - كأن لم تكن بينكم وبينه مودة - يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيمًا) .
إنها أمنية الفوز الصغير بالغنيمة والإياب , هي التي يقولون عنها: (فوزا عظيمًا) والمؤمن لا يكره الفوز بالإياب والغنيمة ; بل مطلوب منه أن يرجوه من الله . والمؤمن لا يتمنى وقوع البلاء بل مطلوب منه أن يسأل الله العافية . .
ولكن التصور الكلي للمؤمن غير هذا التصور , الذي يرسمه التعبير القرآني لهذه الفئة رسما مستنكرا منفرا . .
إن المؤمن لا يتمنى البلاء بل يسأل الله العافية . ولكنه إذا ندب للجهاد خرج - غير متثاقل - خرج يسأل الله إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة . .
وكلاهما فضل من الله ; وكلهما فوز عظيم . فيقسم له الله الشهادة , فإذا هو راض بما قسم الله ; أو فرح بمقام الشهادة عند الله . ويقسم له الله الغنيمة والإياب , فيشكر الله على فضله , ويفرح بنصر الله لا لمجرد النجاة !
وهذا هو الأفق الذي أراد الله أن يرفع المسلمين إليه ; وهو يرسم لهم هذه الصورة المنفرة لذلك الفريق(منهم) وهو يكشف لهم عن المندسين في الصف من المعوقين , ليأخذوا منهم حذرهم ; كما يأخذون حذرهم من أعدائهم !
ومن وراء التحذير والاستنهاض للجماعة المسلمة في ذلك الزمان , يرتسم نموذج إنساني متكرر في بني الإنسان , في كل زمان ومكان , في هذه الكلمات المعدودة من كلمات القرآن !
ثم تبقى هذه الحقيقة تتملاها الجماعة المسلمة أبدا . وهي أن الصف قد يوجد فيه أمثال هؤلاء . فلا ييئس من نفسه . ولكن يأخذ حذره ويمضي . ويحاول بالتربية والتوجيه والجهد , أن يكمل النقص , ويعالج الضعف , وينسق الخطى والمشاعر والحركات ! (الظلال)

- **التاسع عشر - ومن أهدافهم إقامة الخلافة الإسلامية في الأرض التي وعدنا الله تعالى بها**

قال تعالى :
{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ

بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (55) سورة النــور
إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله ; وتوجه النشاط الإنساني كله . فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى الله لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله ; وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة لا يبقى معها هوى في النفس , ولا شهوة في القلب , ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله .
فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله , بخواطر نفسه , وخلجات قلبه . وأشواق روحه , وميول فطرته , وحركات جسمه , ولفتات جوارحه , وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعا . . يتوجه بهذا كله إلى الله . .
يتمثل هذا في قول الله سبحانه في الآية نفسها تعليلا للاستخلاف والتمكين والأمن: (يعبدونني لا يشركون بي شيئا) والشرك مداخل وألوان , والتوجه إلى غير الله بعمل أو شعور هو لون من ألوان الشرك بالله .
ذلك الإيمان منهج حياة كامل , يتضمن كل ما أمر الله به , ويدخل فيما أمر الله به توفير الأسباب , وإعداد العدة , والأخذ بالوسائل , والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض . .
أمانة الاستخلاف . .
فما حقيقة الاستخلاف في الأرض ?
إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم . . إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء ; وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه ; وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض , اللائق بخليفة أكرمها الله .
إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح لا على الهدم والإفساد . وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة لا على الظلم والقهر . وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان ! وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات .
وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض - كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم - ليحققوا النهج الذي أراده الله ; ويقرروا العدل الذي أراده الله ; ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال

المقدر لها يوم أنشأها الله . . فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض , وينشرون فيها البغي والجور , وينحدرون بها إلى مدارج الحيوان . . فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض . إنما هم مبتلون بما هم فيه , أو مبتلى بهم غيرهم , ممن يسلطون عليهم لحكمة يقدرها الله .
آية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى بعده: (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) . . وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب , كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها . فقد وعدهم الله إذن أن يستخلفهم في الأرض , وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض . ودينهم يأمر بالإصلاح , ويأمر بالعدل , ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض . ويأمر بعمارة هذه الأرض , والانتفاع بكل ما أودعها الله من ثروة , ومن رصيد , ومن طاقة , مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله .
(وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) . . ولقد كانوا خائفين لا يأمنون , ولا يضعون سلاحهم أبدا حتى بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قاعدة الإسلام الأولى بالمدينة .
قال الربيع بن أنس عن أبي العالية في هذه الآية:
كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحوا من عشر سنين يدعون إلى الله وحده , وإلى عبادته وحده بلا شريك له , سرا وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال ; حتى أمروا بعد الهجرة إلى المدينة , فقدموها , فأمرهم الله بالقتال , فكانوا بها خائفين , يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح ; فصبروا على ذلك ما شاء الله . ثم إن رجلا من الصحابة قال:يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا ?
أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ? فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم - " لن تصبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم ليست فيه حديدة " . وأنزل الله هذه الآية , فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب , فأمنوا ووضعوا السلاح . ثم إن الله قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان . حتى وقعوا فيما وقعوا فيه , فأدخل الله عليهم الخوف ; فاتخذوا الحجزة والشرط , وغيروا فغير بهم . .
(ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) . .
الخارجون على شرط الله . ووعد الله . وعهد الله . .
لقد تحقق وعد الله مرة . وظل متحققا وواقعا ما قام المسلمون على شرط الله: (يعبدونني لا يشركون بي شيئا) . .

لا من الآلهة ولا من الشهوات . ويؤمنون - من الإيمان - ويعملون صالحا . ووعد الله مذخور لكل من يقوم على الشرط من هذه الأمة إلى يوم القيامة . إنما يبطىء النصر والاستخلاف والتمكين والأمن . لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة ; أو في تكليف من تكاليفه الضخمة ; حتى إذا انتفعت الأمة بالبلاء , وجازت الابتلاء , وخافت فطلبت الأمن , وذلت فطلبت العزة , وتخلفت فطلبت الاستخلاف . . كل ذلك بوسائله التي أرادها الله , وبشروطه التي قررها الله . . تحقق وعد الله الذي لا يتخلف , ولا تقف في طريقه قوة من قوى الأرض جميعا .

لذلك يعقب على هذا الوعد بالأمر بالصلاة والزكاة والطاعة , وبألا يحسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته حسابا لقوة الكافرين الذين يحاربونهم ويحاربون دينهم الذي ارتضى لهم:

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة , وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض . ومأواهم النار ولبئس المصير) . .

فهذه هي العدة . . الاتصال بالله , وتقويم القلب بإقامة الصلاة . والاستعلاء على الشح , وتطهير النفس والجماعة بإيتاء الزكاة . وطاعة الرسول والرضى بحكمه , وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة , وتحقيق النهج الذي أراده للحياة: (لعلكم ترحمون) في الأرض من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال , وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال .

فإذا استقمتم على النهج , فلا عليكم من قوة الكافرين . فما هم بمعجزين في الأرض , وقوتهم الظاهرة لن تقف لكم في طريق . وأنتم أقوياء بإيمانكم , أقوياء بنظامكم , أقوياء بعدتكم التي تستطيعون . وقد لا تكونون في مثل عدتهم من الناحية المادية . ولكن القلوب المؤمنة التي تجاهد تصنع الخوارق والأعاجيب .

إن الإسلام حقيقة ضخمة لا بد أن يتملاها من يريد الوصول إلى حقيقة وعد الله في تلك الآيات . ولا بد أن يبحث عن مصداقها في تاريخ الحياة البشرية , وهو يدرك شروطها على حقيقتها , قبل أن يتشكك فيها أو يرتاب , أو يستبطىء وقوعها في حالة من الحالات .

إنه ما من مرة سارت هذه الأمة على نهج الله , وحكمت هذا النهج في الحياة , وارتضته في كل أمورها . . إلا تحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن . وما من مرة خالفت عن هذا النهج إلا تخلفت في ذيل القافلة , وذلت , وطرد دينها من الهيمنة على البشرية ; واستبد بها الخوف ; وتخطفها الأعداء .

ألا وإن وعد الله قائم . ألا وإن شرط الله معروف . فمن شاء الوعد فليقم بالشرط . ومن أوفى بعهده من الله ? (الظلال)

****

- العشرون -ووعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

ففي مسند أحمد عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ كُنَّا قُعُوداً فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلاً يَكُفُّ حَدِيثَهُ فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ فَقَالَ يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم فِي الأُمَرَاءِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ ».ثُمَّ سَكَتَ

ونحن الآن في المرحلة الرابعة وهي الملك الجبري فكل بلاد المسلمين تحكم بالحديد والنار وقد ذاقت الأمة الإسلامية الويلات منهم ومن أسيادهم

فالمرحلة الخامسة لما تأتي بعد فهم يحاولون الوصول إليها فلا بد آتية لا محالة ولا يمكن الوصول إليها بغير الجهاد في سبيل الله تعالى

****

إنّ شرعيّة جماعات الجهاد في العالم قامت على عمد، كلّ واحدة منها تكفي لوجوب الاجتماع لإحياء الجهاد والعمل به دون تردّد أو مواربة، وتجعل الخارج عن هذه الجماعات المجاهدة واقع لا شكّ في إثم ووزر لتقصيره في العمل في إدراك هذه العمد، والإعانة على إحيائها وتنميتها.

لماذا جماعات الجهاد المقاتلة؟.

إن كان لا بدّ من تمهيدٍ فإنّنا نقول: إنّ عقيدة الجهاد في دين الله تعالى قد واجهت من قِبَل الكفر وأزلامه الهجوم إثر الهجوم، وقد عُلِمَ الكفرُ بكلّ صُوَرِهِ أنّه لا يمكن زلزلة أركانه وإزالته من مكانه إلاّ بالقتال، وأنّه لا يمكن لدولة من الدّول أن ترسّخ أركانها وتثبّت وجودها إلاّ بعد دماء وأشلاء، فلا يوجد دولة على ظهر الأرض الآن وغداً وبالأمس، وكانت هذه الدّولة ذات استقلال ومنعة إلاّ بعد حروب وحروب، وقتال يأخذ من فلذات أكبادها، ودم شبابها ما

تشيب له العثانين، وعلى النّاظر أن لا يغترّ بما يسمّى بالدّيمقراطيّة في العالم الغربيّ، إذ حين يرى بعضهم سهولة ويسر تناوب الأحزاب على السّلطة، وتخلّي الحكّام عن كراسيهم يظنّ أنّه بإمكان المسلمين أن يصلوا إلى الحكم عن هذا الطريق، وهذا خطأ جسيم، إذ أنّ هذه الأنظمة لم تستقرّ على هذا الحال إلّا بعد حروب طاحنة بين حملة هذه الفكرة (الدّيمقراطيّة) وبين خصومهم، وما من دولة تشكّلت (وهي مستقلّة) إلّا بعد حروب مع خصومها.
فأمريكا زعيمة العالم الدّيمقراطيّ الحرّ، الجامعة تحت رايتها ولايات عدّة، لم توجد على هذا الشّكل من العقيدة السّياسيّة والوجود الجغرافيّ الممتدّ إلّا بعد حروب أهليّة طاحنة بين الشّمال والجنوب، حروب أكلت الأخضر واليابس، حتّى تمّ غلبة أحد الفريقين على الآخر، فتواضع المنتصرون على هذا الشّكل من النّظام السّياسيّ، وهذه الصّورة من الحياة.
وكذلك أوروبّا وما إشتملت عليه من دول وحكومات، فإنّ هذه الحكومات لم تتشكّل على هذا النّسق إلّا بعد حروب داخل القارّة وخارجها، قدّم فيها كلّ فريق الغالي والنّفيس، حتّى خلصت إلى أحد الفريقين، فتواضع المنتصرون على هذا الشّكل من الأنظمة وهذه الصّورة من الحياة.
ولو سألنا أنفسنا: لماذا يحقّ للغرب أن ينشر عقيدته عن طريق القوّة والسّلاح كما تصنع أمريكا وأوربا ولا يحقّ لخصومهم ذلك؟.
هؤلاء الذين يريدون نشر الأفكار، ثمّ يريدون لهذه الأفكار أن تكون في سدّة الحكم والسّلطان ثمّ لا يسيرون في ركاب حملة السّلاح والمقاتلين، هؤلاء أشبه بالفلاسفة السفسطائيين حيث تضيع صرخاتهم هباءً.
إذا كان أهل الإسلام قد اتّفقوا على إزالة طاغوت مرتدٍّ مثل معمّر القذّافي عن حكم ليبيا، فما هي الطّريقة التي يمكن لهم فيها أن يزيلوا هذا الرّجل عن كرسيّه؟.
الذين يطرحون منهج تربية النّاس على الإسلام حتّى يكثر عدد الإسلاميين في ليبيا، فيتمّ التّغلغل والسّريان من غير تعليمهم فنّ القتال والحرب، بل جلّ همّهم أن يكونوا حملة أسفار أو أذكياء سياسة، أو صوّام نهار وقوّام ليل، وحفظة قرآن وحديث (وهؤلاء مراتبهم تمتدّ بين طرفيّ النّقيض من صوفيّ إلى سلفيّ وبينهما إخوانيّ)، فهل يعجز معمّر القذّافي أن يوجد في ركابه مائة رجل، بيدهم السّلاح والقوّة، فيميلون على زوامل العلوم فيبقرونها، وعلى أذكياء فنّ الممكن فيفسدون فنونهم، وعلى العبّاد فيقطعون مسابحهم ويبولون على مساجدهم وبعدها فلا حسّ ولا خبر؟.

وقل مثل ذلك عن العائلة السّعوديّة في الجزيرة؟.
إنّ هؤلاء القوم - أي الطّواغيت - مثل بقّ الكلاب القذرة، إذ أنّ هذا النّوع من البقّ الخبيث لا يمكن أن يزول عن مكانه إلاّ بقتله، حيث يتمّ الضّغط عليه بآلة حديديّة تجعله أشلاء ونتفاً (أي الهرس حتّى النّخاع).
العائلة النّصيريّة في سوريّا - حافظ الأسد ومن معه -، هل يتصوّر غبيّ على وجه الأرض أنّ مثل هذا الرّجل يمكن أن يتخلّى عن الملك عن طريق صندوق الاقتراع، أو عن طريق الاعتصامات والمسيرات السّلميّة؟.
صدّام حسين - طاغوت العراق - لو نازعه العالم أجمع على أن يتخلّى عن حكم العراق، فهل يتركه حتّى يُصنع به ما يُصنع ببقّ الكلاب؟.
إنّ هذا الرّجل على أتمّ الاستعداد أن يفني شعب العراق بأكمله ليأكل على جماجمهم أطايب الطّعام ولذيذه.
العائلة الخبيثة في الأردن بقيادة القزم المتسوّل الملك حسين، هذا الرّجل الذي قذف بوالده إلى مستشفيات المجانين ليكون حاكماً على بلد فسيفسائيّ لو عرض على شيخ قبيلة قديم لأنف من حكمها، هل هناك طريقة غير طريقة إزالة بقّ الكلاب ممكن أن تزيله؟.
هؤلاء الحكّام الذين استخدموا أخسّ أنواع الرّذائل من أجل الوصول إلى الحكم، ثمّ استخدموا أقذر أنواع الطّرق لإطالة أمد حكمهم، إذ أنّ أغلبهم لم يتورّع عن قتل والده أو سجنه أو ذبح أخيه للوصول إلى الكرسي:
قابوس بن سعيد خرج على والده.
زايد بن سلطان خرج على شخبوط قريبه.
الملك حسين: بمعونة أمّه الخبيثة أرسل والده إلى مصحّة عقليّة في تركيّا، ومن قبله جدّه عبد الله باع والده "حسين" في سوق النّخاسة الدّوليّة...
والقائمة طويلة....
حكّام مثل هذا الصّنف هل يمكن أن يراوحوا أماكنهم بغير طريقة إزالة بقّ الكلاب (الهرس حتّى النّخاع).
إنّه لا يوجد عاقل على وجه الأرض تحرّر من أوهام، الخرافة وجبريّة المبتدعة، وغنوصيّة الصّوفيّة، يطرح طريقاً لإزالتهم غير طريقة بقّ الكلاب.
لكنّنا نحن المسلمين ما زلنا نشمّ رذائل فكر الانحطاط الذي ولج إلى أمّتنا بعد خير القرون تحت أسماء برّاقة، فإنّ لمشايخنا رأياً آخر في التّغيير نسوق لك بعضه:

أ - الشّيخ السّلفي أبوبكر الجزائريّ وطريقته الجنائزيّة:
للشّيخ طريقة جديدة تستحقّ أن تدخل تحت باب الاكتشافات الحديثة. يقول عن طريقته البديعة: إنّ أفضل طريقة لإصلاح حكّامنا وعلى الخصوص آل سعود، هو أن نجمع أعداداً غفيرة من المطالبين بضرورة الإصلاح، ثمّ نشدّ رحالنا متوجّهين إلى قصر وليّ الأمر. فنحطّ رحالنا وننيخ ركائبنا أمام بيته - عفواً قصره - ثمّ نبدأ بالنّشيج والبكاء، فإذا خرج علينا وليّ الأمر بطلعته البهيّة، ووجهه الوضّاء المشرق، وسألنا عن سبب بكائنا قلنا له: والله لن نبارح عتبة قصرك حتّى تزيل المنكرات وتحكم بشريعة القرآن...، بلا شكّ أنّ وليّ الأمر قلبه رؤوف رحيم، بل هو رجل لا يرضى لشعبه الوفيّ أن يبكي (قال الشّيخ باللّفظ: هوَّ قلب الحاكم حجر؟) النّتيجة أنّ الحاكم العادل سيرضخ لمطالبنا ويستجيب لبكائنا وحينها سيحكم آل سعود بالقرآن. انتهى الحلم المشيخيّ فالرّجاء ترك الشّخير.
ب - أمّا نظريّة البعض الآخر من مشايخنا ومفكّرينا في طريقة توصف باسم "صندوق العجائب" وصندوق العجائب هذا اكتشفه النّاس مؤخّراً، تقول نظريّة الصّندوق:
يحكى أنّ حاكماً كان اسمه حسني مبارك، هذا الحاكم يختلف عن جميع رؤساء عصابات الكوبوي، فهو رجل يحترم نفسه لكنّ العلّة فيمن حوله، فقد زوّرت عليه حاشيته أنّ جميع الشّعب يريده ويحبّه، ولا يرضى بديلاً عنه، ومن دلائل صدق هذا الكوبوي أنّه في كلّ فترة زمنيّة يعلن للنّاس أنّه على استعداد ليتخلّى عن الكرسي إذا أراد شعبه ذلك، وحتى يعرف رأي النّاس صنع صندوقاً ليضع النّاس فيه آراءهم.
تقول الحكاية إنّ الرّواة اختلفوا في النّتيجة، فبعضهم يجزم أنّ الصّندوق كان عجيباً، إذ أنّه يستطيع أن يقلب جميع الحروف على الورق إلى كلمة واحدة فقط "نعم للرّئيس".
وبعض الرّواة لم نستطع سماع روايته لأنّه كان في السّجن (أفيقوا رحمكم الله).
جـ - أمّا النظريّة الثّالثة فتقول أنّ واقعنا هو خير واقع فليس في الإمكان أبدع ممّا كان أي بلا تغيير، بَلا همّ، أو ارضى بمتعوسك أحسن ما يجيك أتعس منّه) وهذه النّظريّة الثّالثة عندما حلّلها البعض وجد لها دليلاً في الكتاب الأخضر للقذّافي، لكنّنا عجبنا كيف تمّ تهريبها إلى المشايخ السّعوديين، فمازال الأمر سرّاً لا نعرف كنهه.(مقالات بين منهجين)
****

قلنا في الحصّة قبل الفائتة أنّ جماعات الجهاد قامت على عُمُد كلّ عمود فيها كافٍ في جعل هذه الحركات واجبة الوجود والحدوث، وليعلم المسلمون أنّ الانضمام لهذه الجماعات ليس نافلةً من القول، وليس هو موسميّ الوقوع، بل هو واجب على كلّ مسلمٍ، أي واجب أن يعمل المسلم في عملٍ جهاديّ، إمّا أن يدعو إلى الجهاد أو يعدّ له، أو يعمل به، ولا ينفكّ هذا الوجوب إلاّ بدليل شرعيّ خاص، أي في كون الرّجل من أصحاب الأعذار، الذي عذرهم الشّرع الكريم، وقد تكلّمنا في حصّة فائتة أنّ أيّ فكرة في الوجود لا يمكن أن تُعمِل نفسها في الحياة إلاّ من خلال جماعة، إذ أنّ الجماعة هي اللبنة الأولى لأيّ عمل أو مهمّة.

والآن ما هي موجبات حركات الجهاد في العالم الإسلامي؟.

ونحن نقصد بحركات الجهاد هنا، وفي كلّ موطن، هي تلك الجماعات المجاهدة داخل دار الإسلام السّليبة، وليس خارجها، وهي الجماعات المجاهدة العاملة لإعادة رأس المال، وليس هذا إنكاراً لغيرها، ولكن حديثنا عن جهاد الدّفع، وهو جهاد واجب على كلّ مسلم. أمّا موجبات حركات الجهاد في ديار الرّدّة فهي:

1 - إعادة العقد الجامع لشتات المسلمين، أي دولة الخلافة الضّائعة: فلمّا سقطت الخلافة انفرط عقد الأمّة، فلم تعد تستحقّ اسم الأمّة، نعم هناك مسلمون في أرض الشّتات، وهناك عبّاد وقوّام، وزوامل علم وحجّاج، وذاكرون وذاكرات، ولكنّ كلّ هؤلاء لا يدخلون أبداً في مسمّى الأمّة، فلا يوجد هناك أمّة إسلاميّة، لأنّ أوّل مقوّمات الأمّة لا توجد بين هذه الحبّات المتناثرة بلا ضابط، ولا حبل جامع، ونعني بها وجود الدّولة، فليس للمسلمين دولة ولا شوكة ممكّنة، ولا منعة حافظة، وقد بذل الكفر جهوداً متتالية في دفع دولة الخلافة وإسقاطها، كرَّ المرّة تلو المرة، حتّى كان له ما أراد، ولكن والحقّ يقال: إنّ العوامل الدّاخليّة في دار الإسلام، عوامل الهزيمة والانحطاط، هي السّبب الرّئيسيّ لإسقاط هذه الدّولة، فليس ما عمله الكفّار بمعادل ما عملته الأمّة بنفسها، فلو نظرنا نظرة فاحصة إلى صورة المجتمع الإسلاميّ في دار الإسلام قبل إزالتها، لوجدنا أنّ هذه الدّار كانت تفيض بعوامل الانحطاط والتّخلّف، ومن أهمّ هذه العوامل هو فساد التّصوّر العقديّ، إذ انتشرت في الأمّة جرثومة الصّوفيّة، هذه الصّوفيّة التي ما دخلت في أمّة من الأمم إلاّ جعلتها أثراً بعد عين، الصّوفيّة التي شغلت النّاس في الوصول إلى حالة العرفان والجذبة، فأرهقت المرء المسلم في سعيه لهذه الخيالات الجنونيّة، وعطّلت المسلم عن البحث والنّظر، لأنّ الصوفيّ يظنّ أنّه بمجرّد وصوله لهذه المرتبة سيدرك حقائق الأشياء، وسرّ الكون، فلا ضرورة إذن للسّعي والجدّ

في اكتشاف سنن الكون والحياة، لأنّ الصّوفيّة تؤمن أنّه بمجرّد كون الرّجل وليّاً عارفاً فإنّه سيملك ناصية هذا الكون، فسيتحكّم في سننه من أمراض وظواهر كونيّة من ماءٍ ونار ومطر ورعد، وسيكون مالكاً لإكسير الحياة وسرّ الأشياء، وسيسيطر على حجر الكيمياء، هذا الحجر الذي يستطيع مالكه أن يغيّر الأشياء وحقائقها، فبه ينقلب الحديد ذهبا، وبه تنقلب المياه جواهر ودرراً، فأفسدت النّظر إلى الكون والحياة، نعم انتشرت الصّوفيّة في الأمّة وتغلغلت فيها إلى الصّميم، ولا يقولنّ قائل: إنّ الصّوفيّة لم تكن شائعة، أو أنّها كانت محصورة في بعض جوانب الحياة، لا، فهذا خطأ شنيع، لأنّ الصّوفيّة كانوا هم قادة الحياة، وسادة المجتمعات الإسلاميّة، بل إنّ الصّوفيّة وإلى الآن هي التي تسيطر على عقول قادتنا ومشايخنا، فهذا سعيد حوّى يريد أن يعيد إحياء الأمّة عن طريق التّربية الصّوفيّة، فيؤلّف للنّاس كتاباً في هذه التّربية الرّوحيّة، ويدعو الشّباب إلى الدّخول في مدارس إحياء الرّبّانيّة، ويقصد بها السّلوك على يد مشايخ الصّوفيّة، بل إنّ أكثر القادة تحرّراً من القديم بكلّ ما فيه من خير وشرّ، لم نسمع منه كلمة واحدة، ولا رأينا له مشروعاً في تحطيم هذا المرض الخبيث، فهذا حسن التّرابيّ يعيش في مجتمع تغلغلت فيه الصّوفيّة إلى الصّميم، ومع ذلك لم نسمع منه كلمة واحدة نحوها، بل ولا اهتمّ من قريب أو بعيد بجوانب الشّرك التي تنتشر في مجتمعه.

إنّ البعد الدّاخليّ في الإنسان المسلم، وفي الجماعة المسلمة، ما لم يتحرّر من هذه المخلّفات النّتنة فلن نخطو الخطوة الصّحيحة إلى أهدافنا، وهذا يجعلنا نكرّر المرّة تلو المرّة أنّ جماعات الجهاد ليست هي تلك الجماعات التي تحمل السّلاح فقط، بل هي جماعات التّجديد لما اندرس من معالم هذا الدّين، وهي جماعات التّجديد أي إعادة صورة الإسلام إلى الحالة التي كان عليها وهو جديد في أوّل أمره.

إنّ طرح الجهاد كمشروع وحيد لإحياء الأمّة، لأنّ الجهاد هو الإطار الذي يحرّر المسلم من أهواء نفسه ومن مخلّفات مجتمعه، ومن انحرافات مذاهب البدع، لأنّ الجهاد هو الحامل لروح التّمرّد على كلّ ما هو فاسد في داخلنا، فالمجاهد اليوم لن يكون كذلك إلاّ بعد أن يتحرّر من سلطة الكهنوت القابعة على صدر الأمّة باسم العلم والعلماء، هذه السّلطة التي تضرب بسيف الدين كلّ من حاول أن يستخدم عقله الذي طال الزّمن عليه بالتّغيير والإقصاء، نعم هذا الكهنوت الذي لم يخرم غرزاً ممّا عند النّصارى برهبانهم واليهود بأحبارهم، إنّ هذا الصّنف من البشر وأقصد بهم طبقة الكهنوت هم من أرذل خلق الله، وهو الجدار الأوّل الذي يمنع المسلم من

استعمال حقّه في استخدام عقله الذي كرّمه الله به، وهو الجدار الأوّل الذي يمنع المسلم من تحرّر إرادته في أن يتقدّم الخطوة الأولى نحو أهداف الإسلام الصّحيحة، نعم لو قدّر لرجل مسلم يحترم عقله أن يرى شيخ الأزهر وهو يتكلّم في إحدى محطّات التّلفزيون لأيقن أنّه لا نهضة لأمّتنا، ولا خروج من مأزقها حتّى ترفع شعار: اقتلوا آخر حاكم مرتدّ بأمعاء آخر قسّيس خبيث.
كان دور العالم دوما اكتشاف الخطأ مبكّراً قبل غيره، لأنّه الأقدر بما أوتي من موهبة ربّانيّة، وعطاء إلهيّ في أن يتقدّم الصّفوف في كلّ شيء صحيح، وكان دوره دوماً الرّائد الذي لا يكذب أهله في تضحيته بنفسه، ليكون وقوداً لشعلة الصّلاح في مجتمعاتنا، أمّا أن يكون دور العالم هو إسباغ الشّرعية على الفساد، وإطلاق عبارات الشّرع المدحيّة على الشّر والضّلال، فهذا تزوير وانحراف، وجريمة لا تعادلها جريمة، وهي أعظم جرماً من الاتّجار بالمخدّرات، لأنّه يسوّق الرّذائل تحت أسماء جميلة حسنة، وهذه الجريمة هي أوّل جريمة بدأها إبليس في التّاريخ الإنسانيّ حين سمّى شجرة المعصية شجرة الخلد وملك لا يبلى.
إنّ أمراض الأمّة المشتّتة بحاجة إلى جهود مضنية، وإلى قادة مخلصين، ليتمّ إحياء الأمّة على منهج صحيح صائب، لأنّنا نحن اليوم نعيش على مرقب عال، نرقب مستقبلاً يتناوشنا فيه العدوّ من جانب، هذا المستقبل الذي حاول فيه الأعداء أن يرسم معالمه ليكون حسب سياسته ومراده، وهو يملك أدوات التّطبيق، فهو الذي يملك المال والقوّة، فعنده الآلة العسكريّة الرّهيبة، وعنده العديد من الاحتمالات التي يمكن أن يستعملها متى يريد، وفوق ذلك في أمّتنا التّربة الصّالحة لهذه الاحتمالات الكفريّة الخبيثة، أمّا عدّتنا نحن، فليس هناك من شيء سوى الحقّ إن جرّدناه عن شوائب الأفكار المنحرفة، وعلمناه على حقيقته كما هو من غير بدع الإرجاء والجبر، ومن غير هوى الآراء والأفكار، وعلينا أن نملك عقيدة الجهاد، وروح الجهاد، ونفس الجهاد، هذه العقيدة التي تهون أمامها الصّعاب، وتتصاغر في وجهها الجبال، هذه الرّوح التي تنطوي على حبّ الموت والرّغبة فيما عند الله، والتّرفّع عن الدّنايا والصّغائر، والزّهد في الدّنيا، هذا النّفس إن ملكناه أو تملّكناه كنّا أعاصير لا تبقي للكفر أثراً، ولا للظّلام وجوداً.
إنّ الواجب علينا أن نطلق لفظ الجهاد بين كلّ كلمة وكلمة، وندندن حوله في كلّ موقع، لتنقشع الظّلمات وتعود الأمّة إلى سابق عهدها، عزّاً ، وتمكيناً وريادة.(مقالات بين منهجين))

- **الحادي و العشرون – لا يمكن إقامة الخلافة الإسلامية بغير الجهاد في سبيل الله**

كل الحلول المطروحة سواه هباء في هباء

الدّولة المنشودة التي ستقوم عن طريق الجهاد، هي الدّولة الوحيدة التي تملك الشّرعيّة، وهي الدّولة التي ستعبّر بحقّ عن حقيقة هذا الدّين، وذلك للأسباب التّالية:

أ - كثير من أهل العقل حينما يفكّرون بالدّولة الإسلاميّة المقبلة، فإنّهم يصوّرونها، أو يتصوّرونها على شكل الدّولة المعاصرة العلمانيّة، بكلّ ما فيها من هياكل ومؤسّسات، وإنّما يجعلونها إسلاميّة ببثّ بعض الألوان الباهتة على هذه الهياكل ليتمّ صبغها بصبغة إسلاميّة، وعلى ضوء هذا التّفكير فإنّهم يجابهون بمجموعة من الأسئلة الحرجة عن صورة الدّولة الإسلاميّة، هذه الأسئلة التي تدفعهم لتقديم التّنازلات الفقهيّة، وذلك بالبحث عن الآراء الشّاذّة للفقهاء لتلائم صورة الدّولة المعاصرة، وهذه المسائل تبدأ من عقيدة الدّولة إلى أصغر شيءٍ فيها:

يسألونهم عن الدّيمقراطيّة والتّعدّديّة الحزبيّة: ومهما لفّ مشايخنا أو داروا فإنّهم ولا شكّ أمام خيارين: أولاهما: الخروج من الإسلام، وذلك بالفتوى أنّ الدولة الإسلاميّة تجيز التّعدّديّة الحزبيّة، لأنّ التّعدّديّة الحزبيّة تعني جواز الأحزاب الكافرة والمرتدّة، هذه الأحزاب التي سيسمح لها أن تمارس نشاطات الدّعوة إلى الكفر والشّرك، وهي التي سيسمَح لها كذلك بالبلوغ إلى الحكم، وحيث أجاز الشّيخ هذا الفعل فإنّه جدير بلفظ: كافر ومرتدّ.

والغريب من هؤلاء المشايخ أنّهم بلغوا إلى حالة من الانهيار الخلقيّ والفكريّ في توهّم أدلّة التّعدّديّة الحزبيّة إلى درجة لا يمكن أن تخطر على بال مسلم: فهذا شيخ يستدلّ على وجود الأحزاب الكافرة في الدّولة الإسلاميّة بوجود المنافقين زمن دولة الرّسول صلى الله عليه وسلم ، فهؤلاء المنافقون (وهم كفّار على الحقيقة) كانوا يمثّلون حزباً سياسيّاً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفهم، فلم يمنعهم من ممارسة حقّهم الحزبيّ.

وشيخ آخر يقول: بوجود الخوارج زمن عليّ بن أبي طالب، وأنّ عليّاً رضي الله عنه لم يمنعهم من ممارسة حقّهم الفكريّ، وإنّما قاتلهم لحملهم السّلاح ضدّ المجتمع المسلم، فالخوارج بصورتهم الحقيقيّة هم كصورة الحزب السياسيّ المعاصر.

وشيخ آخر يستدلّ بوجود المعتزلة والرّوافض... الخ في داخل المجتمع الإسلاميّ، وهؤلاء أحزاب معارضة سياسيّة.

وأنا والله يأخذني العجب من هذه الآراء والدّلائل، لا لضعفها ولكن لقلّة حياء أصحابها، ولا أدري عن هؤلاء المشايخ أينظرون إلى

المرآة كلّ يوم أم لا؟ لأنّي أجزم أنّ الذي فوق أكتافهم ليس شيئاً يسمّى العقل، بل هو شيء آخر يوجد عند بعض خلق الله تعالى.
إنّ من حقّ النّاس أن يسألوا جماعات الإسلام الدّيمقراطيّ (وهو ثنائيّة تعادل الإسلام المسيحيّ، و الإسلام اليهوديّ، و الإسلام البوذيّ). أقول إنّ من حقّ النّاس أن يسألوا هذه الجماعات عن التّعدّديّة السّياسيّة في دولتهم بعد استلامهم الحكم، ذلك لأنّهم وصلوا الحكم عن هذا الطّريق، وبعد توقيعهم واعترافهم على هذا المبدأ، فهل يجوز لمن وصل بهذا الطّريق أن يلغيه أو يتجاوزه؟.
وأمّا الخيار الثّاني: فهو استخدام المعاريض.
سيسألون عن المرأة وحرّيتها الشّخصيّة، وعن الأقلّيّات الدّينيّة، وعن الموسيقى، وعن علاقة حسن الجوار مع الدّول الأخرى، وعن بقائهم تحت حكم الأمم المتّحدة، وأسئلة أخرى لا تنتهي، وهم في الحقيقة على حقّ في هذه الأسئلة، لأنّهم يعرفون ما معنى دولة الإسلام، فهي حاضرة في أذهانهم كدولة بديلة لكلّ ما هو موجود في هذا العصر، حاضرة في أذهانهم أنّها دولة القوّة، ودولة الفضيلة، ودولة الدّعوة والجهاد، ومن حقّهم أن يروا هذه الدّولة متناقضة مع كلّ ما يعيشونه من رذائل ومفاسد، لكنّ مشايخنا لهم رأي آخر، فقد استطاعوا بكلّ ذكاء أن يلبسوا الكفر إسلاماً، والرّذائل فضائلاً.
إذا قامت دولة الإسلام عن طريق الجهاد فهي قد اكتسبت شرعيّتها من القوّة التي يملكها أهلها، قوّة وشوكة ومنعة وصلت إلى حدّ التّمكين، ومن حقّ القويّ أن يفرض ما يريد، فهو الذي يكتب التّاريخ، وهو الذي يرسم معالم الحياة.
نعم إنّ القوّة هي التي تكتب التّاريخ والحياة، وأنا أعلم أنّ بعضهم ممّن خدعتهم مظاهر الحياة سيقول غير هذا، ولكن: هذا التّاريخ أمامكم بماضيه وحاضره، اقرأوه، وعوه، فهل تجدون أمّة من الأمم، ودولة من الدّول قامت من غير قوّة، ثمّ حافظت على نفسها من غير قوّة؟ لقد أنزل الله الحديد فيه بأس شديد، والأفكار لا تُحمى إلّا بالبأس والحديد. فإذا قامت دولة الإسلام عن طريق الجهاد، ولن تقوم بالجهاد حتّى تحرق كلّ الرّذائل في طريقها، فالجهاد هو النّار التي ستقضي على كلّ بذور الشّرّ في مجتمعنا، فإذا قامت الدّولة بالحرب والقتال، فليس من حقّ أحد أن يُطالب في رسم معالم دولتنا ومجتمعنا، وحينئذٍ سيحكم الإسلام الذي نعرفه، لا الإسلام الهجين الدّخيل.
خلال مرحلة الجهاد: ستطهّر الأرض من غربان الشّرّ، وأبوام الرّذيلة، ستلاحق هذه المسوخ التي تسمّى كذباً وزوراً بالمفكّرين، وسيصفّى الرّتل تلو الرّتل: العلمانيّون، والشّيوعيّون، والبعثيّون،

والقوميّون، وتجّار الأفكار الوافدة، نعم نحن نعرف أنّنا لن نصل حتّى نعبّد الطّريق بجماجم هؤلاء النّوكى، وليقل العالم أنّنا برابرة، فنحن كذلك لأنّ البربر هم في عرف هذا العصر أنّهم الذين يدافعون عن حقوقهم، ويطالبون بحقّهم في الحياة (وللذّكر فإنّه لا يجوز للمسلم أن ينبز أخاه بالبربريّ، لأنّ البربر هي قبائل مسلمة، وهذا من النّنابز بالألقاب، ومن أخلاق الجاهليّة).
وسيقولون عنّا: أنتم أعداء الحضارة. نعم نحن أعداء حضارة الشّيطان، وقتلة رموزها ورجالها. وسيقولون عنّا: إرهابيّون، نعم نحن كذلك، لأنّ الشّرّ لا يخنس إلّا بالسّيف والنّار. أمّا هؤلاء المشايخ الذين يتحلّلون من كلّ فضيلة مخافة الاتّهام بالعنف والإرهاب والدّكتاتوريّة، فلن يرضى عنهم اليهود ولا النّصارى، حتّى يخلعوا اسم الإسلام كذلك.
هاهم يتسابقون في اكتشاف الأقوال الشّاذّة الفاسدة، ليقدّموها إلى العالم أنّها تمثّل الإسلام الأصيل، فما الذي جنوه؟ ملئوا الدّنيا جعجعة أنّ الإسلام هو الدّيمقراطيّة، فهل سمح لهم حسني مبارك بتكوين حزب سياسي؟، بكوا على أعتاب بابه السّنين والأيّام فما جنوا غير الخزي والعار. إنّ أشدّ الدّول ديمقراطيّة لن تستطيع أن تكون بديمقراطيّتها كما يريد راشد الغنّوشي في دولته
الدّيمقراطيّة، فما الذي جناه هو وحركته من طاغوت تونس؟ راشد الغنّوشي يتحدّى أن يوجد في برنامجه السّياسيّ بند تطبيق الشّريعة الإسلاميّة، وليس همّه حين يستلم الحكم أن يطبّق الشّريعة، بل همّه نشر الحرّيّة، وتوفير فرص العمل، فهل بعد ذلك كلّه رضي له الكفر أن يمارس حقّه في أن يعيش؟!!.
(اللهمّ لا شماتة).
والله إنّي لأشفق على هؤلاء، وأتمنّى لهم من كلّ قلبي أن يهديهم الله تعالى.
خلال مرحلة الجهاد: ستقطف رؤوس الصّحفيّين المفسدين في الأرض، فنحن لسنا بحاجة إلى سحرة فرعون، وليسمّينا النّاس أعداء الفكر والرّأي، فنحن رأينا من حرّيّة قوانينهم ما تشيب منه ألعبانين.
نعم: لن أحدّثكم بهذه الفضائل التي جنيناها في زمن الديمقراطيّة والحريّة والنّظام العالميّ الجديد، لكن يكفي أن نقنع أنفسنا أنّنا في هذا الزّمن المتقدّم والمتحضّر: قد أكلنا السّمن والعسل، ونمنا في أوطاننا بأمن واطمئنان، وكنّا سواسية كأسنان المشط، فمن قال لكم أيّها المغفّلون إنّ فلسطين قد ضاعت، فاليهود أبناء عمومتنا، ومن حقّ ابن العم أن يأكل من قصعة ابن عمّه، ومن قال

لكم أيّها المغفّلون إنّ سوريّا الشّام تحت قبضة النّصيريين، فالنّصيريّون هم العلويّون، وهم لآل البيت ينتسبون!.
أيّها القوم كفى كذباً وأفيقوا رحمكم الله.
نعم سنقيم دولة الإسلام إن شاء الله بالحديد والنّار، لأنّهما هما سنّة الله في تنقية الذّهب مما يعلق فيه من الشّوائب والأزبال.
****

إنّ الدّولة الوحيدة التي تملك الشّرعيّة وتمثّل صورة الإسلام الصّحيح، وتنطوي على جوهره هي الدّولة التي تقوم عن طريق الجهاد (القتال).

فلو سأل سائل: لو أنّه قدّر لبعض التّجارب الدّيمقراطيّة أن توصّل الإسلام إلى سدّة الحكم، فهل يعني هذا أنّ الحكم لا يسمّى إسلامياً؟.
وقبل الجواب على هذا التّساؤل فإنّه ينبغي أن يعلم أنّ دولة الإسلام الضّائعة لن تقوم بهذا الطّريق الشّركيّ، وعلى الإسلاميين الديمقراطيّين أن يكبحوا جماح أحلامهم في تحصيل الخير أو بعضه عن طريق البرلمان والدّيمقراطيّة، مع أنّ أصحاب هذا المنهج تختلف تصوّراتهم في توصيف أسباب دخولهم البرلمان: فلو أخذنا الدّيمقراطيين الإسلاميين من الإخوان المسلمين في الأردن وسألناهم عن سبب ولوجهم هذا الطّريق لرأينا العجب العجاب: فهذا الدكتور همّام سعيد يعلن: أننا لن نسعى إلى أن نكون الأغلبيّة في البرلمان الأردني. ا. هـ. وهذا شيء يضحك منه الديمقراطيّون في العالم أجمع، لأنّ كلّ كتلة برلمانيّة في العالم تسعى إلى تكوين الأغلبيّة للوصول إلى الحكم، أمّا تعليل الدّكتور همّام سعيد - وهو من "الإخوان المسلمين" - لعدم السّعي لتحصيل الأغلبيّة في البرلمان فيقول: حتّى لا نصبح مشرّعين، إذ أنّ التّشريع كفر، وإنّما نحن معارضة، نوصل كلمة الإسلام للبرلمان ولأصحاب الشّأن. ا. هـ. والصّحيح أنّ السّبب الحقيقيّ هو: أنّ الأغلبيّة في البرلمان الأردنيّ (مجلس النوّاب) لا قيمة لها، ولا أهميّة لها في الثّقل السّياسيّ الأردنيّ، لأنّ القانون الأردني لا يوجب على الدولة أن تقبل بالتّنازل عن السّلطة لشيء يسمّى الأغلبيّة البرلمانيّة، فلو فرضنا أنّ عدد الإخوان المسلمين بلغ في البرلمان الأردنيّ 80/80 أي أنّه يسيطر على جميع مقاعده، فلا يلزم أنّ للإخوان المسلمين الحقّ في تشكيل الحكومة الوزاريّة، بل هم سيبقون في عداد المعارضة، لأنّ الملك هو الحكومة وهو الذي له الحقّ في تشكيل الحكومة والوزارة، ثمّ لو افترضنا أنّ البرلمان كلّه حينئذٍ يمثّل المعارضة وأراد أن يحجب الثّقة عن وزارة الملك فإنّ البرلمان له الحقّ أن يسقط الوزارة الأولى بحجب الثّقة عنها، فإذا سقطت يقوم الملك

بتعيين وزارة ثانية وتعرض على البرلمان لأخذ الثّقة، فإذا حجب البرلمان الثّقة عنها مرّة أخرى حينئذٍ يحقّ للملك أن يحجب البرلمان أي أن يلغيه ويطرده، أي له الحقّ أن يحلّ البرلمان، وكذلك رقبة البرلمانيين، هكذا يقول الدّستور. من أجل هذا المأزق الذي سيواجه الأغلبيّة في البرلمان فإنّ الإخوان المسلمين ليسوا على استعداد لهذه المواجهة، فالطّريقة المثلى لعدم حصول هذا التّصادم هو عدم تحصيل الأغلبيّة، هذا هو الواقع وليست المسألة عندهم مسألة تشريع أو غير تشريع لأنّها لو كانت كذلك عند الإخوان المسلمين في الأردن لما قبلوا أن يعيّنوا رجلاً إخوانيّاً على رأس مجلس التّشريع الشّركي، وهو الذي يوقّع على جميع قرارات المجلس ويرفعها إلى الدّولة بغضّ النّظر عن إسلاميّة القرار أو عدم إسلاميّته. ولو كانت المسألة كما قال الدّكتور همّام لما قبل الإخوان المسلمين أن يقدّموا رجلاً إخوانيّاً إلى وزارة الشّرك (العدل) فيكون قائماً على رأس هذه الوزارة اللعينة.

وتصوُّر الدّكتور همّام ليس هو تصوُّر جميع الدّيمقراطيين هناك، فإنّ مراتب النّظر إلى البرلمان ودور حركة الإخوان المسلمين في البرلمان تتفاوت إلى درجة رهيبة تصل إلى أنّ بعضهم ينظر إليه من حيث أنّه من خلال البرلمان يستطيع أن يقضي حوائج عشيرته لما يمثّله البرلمان من ثقل وجاهيّ عشائريّ.

وفي لقاء بين إخوانيّ أردنيّ وإخوانيّ يمنيّ رأى النّاس فارقاً عجيباً بين نظرة كلّ واحد إلى البرلمان ودور الحركة الإسلاميّة فيه، فالبرلمانيّ الأردنيّ يرى كفر النّظام، وأنّ البرلمان هو طريق للتّغيير الشّموليّ، وأنّه سيساعد أو سيقوم بذاته في عمليّة التّغيير الانقلابيّ للدّولة. الإخواني البرلمانيّ اليمنيّ انتفض لهذه النّظرة، فهو يرى أنّ أعضاء الإخوان المسلمين في البرلمان اليمني هم جزء من تشكيلة الدولة الشّرعيّة في اليمن، فكيف سينقلب الرّجل على نفسه، فالإخوان جزء من الدّولة فكيف سيغيّروا أنفسهم، إذاً فالبرلمان جزء من الدّولة لترشيدها ولأداء دور داخل الكيان لا خارجه ولا لِقَلبِه.

جبهة الإنقاذ الجزائريّة كان لها رؤية أخرى للدخول في المسار الدّيمقراطيّ الشّركي (ونحن نصرّ ونؤكّد أنّ هذا المسار شركيّ كفريّ لأنّ البرلمان هو مالك السّيادة التّشريعيّة في النّظم العلمانيّة وهو عندنا في دين الله تعالى هو لله ربّ العالمين، ومن لم يفقه هذا لم يفقه شيئاً من الواقع أو الوحي)، وهي رؤية كانت بمجملها في لفظين "المطالبة وإلاّ المغالبة" أو حسب قول مسئول فيهم بقوله: إذا قالوا انتخاب انتخبنا وإلاّ قاتلنا.

ومجمل قولهم أنّهم سيدخلون في اللعبة الدّيمقراطيّة لثقتهم أنّ الشّعب سينتخبهم فيبلغوا إلى درجة تخوّلهم أن يغيّروا الدّستور، ومع أنّ الجبهة هي كاسمها: خليط غير متجانس، كلّ حسب رؤيته ومفهومه، وفيها من عوامل الانهيار الذّاتي ممّا يجعلها غير قادرة على الخروج برؤية واضحة للأحداث والعقبات، ويدلّ على ذلك أمران: أولاهما: أزمة الخليج، وثانيهما: ضرب الدّولة وتشتّت الجبهة إلى ما هي عليه الآن، ولا أدري لم يجعل بعض النّاس ممّن يكفر بالدّيمقراطيّة جبهة الإنقاذ حالة خاصّة تخرج عن زمرة الدّيمقراطيين الإسلاميين، فهم يتكلّمون عن الإخوان وديمقراطيّتهم بكثير من الحماس النّاقد، فإذا اقتربوا من جبهة الإنقاذ كاعوا ورجفوا، وكأنّها ليست على النّسق والتّساوي مع الآخرين من الدّيمقراطيين، ولعلّ الخطاب الثّوري الذي كان يردّده علي بن حاج هو الذي جعل هؤلاء يخرجون الجبهة عن هذه الزّمرة، وهذا خطأ كبير لأنّ العلّة التي تلحق الجماعة بهذه الزّمرة متحقّقة في الجبهة كما هي متعلّقة بغيرها من النّهضة والإخوان والجماعة الإسلاميّة الباكستانيّة وغيرها من الجماعات السّالكة طريق الدّيمقراطيّة.

هذا التّغاير في الهدف، والتّغاير في التّوصيف للعمل الدّيمقراطيّ يجعل هؤلاء القوم من أبعد النّاس عن تحصيل الهدف، وذلك لعدم تصوّرهم له أو معرفتهم بحقيقة الأسلوب لا من الوجهة الشّرعيّة ولا من الوجهة الواقعيّة.

لكن لو افترضنا جدلاً أنّ فرقة من الفرق وصلت إلى سدّة الحكم عن طريق الديمقراطيّة وحكّمت الشّريعة فهل يكون الحكم إسلاميّاً بهذه الطّريقة؟ الجواب بكلّ وضوح: لا، فكلّ قانون وإن كان يلتقي مع الشّريعة الإسلاميّة في حدّه ووصفه وفرض عن طريق البرلمان وخيار الشّعب لن يكون إسلاميّاً، بل هو قانون طاغوتيّ كفري.

لماذا هذا؟.

أيّ حكم حتّى يكون شرعيّاً إسلاميّاً لا بدّ من النّظر إلى أركانه وأهمّ أركانه هو النّظر إلى الحاكم ومن هو؟ فإن كان الحاكم (المشرّع) هو الله كان الحكم إسلاميّاً، وإن كان الحاكم (المشرّع) غير الله كان الحكم طاغوتياً كافراً. ومن هنا فإنّ الأخلاق الصّحيحة التي يدعو إليها الدّين النّصرانيّ لا تعتبر إسلاميّة، لأنّ الجهة الحاكمة (المشرّعة) لهذا الحكم ليست الجهة الحاكمة للحكم الشّرعيّ.

فالحكم الشّرعيّ يكتسب قوّته لأنّه صادر ممّن له الحقّ في إصدار هذا الأمر وهو ربّ العالمين، وحتّى يكون شرعيّاً لا بدّ أن يكون تكييفه شرعيّاً وإلاّ لا. والحكم الصّادر عن البرلمان يكتسب قوّته من مالك السّيادة في النّظام الدّيمقراطيّ، فقد يكون الشّعب فقط

وقد يكون الشّعب والملك معه أو الأمير وهكذا، فلو صدر قانون منع الخمر من البرلمان فهو قانون تكييفه الشّرعيّ هو قانون كفريّ طاغوتيّ، وإذا قال الحاكم نحن حرّمنا الخمر لأنّ الله أمرنا بهذا لكان قانوناً مسلماً. وللتّمثيل نقول : ما الفرق بين النّكاح والسّفاح من وجهة شرعيّة مع أنّهما يعبّران عن حقيقة واحدة؟ النّكاح جائز لأنّه بكلمة الله - كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله)) وكلمة الله هنا معناها حُكمه وليس العقد كما يقول البعض -، والسّفاح تمّ بكلمة أخرى غير كلمة الله تعالى، فكان حراماً وإثماً.
فالقانون الصّادر من البرلمان مصدر بكلمة: باسم الشّعب، أو قرّر مندوبو البرلمان، فهو قانون طاغوتيّ اكتسب قوّته من إله باطل. أمّا القانون الإسلاميّ فهو المصدر بكلمة باسم الله. فالذين يبحثون عن تحكيم الشّريعة الإسلاميّة عن طريق البرلمان عليهم أن يراجعوا أركان الحكم الشّرعيّ، وكيف يكون إسلاميّاً، وكيف يكون الحكم طاغوتيّاً كافراً؟. (مقالات بين منهجين)

****

شبهة وردها
يتّهمنا خصومنا أنّنا أصحاب أوهام وأحلام، وأنّنا حين نتحدّث عن دولة الإسلام القادمة، وأنّها دولة هجرة وعزّة أنّنا نتحدّث عن أضغاث أحلام، لكنّنا بفضل الله تعالى نحن الأقدر على فهم سنّة الله تعالى في الحياة، والذين أتعبتهم رقابهم وهي تنظر إلى حضارة الكفر بانبهار وانهزام هم الذين لا يفهمون سنّة الله تعالى في الحضارات وسقوطها، وإذا أردنا أن نستشرف المستقبل الذي نرتقبه لهذه التّركيبة لحضارة الشّيطان، ومن خلال معطيات أوليّة، وحتّى نحصّر أنفسنا لهذا المستقبل، فإنّ هذه المعطيات الحقيقيّة تقول لنا التّالي:
أ - قوّة أيّ دولة تكمن في مركزيّتها، والعالم بلا شكّ الآن يمثّل قرية صغيرة، عاصمتها حضارة الشّيطان في الغرب، وعلى الخصوص في هذا الوقت هي أمريكا، واستناد كافّة الولايات في العالم قائم على المركز، منه يستمدّ قوّته، ومنه يكتسب هيبته، مع التّنبيه أنّ بعض أطراف هذه الدّولة العالميّة هي ضعيفة الصّلة بهذا المركز، ومن خلال هذا الضّعف تكتسب حركات الجهاد مواقعها وتحافظ على نفسها من الانتهاء والتّلاشي، وهذه البؤر الضّعيفة تمدّ هذه الولايات المهمّة عصارة الحقّ ببقاء صوت الإسلام والتّوحيد والجهاد مدوّياً وحاضراً في نفوس مادّة الجهاد وهم الشّعوب، هذا المركز العالميّ عوامل الفناء الحضاري قائمة فيه

وبقوّة، وحديث القرآن عن سبب الفناء الحضاري هو بسبب ما بالأنفس من فساد عقدي، وانهيار خلقيّ، ومظالم اجتماعيّة، وهو نفس صرخات العقلاء في هذه الحضارة ك "توينبي" حين يصرخ في بني قومه أنّ مجتمعاتهم إلى زوال، ولا بدّ من التّنبيه إلى نقطة مهمّة بها تفترق هذه الحضارة في هذا الزّمان عن بقية الحضارات وهي تسارع الدّورة الاجتماعية من المبتدأ إلى السّقوط - وهو داخل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسارع الزّمن - فما كان يحتاج من الوجهة الاجتماعية إلى سنّة صار يحتاج إلى أقلّ منها بكثير، وهذا سبب اكتشاف السّنن الكونيّة التي أعانت حركة الإنسان، وجعلت تحقيق إرادات قلبه ممكنة الحصول وبسرعة فائقة، ثمّ لعلّ هذا قريب الشّبه بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على علامات السّاعة أنّها في آخر الزّمان تتسارع كحبّات العقد منفلتة من عقالها وحبلها، وهذا يفيدنا هاهنا أنّ السّقوط سيكون مفاجئاً حتّى لأكثر النّاس إساءة ظنّ بهذه الحضارة، {فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا} ولعلّ انفجار أوكلاهوما كشف لنا شيئاً عن التيّارات الخفيّة المتنامية في داخل هذه المجتمعات، والتي ستكون هي البدائل الحقيقيّة لهذه المركزيّة الصّارمة، لأنّ الرّوابط بين المركز وغيره تتزايد ضعفاً وهشاشة، وقبل انفجار أوكلاهوما ما حصل في لوس أنجلوس من ثورة فجّرها الرّجل الأسود ضدّ الظّلم والقهر المفروض عليه في مجتمعه وأهل بلده، أمّا في أوروبا فالكلام عليها لا تحتمله هذه الورقات من كشف هذه التّيّارات الخفيّة، ويكفي أن نعلم أنّ تيّارات التّعصّب الدّينيّ والعرقيّ قد أوجدت لها مقاعد في داخل السّلطات التّشريعيّة في البرلمان وغيره، بل إنّ بعضها قد صار أمل وصوله إلى الحكم وشيك الوقوع.

ب - عند سقوط هذه الدّول من مركز وولايات ما هو البديل؟ وبعيداً عن الأوهام والأحلام نقول لن تسقط ولاية كاملة بيد بديل واحد سواءً كان إسلاميّ أو كفري، فالبديل هو التّوحّش، وسبب هذا الجزم أنّه لا يوجد تجمّع واحد قادر أن يحتوي هذه الثّمرة النّاضجة إلى جرينه، والذين يتصوّرون أنّ الإسلام هو البديل الوحيد لهذه الحضارة الشّيطانيّة، هم واهمون، وسبب وهمهم لأنّه لا يوجد مقدّمة موضوعيّة لهذا الأمل، وليس هذا حديثاً عن الإسلام وقدرته، ولكنّه حديث عن المسلمين وعجزهم، وحتّى تكون الصّورة أقرب إلى الأذهان فبين يدي الباحث عدّة أمثلة تبيّن لنا عجز الحركات الإسلاميّة عن تلقّي الثّمرة وهي ساقطة سقوطاً حرّاً علاوة على عجزهم من قطفها بأنفسهم، هذه الأمثلة: أفغانستان، والولايات الإسلاميّة الخارجة من الحكم الرّوسيّ. أمّا أفغانستان: قد شاركت

الحركات الإسلاميّة في سقوطها، وقد سقطت، لكن هل كان المسلمون وعلى الخصوص أهل السنّة والجماعة عندهم من المقدّمات ما يؤهّلهم لوراثة هذه الثّمرة.. النّظرة تكفي الجواب.
الولايات الإسلاميّة الخارجة من الحكم الرّوسيّ: فقد سقطت مركزيّة الحضارة الشّيوعيّة وتناثرت حبّاتها، فهل يوجد حبّة واحدة من هذه الثّمار وقعت بيد المسلمين؟ اللهمّ إلاّ طاجكستان، ولكنّ الفرحة لم تتمّ.
وفي هذه اللحظة لو سقطت أيّ حلقة من حلقات الردّة في العالم، فهل يوجد عند الحركات الإسلاميّة القدرة على تلقّي السّاقط ليكون وارثاً له؟، وهل تملك هذه الحركات المقدّمات الموضوعيّة لهذه الوراثة؟.
لو تصوّرنا هذه اللحظة أنّ المملكة السّعوديّة ضعفت مركزيّتها الآن وانتهى حكم آل سعود المرتدّين، فكيف هو التّصوّر الموضوعيّ لهذا الإرث؟ الجواب: بكلّ وضوح لن يكون من الوارثين أحد يسمّى (الوارث الإسلامي) بل ستكون بدائل جاهليّة جديدة، كما هي البدائل الحاصلة في الصّومال حين سقوط الدّولة.
وأنا ضربت مثالاً بالجزيرة العربيّة كون العلمنة فيها إلى الآن لم تصل إلى أهدافها في داخل الشّعوب، مع وجود مقدّمات جاهليّة خادمة لخصومنا مثل القبليّة وغيرهما، أمّا إن ضربت مثلاً بتونس فالصّورة قاتمة ولا شكّ، كون عرى الإسلام قد هُدمت من أصولها في الشّعوب علاوة على الحكم والقضاء.
وبنظرة موضوعيّة نقول: الحلقة الوحيدة التي تملك معطيات القول: أنّ الإسلاميين هم سيكونون ورّاثاً في هذا التّشتّت - لو وقع - هم الجماعة الإسلاميّة المسلّحة في الجزائر، فلو سقطت الحلقة المرتدّة في الجزائر سيكون إن شاء الله وبكلّ ثقة الوراثة لهذه الجماعة المنصورة، لأنّها تملك معطيات الوراثة، وأهمّها العقيدة الصّحيحة والسّيف الحديديّ. كتاب يهدي وسيف يحمي..
جـ - هذا التّوحّش الذي سيكون وارثاً لهذه الولايات بعد انفلاتها من المركز يوجب علينا عدّة أمور أهمّها:
1 - بناء تنظيمات مسلّحة، قادرة على التّرقّي عن مرحلة شوكة النّكاية إلى شوكة التّمكين، وهي وإن كانت هذه التّنظيمات تحمل من اسمها: القلّة وعدم الانتشار إلاّ أنّها حتّى تقود هذا التّوحّش ثمّ تعيد صياغته من جديد فإنّها بحاجة إلى السّلاح والقدرة على إدارة التّوحّش، أو بمعنى آخر على إدارة الفوضى. وهذه التّنظيمات وإن كانت في كثير من البلاد في هذا الوقت ليست بقادرة على تحقيق تقدّم نوعيّ، أو حتّى كمّيّ، فإنّ وجودها قد يزدهر بدخول عوامل جديدة على هذه المعادلة الخاسرة، ثمّ لأنّ هذه التّنظيمات هي

الخطّ الرّئيسيّ في الدّفاع عن إسلام الأمّة وتوحيدها، ثمّ هي بنكايتها الضّعيفة تعطي هامشاً جديداً لحركات البلاغ والدّعوة في داخل مجتمعاتنا المتحوّلة، فانشغال حكومات الردّة بالأعنف وهم حركات الجهاد المقاتلة يشغلهم عن الوعّاظ والمدرّسين ومشايخ التّربية، وخطباء المساجد عملاً بالقاعدة العقليّة: ارتكاب أخفّ الضّررين. وهذه التّنظيمات واجبة القيام على الأمّة أصلاً
2 - التّوحّش أو الفوضى ستعمّ العالم، وخاصّة في بلادنا. أمّا الغرب فهم موصوفون أصلاً بالقدرة على قيام هذه الإدارة في بلادهم تاريخيّاً وهو المقصود بقول عمر بن الخطّاب: "وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة" والحديث في صحيح المسلم.. هذا التوحّش - أو الفوضى - القادم على العالم سيجزّئ الدّولة الواحدة إلى تجمّعات صغيرة تختلف من تجمّع لآخر من حيث رابطتها، فبعضها قلبيّ، وبعضها فكري، وبعضها مذهبيّ، وبعضها طائفيّ، كما كنّا نرى في لبنان وأفغانستان والصّومال، وكما سنراها لاحقاً في كثير من البلاد، إمّا بصورة جماعيّة وهو الأقوى نظراً، وإمّا على تتابع في سقوط متتالي.
هذا التّوحّش يوجب علينا تعلّم فنّ وعلم إدارة هذا التّوحّش، وهو سلاح ذو حدّين - أقصد التّوحّش -، إمّا أن يجتثّنا أو نفيد منه. وإفادتنا منه تكون بسبب ضعف المركزيّة ممّا يجعل لحركات الجهاد هامشاً من الحركة غير المراقبة، من تدريب وإعداد وتنظيم، كما حصل في أفغانستان، وها هنا لا بدّ من أمر وهو التّنبيه على ضلال دعوة بعض قادة الحركات المهترئة بوجوب الحفاظ على النّسيج الوطني، أو اللحمة الوطنيّة، أو الوحدة الوطنيّة، فعلاوة على أنّ هذا القول فيه شبهة الوطنيّة الكافرة، إلاّ أنّه يدلّ على أنّهم لم يفهموا قطّ الطّريقة السننيّة لسقوط الحضارات وبنائها.
ثمّ هذا التّوحّش يوجد للغرباء مأوى يستترون فيه بعيداً عن طلبات اللجوء إلى بلاد الغرب، هذا إذا استطاعت حركات الجهاد أن توجد لها مكاناً في قطعة الجبن المتناثرة.
3 - القدرة على إعادة التّشتّت إلى لحمة جديدة تحمل صورة الإسلام الصّحيحة، وهذا يستدعي وجود قادة لهم النّظر الثّاقب في الإدارة والحرب، وحتّى أقرّب الصّورة أكثر فإنّ القارئ الباحث يستطيع أن يستطلع شيئاً ما هو مقبل من خلال معرفته معرفة حقيقيّة لواقع المجتمع الإسلاميّ قبل الحروب الصّليبيّة وخلالها وبعدها، فإنّه قد يعيد التّاريخ نفسه إذا وُجدت نفس المعطيات، والمعطيات متشابهة هاهنا وليست متطابقة.
4 - وبقيت ههنا نقطة وهو السّؤال الذي تقدّمت الإشارة إليه وهو: كيف سيعالج الغرب حالة الفوضى التي ستجتاحه؟.

ولأنّ الجواب له علاقة بواقع مجتمعاتنا فلا بدّ من الإجابة عليه.
والجواب: هو كعادة الغرب كلّما تضخّمت مشاكله الداخلية، وضاقت موارده الاقتصادية، واضطربت معالم بنائه، وتزايد العاطلون عن العمل وتزايد حدّة اللصوصيّة والجريمة، فإنّ الغرب بطريقة ذكيّة يتقنها، يوجّه الكمّ من المشاكل إلى حالة استنفار نحو خصومه التّقليديين في المشرق الإسلاميّ، وهذا مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والرّوم كلّما كسر لها قرن ذر لها قرن آخر))، لكن يبقى السّؤال: من هو الذي سيكسر هذا القرن الباعج لأمن ودعة وخمول مجتمعاتنا؟.
مقالات بين منهجين تسع وأربعون
بعد أن تكلّمنا عن الموجب الأوّل لجماعات الجهاد، ألا وهو إقامة دولة الإسلام فالآن إلى الموجب الثّاني:
ومن عمد موجبات جماعات الجهاد في العالم الآن وللتّو هو: فكّ العاني (الأسير)، ونصرة المظلوم، وردع الظّالم:
المتمعّن لقصص الأنبياء في القرآن الكريم يجد للأنبياء عليهم السّلام قضيّة محوريّة يلتقون حولها جميعاً، ويدعون النّاس إليها، ألا وهي كلمة التّوحيد، ثمّ إنّنا نرى كذلك أنّ النّبيّ كان يأتي ويحمل قضيّة أو قضايا مهمّة مع التّوحيد، وكانت تشكّل هذه القضيّة الأخرى امتحاناً لموضوع الاستجابة لألوهيّة الله على عباده، فلوط عليه السّلام كان مع دعوته للتّوحيد داعياً إلى التّخلّص من الرّذائل الخلقيّة المعروفة مثل إتيان الذّكران والتّبارز بالصّراط في المجالس، وهي التي قال فيها الرّب سبحانه وتعالى: {وتأتون في ناديكم المنكر}، فهذه القضايا التّشريعيّة تشكّل الامتحان لمدى الاستجابة لكلمة التّوحيد، ولقضيّة تأليه ربّ العالمين.
وقد حدّثنا القرآن الكريم كثيراً عن موسى عليه السّلام، وتكرّرت أحاديث القرآن عن هذا النّبيّ العظيم، وهو من أولي العزم من الرّسل، وكانت قضيّة التّوحيد هي مدار دعوته، وحمل معها قضايا مهمّة أخرى، ومن أهمّ هذه القضايا التي نازع موسى عليه السّلام الأرباب الباطلة بها هي إخراج بني إسرائيل من حكم الطّاغية: قال تعالى: {ثمّ بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، وقال موسى يا فرعون إنّي رسول من ربّ العالمين، حقيق على أن لا أقول على الله إلاّ الحقّ قد جئتكم ببيّنة من ربّكم فأرسل معي بني إسرائيل} الأعراف.
وقال تعالى: {اذهبا إلى فرعون إنّه طغى، فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى، قالا ربّنا إنّ نخاف أن يفرط علينا أو يطغى، قال لا تخافا إنّني معكما أسمع وأرى، فأتياه فقولا إنّا رسولا ربّك فأرسل

معنا بني إسرائيل ولا تعذّبهم قد جئناك بآية من ربّك وسلام على من اتّبع الهدى} طه.
ثمّ حكى الله تعالى هذه القضيّة في سورة الشّعراء آمراً موسى وهارون عليهما السّلام: {فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول ربّ العالمين، أن أرسل معنا بني إسرائيل}.
فهذه قضيّة حكاها القرآن الكريم في ثلاثة مواطن، قضيّة إخراج بني إسرائيل المعذّبين من حكم فرعون الطّاغية، وهي كذلك ههنا في هذا العصر، قضيّة مهمّة، عظيمة القدر؛ قضيّة إخراج المساجين والأسرى والمعتقلين من سجون أهل الكفر والشّرك، ومن سجون المرتدّين.
والسّجن هو إحدى صور العذاب التي يمارسها الطّغاة ضدّ الموحّدين، قال تعالى على لسان فرعون: {لئن اتّخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين} الشّعراء، وقال تعالى: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} الأنفال.
وههنا نكتة بديعة على الأنبياء، وهم أعظم النّاس قدراً وأرفعهم منزلة وأوثق النّاس بربّهم، هذا الفعل هو الهروب والتّخفّي، فموسى عليه السّلام خرج من مصر في أوّل الأمر {خائفاً يترقّب} ثمّ خرج ببني إسرائيل على وهدة من عيون فرعون وقومه، وكذلك خروج محمّد صلى الله عليه وسلم من مكّة متخفّياً خوفاً من قريش وبطشها، ولم يعتبر هذا الصّنيع قادحاً في حقّ هؤلاء الأنبياء، أو بخادش رجولتهم وعصمتهم وعظمتهم، وأقول هذا الكلام تنبيهاً على ما سمعت أنّ بعض قادة الأحزاب الإسلاميّة الدّيمقراطيّة أنّه لمّا عرض عليه الهرب وقد حضر جند الطّاغوت للقبض عليه في مقرّ حزبه أنّه أنِف هذا الفعل، واعتبره خادشاً لشرعيّة وجوده، وقال: أنا رئيس حزب شرعيّ ولست لصّاً حتّى أهرب، ولعلّه كذلك أنِف وترفّع أن يتدلّى بحبل من مكتبه ليخرج من الشّبّاك حتّى لا يقبض عليه جند الطّاغوت، وهذه النّفسيّة هي مصيبة ولا شكّ، فهي تدلّ على أنّ قادة العمل الإسلاميّ الدّيمقراطيّ هم أبعد النّاس عن نفسيّة الرّجل المقاتِل، أو نفسيّة الرّجل الواعي لطبيعة الصّراع بين الحقّ والباطل.
فالسّجن أحد أساليب الطّغاة في ردع الدّعاة والمصلحين، والسّجون الآن تعجّ بكثرة الموحّدين فيها، وقد تبجّح الكفر الآن وعربد بما لم يكن له مثيل بيومٍ من الأيّام، فما هو السّبيل الشّرعيّ والكونيّ لردع هؤلاء المجرمين عن غيّهم؟! وما هو الطّريق الشّرعيّ والكونيّ لإخراج هؤلاء المساجين من معاقل الطّغاة؟ إنّه ولا شكّ الجهاد في سبيل الله تعالى.

وفكّ العاني واجب شرعيّ على المسلمين حيث وقع لقوله صلى الله عليه وسلم : ((فكّوا العاني وأطعموا الجائع، وعودوا المريض)) رواه البخاريّ عن أبي موسى رضي الله عنه. قال ابن حجّر: قال ابن البطّال: فكاك الأسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور. ا. هـ. فتح الباري (6/193). ويقول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: (لئن أستنقذ رجلاً من أيـدي الكافرين أحبّ إليّ من جزيرة العرب). ورويَ أنّ الحجّاج بن يوسف الثّقفي غضب على واليه في السّند غضباً شديداً، وذلك بسبب امرأة أسرت من المسلمين وأدخلت إلى بلاد السّند فجهّز الجيوش المتواصـلة، وأنفق بيوت الأموال حتّى استنقذ المرأة وردّها إلى أهلها ومدينتها. عن الموالاة والمعاداة (1/327).

وفكّ العاني المسلم هي صورة من صورة الولاء بين المسلم وأخيه المسلم.

وليعلم أنّ ما يعانيه المسلم السّجين هو شيء يفوق الوصف والخيال، حتّى أنهم قديماً كانوا يعدّون السّجين كأنّه منفيّ من الأرض، وأنّه خارج الحياة. يقول الشّاعر:

إذا جاءنا السّجّن يوماً لحاجـة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا؟

والحضارة الشّيطانيّة المعاصرة ابتكرت من الأساليب الوحشيّة لتعذيب خصومها شيئاً يفوق الخيال، وليس سجين اليوم هو مجرّد رجل محبوس في جبّ فقط، مع أنّ مجرّد هذا الحبس هو عذاب شديد، ولكنّهم يمارسون على هذا السّجين ألوان العذاب وصنوف القهر ما الله به عليم، فإذا علمنا هذا تبيّن لنا الواجب الشّرعيّ الملقى على عاتق الأمّة في تخليص هؤلاء الأسارى، جاء في "القوانين" لابن الجوزي: يجب استنقاذهم (أي الأسارى) من يد الكفّار بالقتال، فإن عجز المسلمون عنه وجب عليهم الفداء بالمال. (ص 172).

قال ابن تيميّة في الرّسالة الماتعة المسمّاة بـ "الرّسالة القبرصيّة"، يدعو فيها صاحب قبرص إلى الإحسان إلى أسارى المسلمين عنده، ويبيّن سعيه الجادّ في استخلاص أسارى المسلمين بل وأسارى أهل الذّمّة يوم ذاك، قال: وقد عرفت النّصارى كلّهم أنّي لمّا خاطبت التّتار في إطلاق الأسرى، وأطلقهم قازان... فسمح بإطلاق المسلمين، ثمّ بيّن بعدها طلبه في إطلاق أسارى أهل الذّمّة.

هذه النّصوص وغيرها تبيّن مدى الواجب الملقى على المسلمين في إطلاق أسارى المعتقلين والمساجين من سجون المشركين والمرتدّين، ولقد بلغ عدد الموحّدين الذين نقم منهم الطّاغوت

طهرهم وعفافهم وإيمانهم بالله تعالى الأعداد الكبيرة، ففي مصر لوجدها عدد المساجين من الجماعات المسلمة في سجون الطّاغوت المصريّ أكثر من خمسين ألف سجين، علاوة على أولئك الشّباب الذين ما يكاد الواحد منهم يخرج حتّى تدركه مسالحة (شرطة) الشّرك وتعيده مرّة أخرى، وههنا نقطة مهمّة، وهي أنّ المسلم المجاهد عليه أن يسعى إلى عدم تسليم نفسه إلى مسالحة المشركين الملاعين في بلادنا، بل عليه أن يسعى جهده أن يفرّ منهم وإلاّ فليقاتل حتّى يقتل، ووالله قد سعدت وفرحت أشدّ الفرح لهذه السّابقة العظيمة التي وقعت في الأردن من قبل الشّابّ المجاهد - نحسبه من الشّهداء ولا نزكّي على الله أحداً - محمود عبد الرّؤوف خليفة وشقيقه بشّار الذي أبى أن يسلّم نفسه لزوّار الفجر المشركين من المخابرات الأردنيّة اللعينة، بل قاومهم حتّى سقط شهيداً إن شاء الله، ووالله إنّ قتال هؤلاء المرتدّين أحبّ وأفضل من قتال اليهود، لأنّه لم يقع لليهود علينا سلطة، ولم يكن لهم علينا سبيل، إلاّ بحبل هؤلاء المرتدّين الزّنادقة، وهذه السّابقة التي وقعت في الأردن في عدم الرّضوخ لتسليم الشّباب المسلم أنفسهم للطّاغوت هي بشرى خير، وهو أنّ هؤلاء الشّباب أتقنوا المسألة، وقد مضت إن شاء الله تعالى تلك الأيّام التي كان الشّباب المسلم المجاهد في الأردن يسلّم نفسه إلى المخابرات طوعاً واختياراً، ولعلّ الأهوال التي كان يراها المعتقلون من المسلمين في مبنى المخابرات العامّة هو الذي ردّ الفكرة إلى رؤوسهم: أنّ الموت أفضل بدرجات من أن يساق المسلم كالذّبيحة إلى مسلخه، وقد كان هؤلاء الزّنادقة المرتدّون يدخلون الشّباب المعتقل وهم يتهازجون أهازيج الفرح وكأنّهم في عرس (عليهم من الله اللعائن) لكنّها إن شاء الله بعد اليوم لن تكون زيارة الفجر رحلة سهلة لهم. هذا أملنا وفي الله رجاؤنا، وإنّ تكرار هذه العمليّة سيجعل الذين يفكّرون بالرّاتب الجيّد في العمل مع المخابرات محسوباً عليهم أنّ روحه ستكون ثمناً لهذا الرّاتب فها هو الدّم قد سال ومسيل الدّم علامة الفرج وفيه بشرى الإفاقة إن شاء الله. وللحديث بقيّة إن شاء الله تعالى. (مقالات بين منهجين)

- **الثاني والعشرون ت تصوري للأمر**

هو أن تتحرر العراق من المحتل الغازي ويخرج مذموما مدحورا و في هذا بداية أفول الحضارة الغربية النجسة والعفنة
وتقوم خلافة في العراق أو الشام أو مصر مثلا ولا تتعداها لأنها دول المواجهة والصراع عبر التاريخ الإسلامي كله ثم تجاهد هذه الدويلات العميلة حتى تطهر الأرض من رجسها وتصبح خلافة

الإسلام حول فلسطين المغتصبة ثم تكون المعركة الفاصلة بيننا وبين اليهود ثم النصر المؤزر على اليهود بإذن الله تعالى
ففي مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِىُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِىٌّ خَلْفِى فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ ».
وتصورى الشخصى للمسألة على الشكل التالي :
أقول وبالله التوفيق :
لقد شاخت الخلافة الإسلامية في العهد العثماني وذلك لأن همها الأول كان الدفاع عن بلاد المسلمين من قبل الدول النصرانية من كل حدب وصوب مما أرهقها أخيراً وأضعفها ، وكذلك تزوج السلاطين من الأجنبيات وخاصة اليهوديات اللاتي كان لهن دور كبير في إفسادهم ، وكذلك قتل الخليفة أقرباءه من أجل التشبث بالسلطة وإعطائهم الامتيازات الأجنبية لدول الكفر ، وتحللهم من تطبيق الشريعة الإسلامية ، وكذلك انتشار الدعوات الهدامة بينهم والتي تفرق بين المسلمين كالدعوات القومية الطورانية والعربية وهي دعوات يهودية صليبية ، ثم جهل المسلمين وتخلفهم وعدم مواكبتهم للتطور المادي الذي ارتقى كثيراً في أوروبا ، ثم اتفاق اليهود والنصارى على الإجهاز (على الرجل المريض) وذلك بافتعال الحرب العالمية الأولى وإدخال تركية فيها بالقوة ليكون ذريعة للتخلص من الخلافة
وقد جهزوا لها أشد اليهود تطرفاً (كمال أتاتورك وزمرته من يهود الدونمة)
وقد اتفقوا على اقتسام التركة وقد خدعوا الشريف حسين الطامع بالحكم بخلافة الجزيرة العربية وجعلوا العرب يقومون معهم ضد الدولة العثمانية
وهكذا اقتسموا بلاد المسلمين بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وباقي الدول الأوروبية وضحكوا على المسلمين بأنهم لن يتقدموا حتى يتخلصوا من الاستعمار العثماني على حدِّ زعمهم ثم جاءوا إلى بلاد المسلمين وقسموها إلى مقاطعات بين هذه الدول حسب مطامعها ، وبدأ تنفيذ المخطط حيث وضعوا وقربوا ضعفاء النفوس والموتورين والزنادقة ليكونوا أعواناً لهم في حكم بلاد الإسلام ، ومنعوا كل ما له صلة بالإسلام وأرادت تطبيق ضلالها على المسلمين بالقوة وأطلقت اليد للدعوات القومية والجاهلية والطائفية وسيطرت على الفكر والثقافة ،

والمسلمون قد انشغلوا بالدفاع عن أنفسهم ، وفي هذه الأثناء احتل البريطانيون فلسطين وسمحوا بهجرة اليهود إليها بكل الوسائل مع مساعدتهم بكل ما يريدون ، وقد قامت ثورات إسلامية كثيرة لمنع اليهود من ذلك إلا أنها أجهضت من قبل بريطانيا وفرنسا وغيرهم من دول الكفر التي اتفقت على تسليم فلسطين لليهود(أرض الميعاد)
بل كان كثير من زعماء العرب لهم دور في إجهاض هذه الثورات ، وتغييرها عن مسارها،
و أعداء الإسلام نهبوا خيرات الأمة وأفقروها، وهكذا حتى غدا لليهود كيان ،
وقد أنشأت بريطانيا ما يسمى بالجامعة العربية والتي لم تخدم قضايا العرب إلى الآن بشيء ولم يتفق وزراء خارجية هذه الدول إلا وزراء الداخلية العرب فقد اتفقوا على سحق أي حس وطني وديني ، وعلى كيفية كم الأفواه وسحق الشعوب ، ولما خافت بريطانيا وغيرها من الدول الكبرى على مصالحها ومؤامراتها في العالم الإسلامي أوحت إلى حكام العرب آنذاك بالتصدي لليهود حسب الظاهر لكي لا تكشف الشعوب المخدرة جريمتهم فدخل ما يسمى بجيش الإنقاذ العربي وكان مهمة هذا الجيش وقادته العظام ليس مقاتلة اليهود (معاذ الله) بل منع المتطوعين المجاهدين من مقارعة اليهود وأخذ ما يسترده هؤلاء من أراض وعتاد وإعادته لليهود والتمكين لليهود في فلسطين ، ثم ضحكوا على الناس بأن اليهود قوة لا تقهر وأنهم قد بذلوا ما بوسعهم فلم يفلحوا وهكذا يفعل كل منافق عليم اللسان
ولم يخرج الصليبيون من بلاد الإسلام إلا بعد تفتيتها إلى دويلات هشة عاجزة عن القيام بأنفسها مع إثارة الخلاف بين المسلمين ، والنزاع والشقاق ،فهذه تابعة لأمريكا وهذه لروسيا وتلك لفرنسا وهكذا توزعت الولاءات ،
وكذلك ربوا جيلاً من الذين الذين باعوا دينهم بثمن بخس وأسندوا زمام الأمور لهم وشجعوا على قيام الثورات الجاهلية تحت مسميات كثيرة لصرف الأمة عما حدث في فلسطين ،وأنشئوا الأحزاب العلمانية التي قادها اليهود والنصارى والباطنيون تحت أسماء رنانة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب، وهكذا أقصي الإسلام عن الحياة اللهم إلا في زاوية مهملة من زوايا المسجد وفرضت المناهج المنحرفة والضالة على الأمة بحجة الرقي والتقدم ، فكان أولئك الحكام شراً من أعداء الإسلام الصرحاء حيث قام هؤلاء بالدور المرسوم تماما بما يغضب الله تعالى ويرضي أعداء الإسلام ، وصودرت الحريات والأموال وملئت

السجون بالمعارضين وامتلأت الساحة العربية بالشعارات الكاذبة الجوفاء وكان كل حاكم يتاجر بقضية فلسطين ، وقد فرِّغت من معناها الإسلامي لتصبح قضية عربية ثم قضية فلسطينية ثم قضية عرفاتية ، وقد جربت جميع الحلول فباءت بالفشل الذريع
وأما الحروب التي جرت بيننا وبين اليهود فما هي إلا مسلسل هزلي لتخدير الشعوب والضحك عليه فمنينا بالهزائم المتلاحقة ومع هذا يزعم حكامنا أنهم انتصروا في ميادين القتال على العدو الصهيوني الشرس ، ولكنه انتصار لا وجود له على الأرض لتبقى الأمة غافلة والعالم كله متآمر على قضية فلسطين شرقيه وغربيه ،
وأشعلوا الحروب الداخلية والحدودية و غير ذلك بين هذه الدول التي لا يجمع بينها شيء اللهم سوى اتفاق السدنة بالبقاء على كراسي الحكم ، والويل ثم الويل لمن تسول له نفسه بالاقتراب منها فهو العميل والمتطرف والإرهابي الذي يقف وراءه العدو الصهيوني !!!!
وفي واقعنا الحالي يستحيل حل قضية فلسطين إلا بالإسلام والإسلام محارب في عقر داره أكثر مما فعل أعداء الإسلام
وهذه الانتفاضة منذ أكثر من خمس سنين قدمت أغلى التضحيات فماذا قدم لها حكام العرب ؟؟، نعم قدموا لها الكثير الكثير ، ومن هذا الكثير منع أي سلاح يصل إليهم ومنع أي صاحب ضمير من الالتحاق بهم ومراقبة الحدود المغلقة سابقاً حتى لا يتسلل الإرهابيون إلى داخل فلسطين ، وكذلك وصف المجاهدين بكل الأوصاف التي تليق بالمقام والفتاوى جاهزة، والأئمة المضلين كثر ، وكذلك الضحك على الناس بما يسمى اتفاقات دولية وهذه الاتفاقات على فرض تنفيذها تسلخ فلسطين من عروبتها وإسلامها وتجعل معظمها لليهود الملاعين ، وأعداء الإسلام يشعلون الحروب المصطنعة هنا وهناك من أجل صرف المسلمين عن قضيتهم المحورية وكذلك من أجل نهب خيراتهم وإضعافهم، وأقول لو اجتمعت الدول العربية بأسرها (وهذا مستحيل بغير الإسلام) وقاتلت اليهود لغلبهم اليهود وذلك لأن اليهود يعتمدون على أنفسهم بكل شيء ، وأصحاب قضية يدافعون عنها ، وضليعون في المكر والخداع والعالم كله معهم ، وأما نحن فليس لنا هدف ، ونعتمد على غيرنا حتى بلقمة العيش، ولا أحد معنا لا الله تعالى ، ولا الناس ، وكذلك فإن الناس المسحوقين المسلوبي جميع حقوقهم سيقاتلون من أجل من ؟ ولمصلحة من ؟،
بل الذين ينادون بالحل الإسلامي يسحقون ويسجنون ويقتلون ويطردون ويشردون ، لأنهم يقولون بغير ما يقول فراعنتهم 0

وليس من مصلحة الحكام ولا أعداء الإسلام القبول بالحل الإسلامي ، ومن هنا تعرف سر تخاذلهم أمام ما يفعله اليهود اللئام بأخوتنا في فلسطين ، ومن هنا يظهر التشويه لما يحدث فالذين يقدمون أرواحهم في سبيل الله رخيصة هم الذين لم يحنوا هاماتهم لغير الله تعالى ، وهؤلاء يحاربون بوسائل عدة أولا من قبل اليهود وأعوانهم من الخونة ، وثانياً من السلطة التي تسلطت على رقابهم وما جيء بها إلا لسحق الصحوة الإسلامية داخل الأرض المحتلة ،وكذلك من قبل الدوال المجاورة التي تمنع وصول أية مساعدة لهم وأي واحد تسول له نفسه بمساعدتهم يتهم بالخيانة العظمى فإن أحسنوا إليه فالسجن والعذاب الأليم ، و إن عاملوه بما يستحق فالموت الزؤام ، كذلك العالم يتآمر عليهم ويصفهم المفتي العام للأمة الإسلامية (بوش) بأنهم إرهابيون ومتطرفون ومتشددون، لأنهم يحولون دون الاتفاق مع اليهود 0 فهل نبقي أخوتنا يموتون ويسحقون وتهدم عليهم بيوتهم ونحن نيام أو نستجير بمن وضع دولة اليهود في قلب العالم الإسلامي ، ولن يكتفي اليهود بفلسطين فأطماعهم أكثر من ذلك بكثير ، ولا أحد يقف في طريقهم ،

فآن الأوان لأن نوقن أن هؤلاء الحكام لا يمثلون شعوبهم ، بل يمثلون من مكنوا لهم وهم أعداء الإسلام ، وآن لنا أن نعرف العدو من الصديق ،وأن كل من يتعاون مع أعداء الإسلام ضد أبناء بلده والصالحين منهم ما هو إلا ضال مضل ، يجب إزاحته بأية وسيلة ممكنة ،

وعودة الخلافة الإسلامية كما يلي

استمرار الانتفاضة الإسلامية بالرغم من جميع المؤامرات عليها مصداقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الطائفة المنصورة ، وكذلك ازياد صلف العدو وجرائمه ,ازدياد خنوع وذل هؤلاء الخونة عند ئذ لا بد أن ينبلج الفجر الجديد من وسط الظلام حيث يوقن الناس أنه لا حل لهم إلا بالعودة إلى الإسلام عقيدة وعبادة وسلوكاً ومنهج حياة بعد أن ذاقوا الويلات من تركهم لدينهم على يدي جلاد يهم

وكذلك أن يقوم الدعاة المخلصون ببيان هذه الحقائق على ضوء القرآن والسنة مع تحمل كافة التبعات والتضحيات حيث سيقوم الحكام بمحاولة سحقهم والتعاون مع شياطين الإنس والجن لهذه الغاية ، ومع هذا إذا صبر هؤلاء واحتسبوا وأيقنوا انه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم ، واسترخصوا أنفسهم في سبيل الله تعالى فلا ضير عليهم مهما أصابهم في سبيل الله فسيكونون وقود الثورة

الإسلامية العارمة ، التي تقتلعهم من الجذور وتكون نواة للخلافة الإسلامية الخامسة كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ،
ولكن لا بد من رسم معالم هذه الخلافة فقد كتب عنها الكثير ، أقول :
لا بد من وضع نقاط أساسية لا بد من الأخذ بها في عصرنا هذا عصر التقدم والتآمر على الإسلام والغزو الفكري والاقتصادي وغيره
ينبغي أن يكون الخليفة من أصلحهم ، وليس بشرط أن يكون قرشياً اليوم لكن لا بد أن يتصف بالصفات التي وضعت سابقاً مع زيادة أن يكون كبيراً في السن ما لا يقل عن أربعين سنة وصاحب خبرة وتجربة ، وأن تكون له خدمات للإسلام كثيرة وأن يكون بصيراً بما يجري في هذا العصر ذكياً فطناً ومتحرقاً على تطبيق هذا الدين والعمل من أجله ليل نهار وإيثاره على جميع رغباته وأن يقتدي بالسلف الصالح ، ولا مانع أن يكون مدى الحياة كما كان سابقاً ما دام قائما بأمور الخلافة على أتم وجه وفي ذلك استقرار للنظام السياسي في الإسلام ، وكذلك ليس له حصانة فمثله مثل أي مسلم عادي ، ، وأما إذا جار أو انحرف فيعزل ، عن طريق مجلس الشورى وإلا عن طريق الشعب ولو بالقوة ، ولا مانع أن يكون حكم بلاد المسلمين لا مركزياً ، وأن يكون أمير كل بلد منها أو قريباً منها ، وأن يكون دستور المسلمين واحداً مستنبطاً من القرآن والسنة ، وأن يكون هناك مجلس شورى منتخب من قبل الشعب انتخاباً حراً نزيهاً ليس فيه دعايات ولا أكاذيب أو مزاودات ، بل فيه برامج عمل لمصلحة الإسلام والمسلمين ، وأن يكونوا من ذوي الكفاءات العالية ومن التقاة الورعين الذين قدموا خدمات كثيرة للإسلام والمسلمين ، أن يكونوا أصحاب تجارب ليسوا صغاراً بل يجب أن يكونوا كباراً كذلك من الأربعين فما فوق ، وأن ينتخب رئيس مجلس الشورى من قبلهم ولا يعين تعييناً ، ,
الجميع عليهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه العلماء السابقين وما لم يوجد فيه نص هو موضع الاجتهاد فيعرض على مجلس الشورى فإن اتفقوا على أمر وجب على الجميع الانصياع له ، وإن اختلفوا فيه فالأخذ برأي الأغلبية هو المحتم وإن اختلفوا على رأيين متقابلين فيعرض على لجنة استشارية أخرى وما ترجحه ملزم للعمل به ،
يجوز الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في الديموقراطية بحيث يؤخذ منها ما يناسبنا بعد تجريده من أصله وإعادة صياغته شرعاً و لكن ليست الديموقراطية بديلاً عن الشورى فتلك نظام بشري

متغير متبدل وهذه من عند الله ، ووجوب الاستفادة من التجارب الإسلامية السابقة ،
لا حاجة لأن تشترك المرأة في مجلس الشورى ولا أي عمل يتطلب منها ترك البيت طويلاً والسفر والاختلاط بالرجال، ولكن تشكل لجنة من المتخصصات بشؤون الأسرة ونحوها فيستشرن وقت الحاجة وإذا كانت المرأة لا تثق بأبيها وزوجها وعمها وخالها فلا خير فيها ،
وكذلك يجوز تحديد مدة أعضاء مجلس الشورى ويجوز جعلها قابلة للتجديد ما داموا يقومون بعملهم على أتم وجه،
رئيس مجلس الشورى هو الذي يكون نائباً لخليفة المسلمين وفي حال موته المفاجئ أو عزله مثلاً يصبح خليفة ، وكذلك لا حاجة لولاية العهد ، فقد جرت الويلات على المسلمين ، ولا يولي الخليفة أحداً من أقربائه بسبب قرابته بل بسبب كفاءته ،
ويجوز السماح بإنشاء أحزاب إسلامية لا تخرج أهدافها عن دستور الإسلام ومثله العليا ،لا يسمح بإنشاء أحزاب مخالفة للإسلام مهما كانت الأسباب وإلا عد خيانة للإسلام ،
لا يجوز للخليفة ولا أعوانه التجسس على الناس ، ولا تتبع عوراتهم ،
يجوز نقد تصرفات الحكومة بالصحف والمجلات وغيرها بشرط أن يكون النقد صحيحاً وهادفاً وليس فيه تجريح من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 000
السلطة القضائية مفصولة عن السلطة التنفيذية ومستقلة عنها وينتخب قاضي القضاة من قبل القضاة وليس تعيينا ،
تشكل محكمة للمظالم والجرائم التي تحصل من قبل الدولة ضد أفراد الشعب ولا يحق للخليفة حلها ولا حل مجلس الشورى مهما عصف بالبلاد ، لا يوجد قانون طوارئ في الإسلام ، أحكام العبادات الفردية يترك للناس اختيار المذهب الذي يريدون دون تعصب له ،
وأما الأحكام القضائية فالمتفق عليه يلزم الجميع به حاكم ومحكوم ، وما كان مختلفاً فيه وداخلا ضمن دائرة الاجتهاد المشروع فينتقى منه ما يناسب وضع المسلمين وحياتهم ويلزم الناس به وليس بشرط أن يكون من المذاهب الأربعة فقط بل ومذاهب الصحابة والتابعين وكذلك طلاب الأئمة الأربعة وأقرانهم كالأوزاعي والثوري والطبري وابن حزم الظاهري وابن تيمية وابن القيم والشوكاني ونحوهم ممن خدم هذه الشريعة الغراء وأفنى حياته من أجلها على أن لا تعتمد على أراء شاذة أو ثبت مخالفتها للنص الصريح

ولا يوجد تعقيدات قضائية فالجرائم تثبت إما بالاعتراف الحر غير المبني على القسر أوالإكراه ، أو بشهود كما حددت ذلك الشريعة الإسلامية ، وتقام الحدود على الجميع تمييز بينهم لجنس أو لون أو قرابة رئيس أو مرؤوس ويكون إقامة الحدود علناً من أجل إبعاد الناس عن الجريمة ،لا أحد يتدخل بحكم القاضي فهو مستقل تماماً ، ويستعين القاضي بمستشارين متخصصين ومخلصين ليكون حكمه أقرب للعدل والإنصاف 00

وأما الإعلام فيتولاه الصالحون الذين يدافعون عن الإسلام وقيمه العليا ، ويكون شاملاً من فضائيات وإذاعات ومجلات وصحف وغير ذلك ، يدافع عن الإسلام ويبرز أهمية الحل الإسلامي ويرد على الشبهات والأكاذيب ، همه الأول تبصير المسلمين بحقيقة دينهم ، لا مانع من المسلسلات الدينية الهادفة ، والبرامج الترفيهية التي لا تخرج عن أدب الإسلام ولا مانع من اشتراك المرأة المسلمة فيه بشرط أن تكون ملتزمة بالحجاب الإسلامي لا تبرز شياً من مفاتنها ، ويستخدم الكفاءات العالية ، ويبتعد عن تخدير الناس وخداعهم ،لا كذب فيه ولا فجور ، ويشارك فيه الناس للتعبير عن آرائهم الحرة بحرية تامة ، والصحف لا مانع أن تكون حرة ولكن لا يجوز أن تكون هناك وسيلة إعلام مخالفة للإسلام مهما كانت الأسباب والذرائع ، ومن الأمور التي يجب التركيز عليها الحث على طاعة الله والعمل الصالح وأثر ذلك في الدنيا والآخرة ، وكذلك الحث الإنفاق في سبيل الله بالنفس والمال 000

وأما بالنسبة للاقتصاد الإسلامي فهو اقتصاد مستقل عن التبعية للغرب أو الشرق مستمد من الإسلام ليس فيه ربا ولا غش ولا احتكار ولا خداع ولا مكر ، يلتزم الحلال ويحذر من الحرام والشبهات ، يحث الناس على الزراعة ويساعدهم في تطويرها بكل السبل المتاحة ويسوّقها لهم بسهولة ، ويحث الناس على الحرف الهامة للمجتمع ، وكذلك يحث على التجارة الحرة دون استغلال ولا احتكار بين جميع أقطار الإسلام لا يوجد جمارك ولا عشور ولا ضرائب وإنما يدفعون ما يلزمهم الشرع به من زكاة وخراج ونحو ذلك ،الحث على استصلاح الأراضي وتقديم كل ما يلزم للناس من أجله بحيث يكون الاقتصاد متكاملاً ، الحث على الصناعات التي يحتاج إليها المسلمون والحث على الإبداع والاختراع ،من أجل الوصول إلى مجتمع الكفاية والعدل ، يمنع بيع وشراء أي شيء حرمه الإسلام 000

وأما بالنسبة للمرأة فهي كالرجل إلا ما خص به كل واحد منهما فالحقوق الأساسية مشتركة ولكن يجب أن تكون مربية أجيال وقائمة بشؤون البيت على أتم وجه ولا تعمل خارج المنزل إلا إذا

احتجنا لعملها كالأمور التي تخص النساء مع التوفيق بين عملها الأساسي في البيت وعملها الاستثنائي خارج البيت وأن تلتزم بقيم الإسلام فلا سفور ولا خلوة بالرجال ، ولا تكلف من العمل مالا تطيق ، وتكون ساعات العمل لا تزيد عن خمس أو ست ساعات) ويجوز أن تشارك في الانتخابات ، ويجوز لها أن تبيع وتشتري إذا احتاجت لذلك ، المرأة لا تنفق على نفسها ، بل ينفق عليه أبوها بنتاً وزوجها زوجة 00، والدولة الإسلامية إذا لم يكن لها معيل، ولا يجوز أن تظهر من بدنها أثناء خروجها غير وجهها وكفيها ولا مانع لها من سترهما ، ويجب التركيز على أن تكون مربية أجيال الجهاد والعمل النافع ، وهذا يتطلب منها الكثير ، وهي ملزمة بالقيام بشؤون البيت من تنظيف وعمل داخل المنزل 00 وكذلك الحث على الزواج المبكر وتيسير سبله والحث على تعدد الزوجات ومنع كل الموبقات ومحرضات الرذيلة ، مع رعاية اليتامى والأرامل 000

وأما بالنسبة للعقيدة فيشاع بين الناس وبكل الوسائل العقيدة الإسلامية الصافية عن الإنسان والكون والحياة ، بعيدة عن علم الكلام وعن الخرافات ، وكذلك بعيدة عن المبالغة في التأويل أو المبالغة في الإثبات ، مع ربطها بالحياة وبواقع الناس وبيان أهميتها في إصلاح النفس الإنسانية ، ومنع نشر العقائد المنحرفة أو الزائغة 00

وأما العبادة فالحث عليها وبيان غاية وجود هذا الإنسان في هذه الدار ، وإنشاء المساجد في كل مكان والمحافظة على الصلوات الخمس في دوائر العمل كافة ، وإلزام الناس بذلك ومعاقبة تارك الصلاة ، وتيسير سبل الطاعة و العبادة في كل مكان 000

وأما التعليم فيكون مجانياً وكذلك الصحة ، ويكون متلائماً مع حاجات الأمة ومتطلبات المرحلة التي تعيشها مستمدّاً من الإسلام وقيمه العليا ، مركزاً على ما يصلح هذا الإنسان ويرتقي به صعداً نحو الكمال ، ليس فيه خرافات ولا أوهام ويجب أن يكون شاملاً لأمور الحياة كلها ، عقيدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملات ومخترعات وغيرها ، يبرز الجوانب الطيبة من تاريخنا الناصع الوضاء ويبتعد عن تدريس السلبيات والخلاف بين الصحابة والدعوة لمحبتهم جميعاً ويركز على الدفاع عن الإسلام ومقارنته بغيره مع رد الشبهات والأكاذيب التي يروجها أعداء الإسلام ويعتمد فيه على أصحاب الخبرات الطويلة قديماً وحديثاً وأن يكرم القائمون على التعليم ولا يكلفون فوق طاقتهم وأن يكون دخلهم يكفيهم ويكفي أهلهم عن ذل السؤال ، ولا مانع من التفرغ لذلك 000

كذلك حث الناس على العمل النافع (زراعي تجاري ، صناعي ،حرفي ، فكري) وتأمين العمل المناسب لكل قادر عليه ولا يجده وإنشاء المصانع والمعامل وغيرها ، وإعطاء العمال أجورهم كاملة وتأمين المسكن والزوجة وغير ذلك لهم وأن يكون راتبهم مجزياً يمنهم من الغش والسلب والرشوة وكذلك علاجهم وتعليمهم مجاني هم وأهلهم ، بل هذا حق لكل من يعيش في كنف الدولة الإسلامية ، وتحديد ساعات العمل وعدم تكليفهم فوق طاقتهم ووضع الإنسان المناسب في المكان المناسب وحثهم على تقوى الله والإخلاص في العمل وإتقانه وكذلك تحديد سني الخدمة بحيث لا تتجاوز العشرين عاماً مع تأمين حاجياتهم ومتطلباتهم ولا مانع من إنشاء النقابات وبطريق الانتخاب الحر النزيه لتدافع عن حقوقهم 000

وأما الجهاد فحث الناس عليه وبيان أهميته في حياة الأمة بحيث تكون الأمة كلها مجاهدة كل من موقعه وتدريب الناس على أنواع السلاح وتصنيعه في بلاد الإسلام والاستغناء عن الغير وأن يوجد جيش مدرب جاهز للدفاع عن حرمات الإسلام وأن يكرم المجاهدون وتعال أسرهم من قبل بيت المال ويكون لهم الحظ الأوفى مع الحث على الشهادة في سبيل الله تعالى وأنها أقصر طريق للسعادة ومرضاة الله تعالى والفرح بموت الشهداء وأن تكون التعبئة على أتم وجه ، ولا بد أن تأخذ بعين الاعتبار أن الجهاد ماض إلى قيام الساعة ، فإذا نحن لم نقاتل أعداءنا فهم لن يتركونا أبداً فالصراع بيننا وبينهم مستمر إلى قيام الساعة ، وكذلك وجوب الالتزام بآداب الحرب شرعاً ، ويكون الجهاد نوعان دفاع وهجوم ، فإذا اعتدي على حرمة من حرمات المسلمين في أي مكان في هذه الأرض وجب الدفاع عنهم ورد الاعتداء بكل السبل ،

والنوع الثاني وهو الهجوم حيث ندعوا الناس إلى الدخول في الإسلام فإن دخلوا فيه فبه ونعمت أو يخضعوا لنظام الإسلام مع دفع الجزية (مقابل حمايتهم والدفاع عنهم) وإذا منعوا الدعوة من الانتشار بينهم فالحرب لا بد منها ونستعين الله عليهم ، ولا يجوز الاستعانة بالكفار إلا في حالات جزئية واضطرارية وأن يكونوا تحت سيطرتنا ومراقبتنا ، يعفى أهل الذمة من الاشتراك بالجهاد في سبيل الله ،

وأما السياسة الخارجية فتقوم على تقسيم العالم إما إلى دول كافرة محاربة للمسلمين ، وهذه ليس بيننا وبينهم إلا القتال ويجوز وقفه لحين إذا كان في ذلك مصلحة حقيقية للمسلمين ، وإما دول كافرة غير محاربة فيجوز التعامل معهم بالحدود التي تخدم الإسلام والمسلمين 000

وأما داخل المجمتع الإسلامي فهم أصناف أهل السنة والجماعة وهم الغالبية العظمى 000
وشيعة وهؤلاء يلزمون باحترام الدستور الإسلامي ويمنعون من الكلام عن الصحابة والسلف الصالح وكذلك يمنع طبع أو نشر أي كتاب أو مقال يطعن بالسلف الصالح أو بقيم الإسلام فحرية الرأي بما لا يعود بالضرر على الإسلام والمسلمين و يمنعون من ممارسة كل ما فيه مخالفة صريحة كالمتعة ونحوها وفي العبادات الفردية لهم حريتهم بذلك وأما في الأمور العامة فيلزمون بقوانين الإسلام كبقية المسلمين 000
وأما الطوائف التي انشقت عن الإسلام فهؤلاء يسألون ما هم فإن قالوا نحن مسلمون فيلزمون بأحكام الإسلام الظاهرة ويعاقبون على تركها كغيرهم ونكل سرائرهم إلى الله تعالى ، وإن قالوا نحن لسنا مسلمين ، فنعاملهم معاملة أهل الكتاب غير آكلي طعامهم ولا ناكحي نسائهم (كالمجوس) ويجب تميزهم في هذه الحال عن المسلمين والحذر منهم فقد كانوا بؤرة للمؤامرات والكيد لهذا الدين عبر التاريخ 000
وإن كانوا يهوداً أو نصارى فهؤلاء يطبق عليهم قانون أهل الذمة ، يمارسون طقوسهم وعباداتهم الخاصة بهم وأما القانون العام فيلزمون بالعمل به والتحاكم إليه ، ولا يسمح لهم بإنشاء كنائس جديدة ولا يقرعون بناقوس بين الناس ، ويلزمون بلباس ساتر للعورة ويمنعون من الدعوة لدينهم بين المسلمين أو الطعن بهذا الدين ونجادلهم بالتي هي أحسن ويجوز أكل طعامهم الحلال عندنا والزواج من نسائهم (وإن كان هذا غير مرغوب به إذا كان يؤثر على الزواج من المسلمات أو على عقيدة المسلم) وعلى الرجال البالغين القادرين على العمل دفع الجزية لبيت مال المسلمين مقابل حمايتهم وإعفائهم من الجهاد وتأمين حاجياتهم الضرورية (وهي مبلغ ضئيل مقابل ما يدفعه المسلم)، ويجوز الاستعانة بهم في بعض الأمور غير ذات الصبغة الدينية ، ولا يجوز توليهم على المسلمين 000
وكذلك منع الناس من التحدث بالأمور الخلافية والنعرات الطائفية والمذهبية وكل ما من شأنه أن يؤدي لضعضعة المسلمين وزرع بذور النزاع والخلاف بينهم وحث الناس على الجد والالتزام بآداب الإسلام والتنافس على فعل الخير والبعد عن المنكر
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكرٍواجب على الجميع ويجوز عمل لجنة لهذا الأمر ولكن يبقى عاماً وذلك لمنع الفساد داخل المجتمع الإسلامي

وتأمين حاجيات الناس الضرورية (الحفاظ على دينهم وعلى أنفسهم وعلى أعراضهم وعلى أموالهم وعلى عقولهم) والقضاء على الثلاثي الخبيث الجهل والجوع والمرض وأن يكون هم الدولة الإسلامية خدمة المسلمين والسهر على ذلك فالله تعالى سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع هذا تصورنا للمسالة بشكل مختصر وعندما نعود إلى الإسلام كما ذكرت يصبح علينا من السهولة القضاء على اليهود واسترداد الأقصى من أيديهم وستكون نهايتهم في فلسطين كنهايتهم في بني قريظة تماماً ، ولا بد أن يأتي اليوم الذي يمقت فيه الناس اليهود بعد أن يكتشفوا جرائمهم ومؤامراتهم على الناس عبر التاريخ وعندئذ يقولون للمسلمين يا معشر المسلمين خلصونا من أولئك الأنجاس الأرجاس الذين عاثوا في الأرض فساداً وإنه لآت بإذن الله

****

الثالث والعشرون – لماذا لا يظهر الزرقاوي على شاشات التلفزة ؟؟

السبب فيما أرى حتى لا يكتشفه العدو فيسهل اقتناصه ولذلك يبقى متخفيا ومقنعا فلا يستطيع العدو معرفته ولا الجواسيس لأن الجميع مقنعون فمن هو الرزقاوي غير معروف

ولإثارة الرعب والفزع في العدو أكثر حيث يتوقع أن أي مقنع هو الزرقاوي

وإذا قدر الله تعالى للزرقاوي الحياة وكتب على يديه النصر المؤزر فسوف نراه عيانا شامخا

وإذا لم يقدر له ذلك وسقط في ساحات الوغى شهيدا ((وهذا أغلى أمانيه)) فسوف نراه مضرجا بدمائه الزكية العطرة يقول لنا : هذا هو الطريق الصحيح للسعادة أيها الناس

وإذا لم يقدر الله تعالى لنا لقاء ه في الدنيا فسوف نلاقيه في الجنة إن شاء الله

قال تعالى :

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54)فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55) سورة القمر

****

الرابع والعشرون – رسالته الأخيرة للشيخ المجاهد أسامة بن لادن حماه الله من الكيد فيها أعظم أنواع الحب والوفاء والولاء الذي نحن بأمس الحاجة إليه :

حيث يقول :

الحمد لله معزّ الإسلام بنصره ، ومذلّ الشرك بقهره ، ومصرّف الأمور بأمره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدّر الأيام دولا بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، والصلاة والسلام على من أعلى الله منار الإسلام بسيفه وبعد
فهذا تحليل موسع لخطاب أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ((رسالة من جنديّ إلى أميره)) نكتبه بفضل الله ويكون في حلقتين الأولى بين أيديكم والثانية نأجلها إلى حين قريب ، كي نقرأ ردود أفعال الصليبيين الذين بدأ السوس ينخر في بنيانهم المنهار وفي إعلامهم المقهور المهزوم ، مما أدى بهم إلى بطء ردود الأفعال ، وهو أمر طبيعي وبديهي لما يتلقوه من المفاجآت والصدمات مما أفقدهم دفة القيادة – زعموا – وأغشت عليهم التركيز اللازم لمواكبة ما يستجد من أحداث ، وبعدها تكون الحلقة الآخرة ملامح الخطة المرسومة للعدو ، ونسأل الله القبول ولا ندّعي فيه عصمة بل هو إما صواب أو غالب صواب أو خلافه ، فمن وجد خيرا فليحمد الله سبحانه ، ومن وجد غير ذلك فالدعاء لنا بالمغفرة والرحمة من التوّاب الرحيم.

فمن المزايا:

أ - قصة حب كتبت بالدموع والدماء بين جندي أحبّ أميره في الله ، وعلم أن هذا الطريق وهذا الحب هو ما تباع فيه النفوس وتقرح فيه الجروح وتزداد فيه آلام البعد ولوعة الاشتياق ، فأفرز الحب أبياتا لها نكهة الجنة وقصورها ولمعة النصر والتمكين في الدنيا
لأن عظم اشتياق منك نحوي*** ففي قلبي من الأشواق نارا
لـــعل الله يجمــع بـعد بين*** لنا شملاً ويقترب المزار

ب – يقول لله دره : جراحي – بفضل الله - خفيفة كما ذكر الاخوة في القسم الإعلامي وهنا تم إعطاء المصداقية الكاملة للقسم الإعلامي وفرضه على الإعلام الصليبي الغربي كمصدر وحيد وصادق – زعموا ووهموا - لأخبار تنظيم القاعدة في العراق - بل ولنقل - لأخبار تنظيم القاعدة في أرجاء المعمورة طبقا لتصورنا للخطة المرسومة .

ج – يقول لا فضّ فوه : وجنودك يسطرون - بفضل الله - أروع الصور في الفداء والتضحيات والذود عن حياض هذا الدين والذب عن أعراض المسلمين في مدينة القائم أرض النزال .

ولاحظوا كلمة وجنودك لتدخل الرعب في قلب كل منافق ظلّ يدندن أن الشيخ أسامة أصبح وحيدا في الميدان وما التجأ إلى تنصيب ومبايعة الشيخ أبو مصعب إلا لما هو فيه وعليه وجماعته من تشذرم وتفرّق ومطاردة وملاحقة - خسئوا وخابوا وخسروا -.

د - قصة الجنرال الصليبي الهالك شارب الخمر أضفت روحا ومتنفّسا للخطاب ككل ، وذلك بمقارنتها وربطها بواقع وصميم تاريخ الإسلام والمسلمين ومعاركهم وغزواتهم - بفعل أبى جهل -والتي ستخترق جدران السحر الإعلامي - الموهوم - الممارَس على كل مسلم ومسلمة لكي ينسوا أيام الإسلام الأولى ، وهذا الاختراق يزرع أملا وبصيصا من ملامح النصر لأي مستمع ذي إحساس بدينه واستشعار لإسلامه ، لكنه سحر و تلبيس وقلب للحقائق وتغرير, فأبطلت هذه القصة – بفضل الله - سحر الإعلام ، بل ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إنها - يوما ما - ستدرّس القصة لأطفالنا كأنموذج قياسي من العصر الحديث الذي لا يختلف فيه وجه الكفر القبيح عن عصر النبوة .
هـ - ويقول لله دره : وقد صدق صاحب كتاب الحرب الأهلية الثانية وهو من قدماء المحاربين الأمريكيين في فيتنام حين قال إن أمريكا ولدت في الدماء ورضعت الدماء وأثخنت الدماء وتعملقت على الدماء ولسوف تغرق في الدماء ولإن كان يا شيخنا قد سرّ كلب بني الأصفر بوش أسر أخينا أبو فرج الليبي فلقد ساءه ما حل بجنوده في القائم وباقي أرض الرافدين .
وفي هذه الكلمات صفعة إلى منافقى العرب الذين يظنون أن المجاهدين جهالا لا يفقهون إلا حمل السلاح وإرهاب من يلونهم ، فهذا الاستشهاد من كتاب أمريكي صليبي محارب قديم يخسف بأم رؤوسهم إلى أعمق أعماق الطين .
و – ويقول لا فضّ فوه : أميرنا الحبيب ....
إن العدو بتوفيق الله يسيركما رسم له ، وأننا - بفضل الله - نوشك أن نحكم الخناق عليه ، وإن سارت الخطة - بأمر الله - كما أعد لها ، فإن نتائجها ستظهر لكل ذي عينين بما يسر كل مسلم ويسوء كل كافر ومنافق وإني لأحسب أن الخطة المرسومة قد وصلتكم أو في طريقها إليكم .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صحّ عنه:
نصرت بالرعب مسيرة شهر
ولا نزيد على كلامه - فداه أهلنا وأموالنا - فأنى لنا ذلك !
فهاهم أحفاد الصحابة وأخلائهم في الجهاد ، ينفذون أوامر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السياسية بالحرف الواحد ، فلا العدو يقدر استبعاد هذه الجملة ولا يمكنه أن يفقه معناها ولا يمكنه التقليل أو الاستخفاف بما وراءها وإن غدا لناظره قريب .
ز – قال لله دره : ولولا ما قدّمه ويقدّمه الروافض أحفاد ابن العلقمي وعلى رأسهم إمام الكفر والزندقة السيستاني ، لكان

حال بني الأصفر غير ما ترى الأمة اليوم ، وهذا ما نبه عليه توماس فريدمان الكاتب الأمريكي في جريدة نيويورك تايمز ! .
وليخسأ المنافقون المتكلمون والمرجفون الحاقدون الذين يتهمون المجاهدين بالعيش في كوكب آخر ، وأما الروافض الكفرة المرتدة ؛ فلا أدلّ على دورهم من أقوال صديقهم ومحبوبهم فريدمان ! ، وليصمت أصحاب العمائم البيضاء الذين ما زالوا يرجون من أحفاد ابن العلقمي أمنا وأمانا وعهدا وسلاما ، وليعلموا أنما هم شركاء في ذات الدور الذي ذكره توماس فريدمان .
ح - تصريح الجنرال مايرز والضابط الأمريكي يضع السامع في حقائق من أفواه المنهزمين الذين يقولون هذا ، ويظنون أننا لن نعرف ، فتنهض عزائمنا بكلامهم الذي يناقض كل اتجاه ووجهة إعلامهم الصليبي الحاقد والمرجف والكاذب .
ط - نقل قول الهالك جلال الطالباني في النهاية كان أروع ما ذكر في ختام الرسالة من أحداث ، ويذكرنا هذا بصورة رجل أحضر هدية فغلفها وزينها وما تبقى عليه سوى إحكام الغلق على زينتها فلا تنفرط ولا تنحلّ وتظل برونقها ، فقولة الطالباني تجعل المستمع - أيا كانت فرقته - تضع الطالباني على رأس زمرة الاحتلال وإن كل ما يذكر في الإعلام من أن احتلال العراق كان السبيل الوحيد لرفع ظلم الصداميين عن الشعب ما هو إلا محض افتراء فهاهو ذا ذهب بعثي كافر مرتد ، ليأتي الاحتلال بعميل أوضح كفرا وأبين ردة وأظهر فجورا .
ي - اللهم أنفذ بعث أسامة.....
روعة التشبيه ؛ كادت أن تفجر قلوب المناصرين لقائد مسيرتنا وتاج الفخار فوق رؤوسنا الشيخ أسامة وصحبه من السعادة والفرح ، فقد جاء التشبيه ليذيب مرارة القلوب من قلة الناصر والمعين وتأخر التمكين ، وبشرى لكل المؤمنين الصادقين للثبات على الدرب ، فاليوم ليس أحلك من يوم أبى بكر رضي الله عنه ، فيوم أبا بكر قتالان متواليان في الجنوب والشمال ، وقلة في العدة والعتاد والرجال ، أما اليوم فالإسلام على بقاع الأرض قد انتشر والنصر فى ازدياد مضطرد ، والرجال أصبحوا عدة وعتاد ، ولذا فإن بعث أسامة منتصر لا محالة أيا كان الانتصار سواء كان كأصحاب الأخدود وهو الفوز الكبير ، أو ذلك النصر المعهود وهو الفتح المبين . (منقول)

****

*الخامس والعشرون - نحن مع موكب الإيمان . .
هذه أعلامه . .

وهذه علائمه . .
وهذه هي معالم طريقه . .
وهو يواجه البشرية في رحلتها الطويلة على هذا الكوكب الأرضي . .
يواجهها كلما التوت بها الطريق ; وكلما انحرفت عن صراط الله المستقيم ; وكلما تفرقت بها السبل . تحت ضغط الشهوات , التي يقودها الشيطان من خطامها , محاولاً أن يرضي حقده ; وأن ينفذ وعيده , وأن يمضي ببني آدم من خطام هذه الشهوات إلى جهنم ; فإذا الموكب الكريم يواجه البشرية بالهدى , ويلوّح لها بالنور , ويستروح بها ريح الجنة , ويحذرها لفحات السموم , ونزغات الشيطان الرجيم , عدوها القديم . .
. . إنه مشهد رائع . .
مشهد الصراع العميق , في خضم الحياة , على طول الطريق . .
إن التاريخ البشري يمضي في تشابك معقد كل التعقيد . .
إن هذا الكائن المزدوج الطبيعة , المعقد التركيب . .
الذي يتألف كيانه من أبعد عنصرين تؤلف بينهما قدرة الله وقدره . .
عنصر الطين الذي نشأ منه , وعنصر النفخة من روح الله , التي جعلت من هذا الطين إنساناً . . إن هذا الكائن ليمضي في تاريخه مع عوامل متشابكة كل التشابك , معقدة كل التعقيد . .
يمضي بطبيعته هذه يتعامل مع تلك الأفاق والعوالم التي أسلفنا في قصة آدم الحديث عنها . .
يتعامل مع الحقيقة الإلهية:مشيئتها وقدرها , وقدرتها وجبروتها , ورحمتها وفضلها . . الخ . . . ويتعامل مع الملأ الأعلى وملائكته . .
ويتعامل مع إبليس وقبيله . .
ويتعامل مع هذا الكون المشهود ونواميسه وسنن الله فيه . .
ويتعامل مع الأحياء في هذه الأرض . .
ويتعامل مع بعضه البعض . .
يتعامل مع هذه الآفاق وهذه العوالم بطبيعته تلك , وباستعداداته المتوافقة والمتعارضة مع هذه الآفاق والعوالم . .
وفي هذا الخضم المتشابك من العلاقات والروابط , يجري تاريخه . . ومن القوة في كيانه والضعف . ومن التقوى والهدى . ومن الالتقاء بعالم الغيب وعالم الشهود . ومن التعامل مع العناصر المادية في الكون والقوى الروحية , ومن التعامل مع قدر الله في النهاية . .
من هذا كله يتكون تاريخه . . وفي ضوء هذا التعقيد الشديد يفسر تاريخه .
والذين يفسرون التاريخ الإنساني تفسيراً "اقتصادياً" أو "سياسياً" . والذين يفسرونه تفسيراً "بيولوجياً" . والذين يفسرونه تفسيراً

"روحياً" أو "نفسياً" . والذين يفسرونه تفسيراً "عقلياً" . . . كل أولئك ينظرون نظرة ساذجة إلى جانب واحد من جوانب العوامل المتشابكة , والعوالم المتباعدة , التي يتعامل معها الإنسان ; ويتألف من تعامله معها تاريخه . .
والتفسير الإسلامي للتاريخ هو وحده الذي يلم بهذا الخضم الواسع , ويحيط به ; وينظر إلى التاريخ الإنساني من خلاله .
ونحن هنا أمام مشاهد صادقة من هذا الخضم . .
لقد شهدنا مشهد النشأة البشرية ; وقد تجمعت في المشهد كل العوالم والآفاق والعناصر - الظاهرة والخفية - التي يتعامل معها هذا الكائن منذ اللحظة الأولى . .
ولقد شهدنا هذا الكائن باستعداداته الأساسية . .
شهدنا تكريمه في الملأ الأعلى وإسجاد الملائكة له ; والبارىء العظيم يعلن ميلاده . .
وشهدنا ضعفه بعد ذلك وكيف قاده منه عدوه . .
وشهدنا مهبطه إلى الأرض . .
وانطلاقه في التعامل مع عناصرها ونواميسها الكونية . .
ولقد شهدناه يهبط إلى هذه الأرض مؤمناً بربه ; مستغفراً لذنبه ; مأخوذاً عليه عهد الخلافة:أن يتبع ما يأتيه من ربه ولا يتبع الشيطان ولا الهوى , مزوداً بتلك التجربة الأولى في حياته . .
ثم مضى به الزمن ; وتقاذفته الأمواج في الخضم ; وتفاعلت تلك العوامل المعقدة المتشابكة في كيانه ذاته وفي الوجود من حوله . تفاعلت في واقعه وفي ضميره . ثم ها نحن أولاء في هذا الدرس نشهد كيف صارت به هذه العوامل المعقدة المتشابكة إلى الجاهلية !!!
إنه ينسى . .
وقد نسي . . إ
نه يضعف . .
إنه ضعف . .
وقد الشيطان يغلبه . .
وقد غلبه . .
ولا بد من الإنقاذ مرة أخرى !!!
لقد هبط إلى هذه الأرض مهتدياً تائباً موحداً . .
ولكن ها نحن أولاء نلتقي به ضالاً مفترياً مشركاً !!!
لقد تقاذفته الأمواج في الخضم . .
ولكن هنالك معلماً في طريقه . .
هنالك الرسالة ترده إلى ربه . فمن رحمة ربه به أن لا يتركه وحده !

وها نحن أولاء في هذه السورة نلتقي بموكب الإيمان , يرفع أعلامه رسل الله الكرام:نوح . وهود . وصالح . ولوط . وشعيب . وموسى . ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً . .
ونشهد كيف يحاول هذا الرهط الكريم - بتوجيه الله وتعليمه - إنقاذ الركب البشري من الهاوية التي يقوده إليها الشيطان , وأعوانه من شياطين الإنس المستكبرين عن الحق في كل زمان . كما نشهد مواقف الصراع بين الهدى والضلال . وبين الحق والباطل , وبين الرسل الكرام وشياطين الجن والإنس . .
ثم نشهد مصارع المكذبين في نهاية كل مرحلة , ونجاة المؤمنين , بعد الإنذار والتذكير . .
والقصص في القرآن لا يتبع دائماً ذلك الخط التاريخي . ولكنه في هذه السورة يتبع هذا الخط . ذلك أنه يعرض سير الركب البشري منذ النشأة الأولى , ويعرض موكب الإيمان وهو يحاول هداية هذا الركب واستنقاذه كلما ضل تماماً عن معالم الطريق , وقاده الشيطان كلية إلى المهلكة ليسلمه في نهايتها إلى الجحيم !
وفي وقفتنا أمام المشهد الكلي الرائع نلمح جملة معالم نلخصها هنا قبل مواجهة النصوص:
إن البشرية تبدأ طريقها مهتدية مؤمنة موحدة . .
ثم تنحرف إلى جاهلية ضالة مشركة - بفعل العوامل المتشابكة المعقدة في تركيب الإنسان ذاته , وفي العوالم والعناصر التي يتعامل معها . .
وهنا يأتيها رسول بذات الحقيقة التي كانت عليها قبل أن تضل وتشرك . فيهلك من يهلك , ويحيا من يحيا . والذين يحيون هم الذين آبوا إلى الحقيقة الإيمانية الواحدة . هم الذين علموا أن لهم إلهاً واحداً , واستسلموا بكليتهم إلى هذا الإله الواحد . هم الذين سمعوا قول رسولهم لهم: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) . . فهي حقيقة واحدة يقوم عليها دين الله كله , ويتعاقب بها الرسل جميعا على مدار التاريخ . . فكل رسول يجيء إنما يقول هذه الكلمة لقومه الذين اجتالهم الشيطان عنها , فنسوها وضلوا عنها , وأشركوا مع الله آلهة أخرى - على اختلاف هذه الآلهة في الجاهليات المختلفة - وعلى أساسها تدور المعركة بين الحق والباطل . .
وعلى أساسها يأخذ الله المكذبين بها وينجي المؤمنين . .
والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي عبر بها جميع الرسل - صلوات الله عليهم - مع اختلاف لغاتهم . .
يوحد حكاية ما قالوه , ويوحد ترجمته في نص واحد: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) . . وذلك لتحقيق معني وحدة العقيدة السماوية - على مدار التاريخ - حتى في صورتها اللفظية ! لأن هذه

العبارة دقيقة في التعبير عن حقيقة العقيدة , ولأن عرضها في السياق بذاتها يصور وحدة العقيدة تصويراً حسياً . .
ولهذا كله دلالته في تقرير المنهج القرآني عن تاريخ العقيدة . .
وفي ضوء هذا التقرير يتبين مدى مفارقة منهج "الأديان المقارنة " مع المنهج القرآني . . يتبين أنه لم يكن هناك تدرج ولا "تطور" في مفهوم العقيدة الأساسي , الذي جاءت به الرسل كلها من عند الله , وأن الذين يتحدثون عن "تطور" المعتقدات وتدرجها ; ويدمجون العقيدة الربانية في هذا التدرج "والتطور" يقولونغير ما يقوله الله سبحانه ! فهذه العقيدة - كما نرى في القرآن الكريم - جاءت دائماً بحقيقة واحدة . وحكيت العبارة عنها في ألفاظ بعينها: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وهذا الإله الذي دعا الرسل كلهم إليه هو (رب العالمين) . . ا
لذي يحاسب الناس في يوم عظيم . . فلم يكن هنالك رسول من عند الله دعا إلى رب قبيلة , أو رب أمة , أو رب جنس . .
كما أنه لم يكن هناك رسول من عند الله دعا إلى إلهين اثنين أو آلهة متعددة . . وكذلك لم يكن هناك رسول من عند الله دعا إلى عبادة طوطمية , أو نجمية , أو "أرواحية ! " أو صنمية ! ولم يكن هناك دين من عند الله ليس فيه عالم آخر . .
كما يزعم من يسمونهم "علماء الأديان" وهم يستعرضون الجاهليات المختلفة , ثم يزعمون أن معتقداتها كانت هي الديانات التي عرفتها البشرية في هذه الأزمان , دون غيرها !
لقد جاءت الرسل - رسولاً بعد رسول - بالتوحيد الخالص , وبربوبية رب العالمين !
وبالحساب في يوم الدين . . ولكن الانحرافات في خط الاعتقاد , مع الجاهليات الطارئة بعد كل رسالة , بفعل العوامل المعقدة المتشابكة في تكوين الإنسان ذاته وفي العوالم التي يتعامل معها . .
هذه الانحرافات تمثلت في صور شتى من المعتقدات الجاهلية . . هي هذه التي يدرسها "علماء الأديان ! " ثم يزعمون أنها الخط الصاعد في تدرج الديانات وتطورها !
وعلى أية حال فهذا هو قول الله - سبحانه - وهو أحق أن يتبع , وبخاصة ممن يكتبون عن هذا الموضوع في صدد عرض العقيدة الإسلامية , أو صدد الدفاع عنها ! أما الذين لا يؤمنون بهذا القرآن , فهم وما هم فيه . .
والله يقص الحق وهو خير الفاصلين . .

إن كل رسول من الرسل - صلوات الله عليهم جميعاً - قد جاء إلى قومه , بعد انحرافهم عن التوحيد الذي تركهم عليه رسولهم الذي سبقه . .
فبنو آدم الأوائل نشأوا موحدين لرب العالمين - كما كانت عقيدة آدم وزوجه - ثم انحرفوا بفعل العوامل التي أسلفنا - حتى إذا جاء نوح - عليه السلام - دعاهم إلى توحيد رب العالمين مرة أخرى . ثم جاء الطوفان فهلك المكذبون ونجا المؤمنون . وعمرت الأرض بهؤلاء الموحدين لرب العالمين - كما علمهم نوح - وبذراريهم . حتى إذا طال عليهم الأمد انحرفوا إلى الجاهلية كما انحرف من كان قبلهم . . حتى إذا جاء هود أهلك المكذبون بالريح العقيم . .
ثم تكررت القصة . .
وهكذا . .
ولقد أرسل كل رسول من هؤلاء إلى قومه . فقال:
(يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) . .
وقال كل رسول لقومه: إني لكم ناصح أمين , معبراً عن ثقل التبعة ; وخطورة ما يعلمه من عاقبة ما هم فيه من الجاهلية في الدنيا والآخرة ; ورغبته في هداية قومه , وهو منهم وهم منه . .
وفي كل مرة وقف "الملأ" من عليه القوم وكبرائهم في وجه كلمة الحق هذه ; ورفضوا الاستسلام لله رب العالمين . وأبوا أن تكون العبودية والدينونة لله وحده - وهي القضية التي قامت عليها الرسالات كلها وقام عليها دين الله كله - وهنا يصدع كل رسول بالحق في وجه الطاغوت . .
ثم ينقسم قومه إلى أمتين متفاصلتين على أساس العقيدة . وتنبتُّ وشيجة القومية ووشيجة القرابة العائلية ; لتقوم وشيجة العقيدة وحدها . وإذا "القوم" الواحد , أمتان متفاصلتان لا قربى بينهما ولا علاقة ! . .
وعندئذ يجيء الفتح . .
ويفصل الله بين الأمة المهتدية والأمة الضالة , ويأخذ المكذبين المستكبرين , وينجي الطائعين المستسلمين . .
وما جرت سنة الله قط بفتح ولا فصل قبل أن ينقسم القوم الواحد إلى أمتين على أساس العقيدة , وقبل أن يجهر أصحاب العقيدة بعبوديتهم لله وحده . وقبل أن يثبتوا في وجه الطاغوت بإيمانهم . وقبل أن يعلنوا مفاصلتهم لقومهم . .
وهذا ما يشهد به تاريخ دعوة الله على مدار التاريخ .
إن التركيز في كل رسالة كان على أمر واحد:هوتعبيد الناس كلهم لربهم وحده - رب العالمين - ذلك أن هذه العبودية لله الواحد , ونزع السلطان كله من الطواغيت التي تدعيه , هو القاعدة التي لا يقوم

شيء صالح بدونها في حياة البشر . ولم يذكر القرآن إلا قليلاً من التفصيلات بعد هذه القاعدة الأساسية المشتركة في الرسالات جميعاً . ذلك أن كل تفصيل - بعد قاعدة العقيدة - في الدين , إنما يرجع إلى هذه القاعدة ولا يخرج عنها . وأهمية هذه القاعدة في ميزان الله هي التي جعلت المنهج القرآني يبرزها هكذا , ويفردها بالذكر في استعراض موكب الإيمان ; بل في القرآن كله . . ولنذكر - كما قلنا في التعريف بسورة الأنعام أن هذا كان هو موضوع القرآن المكي كله ; كما كان هو موضوع القرآن المدني كلما عرضت مناسبة لتشريع أو توجيه .

إن لهذا الدين "حقيقة " ; و "منهجاً" لعرض هذه الحقيقة .

"والمنهج" في هذا الدين لا يقل أصالة ولا ضرورة عن "الحقيقة " فيه . .

وعلينا أن نعرف الحقيقة الأساسية التي جاء بها هذا الدين . كما أن علينا أن نلتزم المنهج الذي عرض به هذه الحقيقة . .

وفي هذا المنهج إبراز وإفراد وتكرار وتوكيد لحقيقة التوحيد للألوهية . . ومن هنا ذلك التوكيد والتكرار والإبراز والإفراد لهذه القاعدة في قصص هذه السورة . .

إن هذا القصص يصور طبيعة الإيمان وطبيعة الكفر في نفوس البشر ; ويعرض نموذجاً مكرراً للقلوب المستعدة للإيمان , ونموذجاً مكرراً للقلوب المستعدة للكفر أيضاً . .

إن الذين آمنوا بكل رسول لم يكن في قلوبهم الاستكبار عن الاستسلام لله والطاعة لرسوله ; ولم يعجبوا أن يختار الله واحداً منهم ليبلغهم وينذرهم . فأما الذين كفروا بكل رسول فقد كانوا هم الذين أخذتهم العزة بالإثم , فاستكبروا أن ينزلوا عن السلطان المغتصب في أيديهم لله صاحب الخلق والأمر , وأن يسمعوا لواحد منهم . .

كانوا هم "الملأ" من الحكام والكبار والوجهاء وذوي السلطان في قومهم . .

ومن هنا نعرف عقدة هذا الدين . .

إنها عقدة الحاكمية والسلطان . . فالملأ كانوا يحسون دائماً ما في قول رسولهم لهم: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) . .

(ولكني رسول من رب العالمين) . .

كانوا يحسون أن الألوهية الواحدة والربوبية الشاملة تعني - أول ما تعني - نزع السلطان المغتصب من أيديهم ; ورده إلى صاحبه الشرعي . .

إلى الله رب العالمين . .

وهذا ما كانوا يقاومون في سبيله حتى يكونوا من الهالكين ! وقد بلغ من عقدة السلطان في نفوسهم ألا ينتفع اللاحق منهم بالغابر , وأن يسلك طريقه إلى الهلاك , كما يسلك طريقه إلى جهنم كذلك ! . . إن مصارع المكذبين - كما يعرضها هذا القصص - تجري على سنة لاتتبدل:نسيان لآيات الله وانحراف عن طريقه . إنذار من الله للغافلين على يد رسول . استكبار عن العبودية لله وحده والخضوع لرب العالمين . اغترار بالرخاء واستهزاء بالإنذار واستعجال للعذاب . طغيان وتهديد وإيذاء للمؤمنين . ثبات من المؤمنين ومفاصلة على العقيدة . .
ثم المصرع الذي يأتي وفق سنة الله على مدار التاريخ !
وأخيراً فإن طاغوت الباطل لا يطيق مجرد وجود الحق . . وحتى حين يريد الحق أن يعيش في عزلة عن الباطل - تاركاً مصيرهما لفتح الله وقضائه - فإن الباطل لا يقبل منه هذا الموقف . بل يتابع الحق وينازله ويطارده . .
ولقد قال شعيب لقومه:(وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا , فاصبروا حتى يحكم الله بيننا , وهو خير الحاكمين) . .
ولكنهم لم يقبلوا منه هذه الخطة , ولم يطيقوا رؤية الحق يعيش ; ولا رؤية جماعة تدين لله وحده وتخرج من سلطان الطواغيت: (قال الملأ الذين استكبروا من قومه:لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) . . وهنا صدع شعيب بالحق رافضاً هذا الذي يعرضه عليهم الطواغيت: قال:أولو كنا كارهين ? قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها . . ذلك ليعلم أصحاب الدعوة إلى الله أن المعركة مع الطواغيت مفروضة عليهم فرضاً , وأنه لا يجديهم فتيلاً أن يتقوها ويتجنبوها . فالطواغيت لن تتركهم إلا أن يتركوا دينهم كلية , ويعودوا إلى ملة الطواغيت بعد إذ نجاهم الله منها . وقد نجاهم الله منها بمجرد أن خلعت قلوبهم عنها العبودية للطواغيت ودانت بالعبودية لله وحده . .
فلا مفر من خوض المعركة , والصبر عليها , وانتظار فتح الله بعد المفاصلة فيها ; وأن يقولوا مع شعيب:
(على الله توكلنا . ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) . .
ثم تجري سنة الله بما جرت به كل مرة على مدار التاريخ . .
****
إن موكب الإيمان الذي يسير في مقدمته رسل الله الكرام , مسبوق في السياق بموكب الإيمان في الكون كله . في الفقرة

السابقة مباشرة:(إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام , ثم استوى على العرش , يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً , والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره , ألا له الخلق والأمر , تبارك الله رب العالمين) . .
وإن الدينونة لهذا الإله , الذي خلق السماوات والأرض , والذي استوى على العرش , والذي يحرك الليل ليطلب النهار , والذي تجري الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره , والذي له الخلق والأمر . إن الدينونة لهذا الإله وحده هي التي يدعو إليها الرسل كافة . هي التي يدعون إليها البشرية كلها , كلما قعد لها الشيطان على صراط الله فأضلها عنه ; وردها إلى الجاهلية التي تتبدى في صور شتى ; ولكنها كلها تتسم بإشراك غير الله معه في الربوبية .
والمنهج القرآني يكثر من الربط بين عبودية هذا الكون لله , ودعوة البشر إلى الاتساق مع الكون الذي يعيشون فيه ; والإسلام لله الذي أسلم له الكون كله ; والذي يتحرك مسخراً بأمره . ذلك أن هذا الإيقاع بهذه الحقيقة الكونية كفيل بأن يهز القلب البشري هزاً ; وأن يستحثه من داخله على أن ينخرط في سلك العبادة المستسلمة ; فلا يكون هو وحده نشازاً في نظام الوجود كله !
إن الرسل الكرام لا يدعون البشرية لأمر شاذ ; إنما يدعونها إلى الأصل الذي يقوم عليه الوجود كله ; وإلى الحقيقة المركوزة في ضمير هذا الوجود . .
وهي ذاتها الحقيقة المركوزة في فطرة البشر ; والتي تهتف بها فطرتهم حين لا تلوي بها الشهوات , ولا يقودها الشيطان بعيداً عن حقيقتها الأصيلة . .(الظلال)
****

- **السادس والعشرون – هذا هو الطريق أيها الناس**

قال تعالى :
﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ، قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ، إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّـهُ هُـوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ، وَهُـوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيـدُ ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ... } سورة البروج
وفي مسلم عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم قَالَ «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ

إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَىَّ غُلاَمًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاَمًا يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِى طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِى أَهْلِى وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِى السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِىَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَىْ بُنَىَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّى قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَىَّ وَكَانَ الْغُلاَمُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِى النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِىَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِى فَقَالَ إِنِّى لاَ أَشْفِى أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِى اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ قَالَ رَبِّى قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِى قَالَ رَبِّى وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلاَمِ فَجِىءَ بِالْغُلاَمِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَىْ بُنَىَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّى لاَ أَشْفِى أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِى اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِىءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِىءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِىءَ بِالْغُلاَمِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِى إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ.
فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِى قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِى إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِى حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ.
قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِى عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِى ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِى كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلاَمِ .ثُمَّ ارْمِنِى فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِى فَجَمَعَ

النَّاسَ فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِى كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلاَمِ .ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِى صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِى صُدْغِهِ فِى مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ. فَأُتِىَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِى أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِىٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ يَا أُمَّهِ اصْبِرِى فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ ».

إن قصة أصحاب الأخدود - كما وردت في سورة البروج - حقيقة بأن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض وفي كل جيل .

فالقرآن بإيرادها في هذا الأسلوب مع مقدمتها والتعقيبات عليها ، والتقريرات والتوجيهات المصاحبة لها ..

كان يخط بها خطوطاً عميقة في تصور طبيعة الدعوة إلى الله ، ودور البشر فيها ، واحتمالاتها المتوقعة في مجالها الواسع - وهو أوسع رقعة من الأرض ، وأبعد مدى من الحياة الدنيا - وكان يرسم للمؤمنين معالم الطريق ، ويعدُّ نفوسهم لتلقي أي من هذه الاحتمالات التي يجري بها القدر المرسوم ، وفق الحكمة المكنونة في غيب الله المستور .

إنها قصة فئة آمنت بربها ، واستعلنت حقيقة إيمانها . ثم تعرضت للفتنة من أعداء جبارين بطاشين مستهترين بحق " الإنسان " في حرية الاعتقاد بالحق والإيمان بالله العزيز الحميد ، وبكرامة الإنسان عند الله عن أن يكون لعبة يتسلى بها الطغاة بآلام تعذيبها ، ويتلهون بمنظرها في أثناء التعذيب بالحريق !

وقد ارتفع الإيمان بهذه القلوب على الفتنة ، وانتصرت فيها العقيدة على الحياة ، فلم ترضخ لتهديد الجبارين الطغاة ، ولم تفتن عن دينها ، وهي تحرق بالنار حتى تموت .

لقد تحررت هذه القلوب من عبوديتها للحياة ، فلم يستذلها حب البقاء وهي تعاين الموت بهذه الطريقة البشعة ، وانطلقت من قيود الأرض وجواذبها جميعاً ، وارتفعت على ذواتها بانتصار العقيدة على الحياة فيها .

وفي مقابل هذه القلوب المؤمنة الخيِّرة الرفيقة الكريمة كانت هناك جبلات جاحدة شريرة مجرمة لئيمة . وجلس أصحاب هذه الجبلات على النار . يشهدون كيف يتعذب المؤمنون ويتألمون . جلسوا يتلهون بمنظر الحياة تأكلها النار ، والأناسي الكرام يتحولون وقوداً وتراباً . وكلما ألقي فتى أو فتاة ، صبية أو عجوز ، طفل أو شيخ ، مـن المؤمنين الخيرين الكرام في النار ، ارتفعت

النشوة الخسيسة في نفوس الطغاة ، وعربد السعار المجنون بالدماء والأشلاء !
هذا هو الحادث البشع الذي انتكست فيه جبلات الطغاة وارتكست في هذه الحمأة ، فراحت تلتذ مشهد التعذيب المروع العنيف ، بهذه الخساسة التي لم يرتكس فيها وحش قط ، فالوحش يفترس ليقتات ، لا ليلتذ آلام الفريسة في لؤم وخسة !
وهو ذاته الحادث الذي ارتفعت فيه أرواح المؤمنين وتحررت وانطلقت إلى ذلك الأوج السامي الرفيع ، الذي تشرف به البشرية في جميع الأجيال والعصور .
في حساب الأرض يبدو أن الطغيان قد انتصر على الإيمان . وإن هذا الإيمان الذي بلغ الذروة العالية ، في نفوس الفئة الخيرة الكريمة الثابتة المستعلية ..
لم يكن له وزن ولا حساب في المعركة التي دارت بين الإيمان والطغيان !
ولا تذكر الروايات التي وردت في هذا الحادث ، كما لا تذكر النصوص القرآنية ، أن الله قد أخذ أولئك الطغاة في الأرض بجريمتهم البشعة ، كما أخذ قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وقوم لوط . أو كما أخذ فرعون وجنوده أخذ عزيز مقتدر .
ففي حساب الأرض تبدو هذه الخاتمة اسيفة أليمة !
أفهكذا ينتهي الأمر ، وتذهب الفئة المؤمنة التي ارتفعت إلى ذروة الإيمان ؟ تذهب مع آلامها الفاجعة في الأخدود ؟ بينما تذهب الفئة الباغية ، التي ارتكست إلى هذه الحمأة ، ناجية ؟
حساب الأرض يحيك في الصدر شيء أمام هذه الخاتمة الأسيفة !
ولكن القرآن يعلِّم المؤمنين شيئاً آخر ، ويكشف لهم عن حقيقة أخرى ، ويبصرهم بطبيعة القيم التي يزنون بها ، وبمجال المعركة التي يخوضونها .
إن الحياة وسائر ما يلابسها من لذائذ وآلام ، ومن متاع وحرمان .. ليست هي القيمة الكبرى في الميزان .. وليست هي السلعة التي تقرر حساب الربح والخسارة . والنصر ليس مقصوراً على الغلبة الظاهرة . فهذه صورة واحدة من صور النصر الكثيرة .
إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة ، وإن السلعة الرائجة في سوق الله هي سلعة الإيمان . وإن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة ، وانتصار العقيدة على الألم ، وانتصار الإيمان على الفتنة .. وفي هذا الحادث انتصرت أرواح المؤمنين على الخوف والألم ، وانتصرت على جواذب الأرض والحياة ، وانتصرت على الفتنة انتصاراً يشرف الجنس البشري كله في جميع الأعصار ..

وهذا هو الانتصار ..
إن الناس جميعاً يموتون ، وتختلف الأسباب . ولكن الناس جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار ، ولا يرتفعون هذا الارتفاع ، ولا يتحررون هذا التحرر ، ولا ينطلقون هذا الانطلاق إلى هذه الآفاق ..
إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده لتشارك الناس في الموت ، وتنفرد دون الناس في المجد ، المجد في الملأ الأعلى ، وفي دنيا الناس أيضاً . إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال !
لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم . ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم ؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر ؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير ، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة ، وبشاعتها بلا حرية ، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد ؟
إنه معنى كريم جداً ، ومعنى كبير جداً ، هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض ، ربحوه وهم يجدون مس النار ، فتحرق أجسادهم الفانية ، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار !
ثم إن مجال المعركة ليس هو الأرض وحدها ، وليس هو الحياة الدنيا وحدها . وشهود المعركة ليسوا هم الناس في جيل من الأجيال . إن الملأ الأعلى يشارك في أحداث الأرض ويشهدها ويشهد عليها ، ويزنها بميزان غير ميزان الأرض في جيل من أجيالها ، وغير ميزان الأرض في أجيالها جميعاً . والملأ الأعلى يضم من الأرواح الكريمة أضعاف أضعاف ما تضم الأرض من الناس .. وما من شك أن ثناء الملأ الأعلى وتكريمه أكبر وأرجح في أي ميزان من رأي أهل الأرض وتقديرهم على الإطلاق !
وبعد ذلك كله هناك الآخرة . وهي المجال الأصيل الذي يلحق به مجال الأرض ، ولا ينفصل عنه ، لا في الحقيقة الواقعة ، ولا في حس المؤمن بهذه الحقيقة .
فالمعركة إذن لم تنته ، وخاتمتها الحقيقية لم تجيء بعد ، والحكم عليها بالجزء الذي عرض منها على الأرض حكم غير صحيح ، لأنه حكم على الشطر الصغير منها والشطر الزهيد .
* * *
النظرة الأولى هي النظرة القصيرة المدى الضيقة المجال التي تعنّ للإنسان العجول . والنظرة الثانية الشاملة البعيدة المدى هي التي يروض القرآن المؤمنين عليها ، لأنها تمثل الحقيقة التي يقوم عليها التصور الإيماني الصحيح .

ومن ثم وعد الله للمؤمنين جزاء على الإيمان والطاعة ، والصبر على الابتلاء ، والانتصار على فتن الحياة .. هو طمأنينة القلب :
{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْـرِ اللَّهِ تَطْمَئِـنُّ الْقُلُوبُ } ... [الرعد : 28] .
وهو الرضوان والود من الرحمن :
{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً } [مريم : 96] .
وهو الذكر في الملأ الأعلى :
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد " ... [أخرجه الترمذي] .
وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه . فإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعاً ، وإن اقترب إليّ ذرعاً اقتربت منه باعاً ، وإن أتاني مشياً يمشي أتيته هرولة " . [أخرجه الشيخان] .
وهو اشتغال الملأ الأعلى بأمر المؤمنين في الأرض :
{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } [غافر : 7] .
وهو الحياة عند الله للشهداء :
{ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 169 - 171] .
كما كان وعده المتكرر بأخذ المكذبين والطغاة والمجرمين في الآخرة والإملاء لهم في الأرض والإمهال إلى حين .. وإن كان أحياناً قد أخذ بعضهم في الدنيا .. ولكن التركيز كله على الآخرة في الجزء الأخير :
{ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } [آل عمران : 196 - 197] .
{ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ } .. [إبراهيم : 42 - 43] .

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ، يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ } [المعارج : 42 - 44] .

وهكذا اتصلت حياة الناس بحياة الملأ الأعلى ، واتصلت الدنيا بالآخرة ، ولم تعد الأرض وحدها هي مجال المعركة بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والإيمان والطغيان . ولم تعد الحياة الدنيا هي خاتمة المطاف ، ولا موعد الفصل في هذا الصراع .. كما أن الحياة وكل ما يتعلق بها من لذائد وآلام ومتاع وحرمان ، لم تعد هي القيمة العليا في الميزان .

انفسح المجال في المكان ، وانفسح المجال في الزمان ، وانفسح المجال فـي القيم والموازين ، واتسعت آفاق النفس المؤمنة ، وكبرت اهتماماتها ، فصغرت الأرض وما عليها ، والحياة الدنيا وما يتعلق بها ، وكبر المؤمن بمقدار ما رأى وما عرف من الآفاق والحيوات ، وكانت قصة أصحاب الأخدود في القمة في إنشاء هذا التصور الإيماني الواسع الشامل الكبير الكريم .

* * *

هناك إشعاع آخـر تطلقه قصة أصحاب الأخدود وسورة البروج حول طبيعة الدعوة إلى الله ، وموقف الداعية أمام كل احتمال .

لقد شهد تاريخ الدعوة إلى الله نماذج منوعة من نهايات في الأرض مختلفة للدعوات ..

شهد مصارع قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم شعيب ، وقوم لوط ، ونجاة الفئة المؤمنة القليلة العدد ، مجرد النجاة . ولم يذكر القرآن للناجين دوراً بعد ذلك في الأرض والحياة . وهذه النماذج تقرر أن الله سبحانه وتعالى يريد أحياناً أن يعجِّل للمكذبين الطغاة بقسط من العذاب في الدنيا ، أما الجزاء الأوفى فهو مرصود لهم هناك .

وشهد تاريخ الدعوة مصرع فرعون وجنوده ، ونجاة موسى وقومه ، مع التمكين للقوم في الأرض فترة كانوا فيها أصلح ما كانوا في تاريخهم . وإن لم يرتقوا قط إلى الاستقامة الكاملة ، وإلى إقامة دين الله في الأرض منهجاً للحياة شاملاً .. وهذا نموذج غير النماذج الأولى .

وشهد تاريخ الدعوة كذلك مصرع المشركين الذين استعصوا على الهدى والإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وانتصار المؤمنين انتصاراً كاملاً، مع انتصار العقيدة في نفوسهم انتصاراً عجيباً . وتم للمرة الوحيدة في تاريخ البشرية أن أقيم منهج الله مهيمناً على الحياة في صورة لم تعرفها البشرية قط ، من قبل ولا من بعد .

وشهد - كما رأينا - نموذج أصحاب الأخدود ..

وشهد نماذج أخرى أقل ظهوراً في سجل التاريخ الإيماني في القديم والحديث . وما يزال يشهد نماذج تتراوح بين هذه النهايات التي حفظها على مدار القرون .
ولم يكن بدّ من النموذج الذي يمثله حادث الأخدود ، إلى جانب النماذج الأخرى . القريب منها والبعيد ..
لم يكن بد من هذا النموذج الذي لا ينجو فيه المؤمنون ، ولا يؤخذ فيه الكافرون ! ذلك ليستقر في حس المؤمنين - أصحاب دعوة الله - أنهم قد يدعون إلى نهاية كهذه النهاية في طريقهم إلى الله .
وأن ليس لهم من الأمر شيء ، إنما أمرهم وأمر العقيدة إلى الله ! إن عليهم أن يؤدوا واجبهم ، ثم يذهبوا ، وواجبهم أن يختاروا الله ، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة ، وأن يستعلوا بالإيمان على الفتنة وأن يصدقوا الله في العمل والنية . ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم ، كما يفعل بدعوته ودينه ما يشاء . وينتهي بهم إلى نهاية من تلك النهايات التي عرفها تاريخ الإيمان ، أو إلى غيرها مما يعلمه هو ويراه .
إنهم أجراء عند الله . أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا ، عملوا وقبضوا الأجـر المعلوم ! وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى أي مصير ، فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير !
وهم يقبضون الدفعة الأولى طمأنينة في القلب ، ورفعة في الشعور ، وجمالاً في التصور ، وانطلاقاً من الأوهاق والجواذب ، وتحرراً من الخوف والقلق ، في كل حال من الأحوال .
وهم يقبضون الدفعة الثانية ثناء في الملأ الأعلى وذكراً وكرامة ، وهم بعد في هذه الأرض الصغيرة .
ثم هم يقبضون الدفعة الكبرى في الآخرة حساباً يسيراً ونعيماً كبيراً .
ومع كل دفعة ما هو أكبر منها جميعاً . رضوان الله ، وانهم مختارون ليكونوا أداة لقدره وستاراً لقدرته ، يفعل بهم في الأرض ما يشاء .
* * *
وهكذا انتهت التربية القرآنية بالفئة المختارة من المسلمين في الصدر الأول إلى هذا التطور ، الذي أطلقهم من أمر ذواتهم وشخوصهم . فأخرجوا أنفسهم من الأمر البتة ، وعملوا أجراء عند صاحب الأمر ورضوا خيرة الله على أي وضع وعلى أي حال .
وكانت التربية النبوية تتمشى مع التوجيهات القرآنية ، وتوجه القلوب والأنظار إلى الجنة ، وإلى الصبر على الدور المختار حتى يأذن الله بما يشاء في الدنيا والآخرة سواء .

كان - صلى الله عليه وسلم - يرى عماراً وأمه وأباه - رضي الله عنهم - يعذبون العذاب الشديد في مكة ، فما يزيد على أن يقول : " صبراً آل ياسر . موعدكم الجنة " ..
وعن خبّاب بن الأرتّ - رضي الله عنه - قال : شكونا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد برده في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ أو تدعو لنا ؟ فقال : " قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين . ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه . ما يبعده ذلك عن دينه . والله ليتممن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، فلا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " .. [أخرجه البخاري] .
* * *
إن لله حكمة وراء كل وضع ووراء كل حال ، ومدبر هذا الكون كله ، المطلع على أوله وآخره ، المنسق لأحداثه وروابطه . هو الذي يعرف الحكمة المكونة في غيبه المستور ، الحكمة التي تتفق مع مشيئته في خط السير الطويل .
وفي بعض الأحيان يكشف لنا - بعد أجيال وقرون - عن حكمة حادث لم يكن معاصروه يدركون حكمته ، ولعلهم كانوا يسألون لماذا ؟ لماذا يا رب يقع هذا ؟ وهذا السؤال نفسه هو الجهل الذي يتوقاه المؤمن . لأنه يعرف ابتداء أن هناك حكمة وراء كل قدر ، ولأن سعة المجال في تصوره ، وبعد المدى في الزمان والمكان والقيم والموازين تغنيه عن التفكير ابتداء في مثل هذا السؤال . فيسير مع دورة القدر في استسلام واطمئنان ..
لقد كان القرآن ينشئ قلوباً يعدها لحمل الأمانة ، وهذه القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة والقوة والتجرد بحيث لا تتطلع - وهي تبذل كل شيء ، وتحتمل كل شيء - إلى شيء في هذه الأرض ، ولا تنظر إلا إلى الآخرة ، ولا ترجو إلا رضوان الله ، قلوباً مستعدة لقطع رحلة الأرض كلها في نصب وشقاء وحرمان وعذاب وتضحية حتى الموت . بلا جزاء في هذه الأرض قريب ، ولو كان هذا الجزاء هو انتصار الدعوة ، وغلبة الإسلام وظهور المسلمين ، بل لو كان هذا الجزاء هو هلاك الظالمين بأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما فعل بالمكذبين الأولين !
حتى إذا وجدت هذه القلوب ، التي تعلم أن ليس أمامها في رحلة الأرض إلا أن تعطي بلا مقابل - أي مقابل - وأن تنتظر الآخرة وحدها موعداً للفصل بين الحق والباطل . حتى إذا وجدت هذه القلوب ، وعلم الله منها صدق نيّتها على ما بايعت وعاهدت ، آتاها النصر في الأرض ، وائتمنها عليه لا لنفسها ، ولكن لتقوم بأمانة

المنهج الإلهي وهي أهل لأداء الأمانة منذ كانت لم توعد بشيء من المغنم في الدنيا تتقاضاه ، ولم تتطلع إلى شئ من الغنم في الأرض تعطاه . وقد تجردت لله حقاً يوم كانت لا تعلم لها جزاء إلا رضاه .
وكل الآيات التي ذكر فيها النصر ، وذكر فيها المغانم ، وذكر فيها أخذ المشركين في الأرض بأيدي المؤمنين نزلت في المدينة .. بعد ذلك ..
وبعد أن أصبحت هذه الأمور خارج برنامج المؤمن وانتظاره وتطلعه . وجاء النصر ذاته لأن مشيئة الله اقتضت أن تكون لهذا المنهج واقعية في الحياة الإنسانية ، تقرره في صورة عملية محددة تراها الأجيال .. فلم يكن جزاء على التعب والنصب والتضحية والآلام ، إنما كان قدراً من قدر الله تكمن وراءه حكمة نحاول رؤيتها الآن !
وهذه اللفتة جديرة بأن يتدبرها الدعاة إلى الله ، في كل أرض وفي كل جيل . فهي كفيلة بأن تريهم معالم الطريق واضحة بلا غبش ، وأن تثبِّت خطى الذين يريدون أن يقطعوا الطريق إلى نهايته ، كيفما كانت هذه النهاية . ثم يكون قدر الله بدعوته وبهم ما يكون ، فلا يتلفتون في أثناء الطريق الدامي المفروش بالجماجم والأشلاء ، وبالعرق والدماء ، إلى نصر أو غلبة ، أو فيصل بين الحق والباطل في هذه الأرض ..
ولكن إذا كان الله يريد أن يصنع بهم شيئاً من هذا لدعوته ولدينه فسيتم ما يريده الله .لا جزاء على الآلام والتضحيات ..
لا ، فالأرض ليست دار جزاء ..
وإنما تحقيقاً لقدر الله في أمر دعوته ومنهجه على أيدي ناس من عباده يختارهم ليمضي بهم من الأمر ما يشاء ، وحسبهم هذا الاختيار الكريم ، الذي تهون إلى جانبه وتصغر هذه الحياة ، وكل ما يقع في رحلة الأرض من سراء أو ضراء .
* * *
هنالك حقيقة أخرى يشير إليها أحد التعقيبات القرآنية على قصة الأخدود في قوله تعالى :
{ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } ..
حقيقة ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض وفي كل جيل .
إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها معركة عقيدة وليست شيئاً آخر على الإطلاق . وإن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان ، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة ..
إنها ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ، ولا معركة عنصرية ..

ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها ، وسهل حل إشكالها . ولكنها في صميمها معركة عقيدة - إما كفر وإما إيمان ..
إما جاهلية وإما إسلام !
ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المال والحكم والمتاع في مقابل شيء واحد ، أن يدع معركة العقيدة وأن يدهن في هذا الأمر ! ولو أجابهم - حاشاه - إلى شيء مما أرادوا ما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق !
إنها قضية عقيدة ومعركة عقيدة .. وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم . فإنه لا يعاديهم لشيء إلا لهذه العقيدة " إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد " ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع !
وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة ، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية ، كي يموِّهوا على المؤمنين حقيقة المعركة ، ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة . فمن واجب المؤمنين ألا يُخدَعوا ، ومن واجبهم أن يدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيت . وأن الذي يغيِّر راية المعركة إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها ، النصر في أية صورة من الصور ، سواء جاء في صورة الانطلاق الروحي كما وقع للمؤمنين في حادث الأخدود ، أو في صورة الهيمنة - الناشئة من الانطلاق الروحي - كما حدث للجيل الأول من المسلمين .
ونحن نشهد نموذجاً من تمويه الراية في محاولة الصليبية العالمية اليوم أن تخدعنا عن حقيقة المعركة ، وأن تزور التاريخ ، فتزعم لنا أن الحروب الصليبية كانت ستاراً للاستعمار .. كلا .. إنما كان الاستعمار الذي جاء متأخراً هو الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور كما كانت في القرون الوسطى !
والتي تحطمت على صخرة العقيدة بقيادة مسلمين من شتى العناصر ، وفيهم صلاح الدين الكردي ، وتوران شاه المملوكي ، العناصر التي نسيت قوميتها وذكرت عقيدتها فانتصرت تحت راية العقيدة !
﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } .
وصدق الله العظيم ، وكذب الموهون الخادعون !(المعالم)

****

وأخيرا أقول لأبي مصعب حماه الله من كيد الكائدين وشر الأشرار
سر على بركة الله تعالى ونحن معك كما قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ففي مسلم عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِى سُفْيَانَ قَالَ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا

****

اللهم احفظ عبادك المجاهدين في سبيلك الذابين عن حرماتك بعينك التي لا تنام

اللهم كن معهم ولا تكن عليهم

اللهم امكر لهم ولا تمكر عليهم

اللهم ثبتهم وسدد رميتهم وانصرهم على عدوك وعدوهم

اللهم إن تهلك هذه العصابة في الأرض فلن تعبد بعدها

اللهم هذه دول الكفر كلها وقفت تحادك وتحاد رسولك اللهم زلزل أركانهم وأهلكهم كما أهلكت القرون من قبلهم

آمين آمين

والحمد لله رب العالمين

****

ليلة الاثنين 13 جمادى الأولى 1426 هـ

الموافق ل 19 / 6/2005 م